تاريخ نقد العهد القديم

من أقدم العصور حتى العصر الحديث

المجلس الأعلى للثقافة

تحرير: زالمان شازار ترجمة: أحمد محمد هويدي تقديم ومراجعة: محمد خليفة حسن

المشروع القومي للترجمة

204



المشروع القومى للترجمة

تاريخ نقد العهد القديم
من أقدم العصور حتى العصر الحديث

تحرير

زالمان شازار

ترجمه من العبرية

أحمد محمود هويدى

تقديم ومراجعة

محمد خليفة حسن أحمد



٢٠٠٠

هذا الكتاب ترجمة للجزء الأول من كتاب :

זלמן שזר

מפרדי״ס התנ״ך

מחקרים במקרא ובתולדות ביקורת המקרא

הוצאת "קרית ספר", ירושלים - תשל״ט

تقديم

يتناول الكتاب الذى نقدمه للقارئ الكريم تاريخ نقد العهد القديم من بدايته وحتى العصر الحديث . والعهد القديم هو كتاب اليهود المقدس الذى يتكون من ثلاثة أقسام رئيسية هى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات (الحكمة) . ونشير هنا إلى أسباب نشأة نقد العهد القديم وتطوره (أو وأسباب تطوره) .

أولاً : النقد اليهودى

تطور نقد يهودى للعهد القديم ، وهو نقد نستمده من نص العهد القديم نفسه، فضلا عن النقد الذى أتى من مصادر يهودية خارجة عن العهد القديم، والأسباب التى أدت إلى وجود النقد اليهودى هى

١ ـ الاختلاف اليهودى حول نص التوراة

وقد نشأ فى وقت مبكر ، حيث تعرضت التوراة المنزلة على موسى عليه السلام للضياع كنص دينى ثابت . وتطور لدى بنى إسرائيل " اليهود " روايات شفوية حلت محل النص الإلهى المكتوب " المدون " . وظلت التوراة على هذا الوضع الشفوى من بعد عصر موسى وحتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد : حيث تم تثبيت نص التوراة وتم تدوينه بعد أن كان نصا شفويا . وهذه المرحلة تغطى ما يقرب من ثمانية قرون كاملة اتخذت التوراة هذا الشكل الروائى الشفوى . وكانت بطبيعة الحال أشبه بالكتاب المفتوح الذى يضاف إليه وينتقص منه على حسب الاتجاهات والمذاهب الدينية اليهودية التى ظهرت فى الحياة اليهودية خلال القرون الثمانية . والتى نتج عنها تعدد

الروايات ، ثم قيام عزرا بعملية تحرير لما هو متوافر أمامه من روايات توراتية شفوية ، والقيام بعملية توفيق بين المواضع المتناقضة والمواضع المختلفة ، والانتهاء من وضع نسخة واحدة للتوراة هي التي تم تثبيتها والاعتراف بها منذ عصر عزرا . ويلاحظ أن هذا العمل الكبير ينطبق فقط على التوراة وليس على بقية الأسفار . ونظرا لأهمية هذا العمل اكتسب عزرا مكانة عظيمة في التاريخ الديني اليهودي . وعادة ما يربط بموسى عليه السلام في الأهمية ؛ لأنه على حسب الفهم اليهودي إذا كان موسى عليه السلام هو الذي تلقى الوحي فإن عزرا هو الذي حفظه وثبته . ولا يستبعد في أن يكون هذا سبب تقديس عزرا . وهناك إشارات قرآنية لهذا التقديس .

٢ ـ الفرق اليهودية واختلافها حول نص العهد القديم

ومن أهم الفرق اليهودية وأقدمها فرقة السامريين التي تعود نشأتها حسب الفهم اليهودي إلى الانشقاق الذي حدث بعد موت سليمان عليه السلام وانشقاق مملكته إلى شمالية وجنوبية . وأصبحت السامرة العاصمة السياسية والدينية للمملكة الشمالية ، ونافست السامرة أورشليم كمركز ديني وسياسي . ونتيجة لهذا الانقسام رفض السامريون التراث الديني المرتبط بأورشليم ، ورفضوها كقبلة دينية حتى سقوط السامرة ٧٢١ ق. م. ومع هذا التطور ظل اللاهوت السامري منافسا للاهوت أورشليم ، واستمرت فرقة السامرة في الوجود منذ ذلك الوقت وحتى الآن . وهم لا يعترفون باليهود الربانيين ، كما أن اليهود الربانيين لا يعترفون بهم ويرفضون الزواج منهم ، ولا يعتبرونهم يهودا ، ويضموهم للأمم الأخرى . وموقف السامريين من الكتاب المقدس هو أنهم لا يعترفون إلا بالأسفار الستة الأولى فقط من العهد القديم ، ولهم تفسيرهم الخاص للتوراة ، كما أنهم يفسرون بعض مواضع من التوراة حسب رؤيتهم الدينية . ويفسرون الفقرات التي تشير إلى أورشليم على أنها تشير إلى مكانهم المقدس أو

قبلتهم الدينية الجديدة ، وهى السامرة . وتفسير الفقرات الخاصة بجبل صهيون على أنها تشير إلى جبلهم المقدس ، وهو جبل جريزيم . وبالإضافة إلى رفضهم بقية أسفار العهد القديم يرفضون كل التراث الشفوى الذى يعترف به ويقدسه اليهود الربانيون وهم أيضا يرفضون التلمود وكل الشروح التى بنيت عليه ويرفضون ما يسمى بالشريعة الشفوية . وهم يقولون فيما يتعلق بالعهد القديم " التوراة الربانية" أنها توراة محرفة قام بتحريفها عزرا الكاتب . وقد كونوا داخل اليهودية فرقة دينية مستقلة لها رؤية دينية يهودية مستقلة .

أما فرقة القرائين فهى فرقة لا تعترف إلا بأسفار العهد القديم ، وتسميتهم مأخوذة من كلمة " المقرا " ، وتعبر التسمية عن الموقف الدينى الرافض للتراث الدينى خارج المقرا . وهم يرفضون التراث الشفوى والشريعة الشفوية غير المكتوبة ، ويرفضون التلمود . وقد دخلوا مع الربانين فى جدل دينى كبير خلال العصر الوسيط – وهم واقعون تحت تأثير إسلامي- خاصة فيما يتعلق بنقد العهد القديم ومفهوم الألوهية .

٢- اختلاف البيئات اليهودية

من المعروف أن التاريخ اليهودى تميزه ظاهرة الشتات الذى نتج عنه حياة اليهود فى ظل بيئات وثقافات وحضارات مختلفة وقعوا تحت تأثيرها : منها بيئات وثنية قديمة، ومنها بيئات توحيدية مثل المسيحية والإسلام ، ومنها أيضا بيئات حديثة معاصرة تنتشر فيها العلمانية والإلحاد كما هو الحال فى أوربا المعاصرة وأمريكا . وفى ظل هذه البيئات المختلفة بيئيا ومذهبيا تكيف اليهود مع الأوضاع الثقافية والفكرية لهذه البيئات ، واستجابوا إيجابا وسلبا للمعطيات الفكرية لهذه البيئات كما انشغلوا أيضا بعمليات الجدل الدينى وبخاصة فى البيئات التى تعرضت لنقد اليهودية ، ونقد كتابها المقدس . وقد اشتد الجدل على وجه التحديد فى البلاد المسيحية والإسلامية

التى لها أصلا موقف من الكتب المقدسة اليهودية ، الأمر الذى أدى إلى تطور نقد للكتب المقدسة اليهودية فى هذه البيئات .

ثانيًا : النقد المسيحى

تطور نقد مسيحى لكتاب العهد القديم على الرغم من قبوله ككتاب مقدس وضمه إلى أسفار العهد الجديد فى كتاب واحد تحت اسم " الكتاب المقدس " . ويظهر هذا النقد المسيحى فى ذروته فى التسمية التى اختارتها المسيحية للأسفار المقدسة اليهودية حيث أطلقت عليها اسم " العهد القديم " فى الوقت الذى سمت فيه الأسفار المقدسة المسيحية باسم " العهد الجديد " . والدلالة النقدية هنا واضحة فى الصفتين " القديم " و" الجديد " . وتشير هذه الدلالة إلى أن العهد المعطى لبنى إسرائيل أصبح عهدا قديما أى باطلا أو ملغيا ، وأن هناك أمة جديدة هى الأمة المسيحية دخلت فى عهد جديد وحلت مكان الجماعة القديمة وهى جماعة بنى إسرائيل صاحبة العهد القديم الملغى .

كما تعرض العهد القديم للنقد المسيحى من خلال إعادة تفسيره فى ضوء معطيات الدين المسيحى وعقائده المختلفة عن معطيات اليهودية وعقائدها . ولعل أهم مفهوم تلقى تفسيرا مسيحيا جديدا هو مفهوم الخلاص والمسيح المخلص ، حيث فسرت الديانة المسيحية كل ما ورد عن الخلاص والمسيح المخلص فى العهد القديم تفسيرا جديدا ، واعتبرت كل الإشارات الخلاصية والمواضع التى ورد فيها ذكر المسيح المخلص مشيرة إلى الخلاص الذى أتى به عيسى عليه السلام وإلى عيسى عليه السلام كمسيح مخلص .

ثالثًا : النقد الإسلامى

بالنسبة للنقد الإسلامى للعهد القديم ، فقد أتى القرآن الكريم بنظريتين أساسيتين هما عماد النقد الإسلامى وأصبحا فيما بعد عماد النقد الغربى الحديث والذى تمثله

مدرسة يوليوس فلهاوزن أفضل تمثيل . وهاتان النظريتان هما نظرية التحريف والتبديل ، ونظرية تعدد المصادر والتي أصبحت أساس النقد المصدري للتوراة وبقية أسفار العهد القديم في القرنين التاسع عشر والعشرين . وهنا يجب أن نتعامل مع مصطلحي " التحريف والتبديل " على أنهما مصطلحان نقديان ينتميان إلى مجال النقد الأدبي . وتشير المعاني الأساسية لهما في القرآن الكريم إلى الدلالة النقدية الأدبية قبل أن يتحولا في القرآن الكريم وفي المصادر الإسلامية الناقدة للتوراة إلى مصطلحين مفعمين بالدلالة الدينية وهي إحداث التغيير في الدين . فالعبارة القرآنية " يحرفون الكلم عن مواضعه " (المائدة : ١٣) تشير إلى حدوث عملية لغوية أدبية أسلوبية تم من خلالها تغيير الدلالة الدينية . ومعنى الآية " يبدلون الكلم من معناه " والكلم هو التوراة وذلك بتحريفهم التوراة وكتابة ما يرغبون فيها ومحو ما لا يرغبون أو تحريفهم معانيها بما يتفق وأهوائهم . وكذلك في الآية " يريدون أن يبدلوا كلام الله " (الفتح : ١٥) أي يغيروه . فالمقصود بالتحريف والتبديل تغيير الكلام ليعطي معنى غير المعنى الأصلي الذي أتى به الوحي . وفي النقد الأدبي الحديث تم تفريغ هذه المصطلحات من دلالاتها الدينية وأصبحت مصطلحات نقدية أدبية عامة تطبق على أية نصوص أدبية كانت أو دينية .

أما نظرية المصادر فقد عبرت عنها الآية القرآنية الكريمة " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا "(النساء : ٨٢) . والمعنى المباشر هو أن الاختلاف ينتج عن تعدد المصادر الإنسانية . أما المصدر الواحد - وهو الوحي الإلهي - فوحدته تمنع الاختلاف والتناقض .

رابعًا : تطور نقد العهد القديم في العصر الحديث

تأثر اليهود بأشكال النقد المسيحي والإسلامي في العصر الوسيط ، فرفضوا أكثره

وقبلوا بعضه ، وظهرت فرق يهودية متأثرة بالنقد المسيحي والإسلامي ، وظهرت فرق متأثرة أيضا بالفسفة وبالتفسير العقلي للكتب المقدسة والتزمت بتأويل الفقرات التي ليست قابلة للتفسير الحرفي والتي يبدو منها أنها متناقضة مع العقل . أما اليهود الذين عاشوا في أوربا وأمريكا فقد وقعوا تحت تأثير الثقافة الغربية ومعظمها ثقافة علمانية تفصل بين الدين و(والدنيا)الدولة، وبعضها لا يعترف بالدين أصلا انطلاقا من عدم الاعتراف بالألوهية أو بوجود إله. وقد انخرط اليهود في هذه التيارات فنجد أن بعضهم تشدد ضدها متمسكا بصحة العهد القديم والديانة اليهودية ، وبعضهم ترك اليهودية وأصبح علمانيا أو ملحدا . كما خضع اليهود أيضا للتيار العقلاني وفسروا اليهودية والكتاب المقدس تفسيرا عقليا .

ونشأ عن هذا الاتجاه مدرسة نقد الكتاب المقدس وخاصة نقد العهد القديم . وهناك عدة أسباب لتطور علم نقد الكتاب المقدس في العصر الحديث . منها :

١ ـ الاكتشافات الأثرية في منطقة الشرق الأدنى القديم

أدت الاكتشافات الأثرية في العصر الحديث إلى التعرف على معظم الكتابات العربية القديمة والتعمق في معرفة النصوص الهيروغليفية المصرية ، والكتابات المسمارية والحوليات الآشورية والبابلية ، وكذلك التعرف على بعض اللهجات العربية (السامية) التي كانت مجهولة ومن أهمها اللغة الأوجريتية نسبة إلى أوجريت " رأس شمرا حاليا " في المنطقة السورية وتأثير هذه اللغة على العبرية والآرامية ، والتعرف أيضا على النقوش العربية الشمالية والجنوبية، ومن هذه الاكتشافات أيضا وثائق البحر الميت والتي كان لها أثر كبير في معرفة طبيعة الفترة المحصورة بين العهدين ، أي بين نهاية العهد القديم وبداية العهد الجديد ، والتعرف على الفرق اليهودية والحصول على نسخ متعددة من أسفار العهد القديم لم تكن موجودة من قبل .

ومن أهم نتائج الاكتشافات الأثرية ، اكتشاف مجموعات قانونية جديدة في مصر القديمة وبلاد النهرين كشفت لنا عن مؤثرات مصرية أشورية بابلية على الأحكام والتشريعات التوراتية بعد أن ساد الاعتقاد بأن الإسرائيليين القدامى فقط هم الذين أنشأوا التشريعات وطبقوها على حياتهم . وقد أثبتت هذه الأمور جميعا فشل النظرية التي تقول بالاستقلال الديني والفكري لجماعة بني إسرائيل عن الشعوب المحيطة استنادا إلى الاختلاف في العقائد الدينية بين التوحيد في بني إسرائيل والتعدد عند غيرهم حيث ثبت اتصال جماعة بني إسرائيل بالشعوب الأخرى في الشرق الأدنى القديم ووقوعهم تحت التأثير الحضاري للشعوب السورية والمصرية والعراقية القديمة وأيضــا الفرس ، وأثبتت أيضا دور الشتات في وقوع التأثير الأجنبي على بني إسرائيل .

٢ ـ اكتشاف عجز نظرية فلهاوزن في الكشف عن طبيعة العهد القديم

نجحت مدرسة فلهاوزن نجاحا كبيرا في تحديد مصادر التوراة ، وقد ركزت على ذلك تركيزا شديدا ولم تتجاوز حدود النقد المصدري إلى تطوير اتجاهات نقدية أخرى تساعد على فهم العهد القديم وبالتالي فهم حياة بني إسرائيل قديما من خلال العهد القديم الذي يعد المصدر الوحيد لتاريخ بني إسرائيل وديانتهم . ومن النقد الذي وجه إلى نظرية فلهاوزن أيضا الاستغراق الشديد في تحليل النص ومفرداته وتحديد علاقة الوحدات الأدبية الكبيرة والصغيرة ببعضها البعض ، والاهتمام بالنقد اللغوي ، وهي كلها مقدمات نقدية هامة من حيث إنها أثبتت إنسانية النص أو على الأقل اختلاط المادة الإنسانية بالمادة الإلهية فيها وعلى الرغم من هذه النتيجة الكبيرة ظل العهد القديم كتابا مغلقا صعب الفهم على المستوى الديني والأدبي والتاريخي والاجتماعي والاقتصادي . ويؤخذ على نظرية فلهاوزن أيضا التركيز الشديد على المصدرين

الكهنوتي والتثنوي وهما مصدران مهتمان بالجانب الخاص بالعبادة والخدمة الدينية والتشريعات وفيها إهمال لبعض الجوانب التاريخية والعقائد والجوانب الاجتماعية . وقد تم إهمال شرح نصوص العهد القديم على المستويات المذكورة وعدم الاهتمام بتحليل الأحداث التاريخية وعدم التعرف على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التى أدت إلى نشأة النصوص وتطورها فى شكل روايات شفوية قبل أن يتم تدوينها . ولم تهتم أيضا بتحليل ومعالجة الصور والأشكال الأدبية المختلفة الواردة فى العهد القديم مثل القصص والروايات والحكم والأمثال ، كما أنها لم تهتم بدراسة المضامين الدينية والفلسفية والأخلاقية فى العهد القديم .

٣ ـ التطور المنهجي فى العلوم الإنسانية والاجتماعية

شهد القرن العشرون تطور المناهج فى العلوم الإنسانية كما ازدهرت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية ، وكذلك تطور علم الدين فى الغرب ونشأت مجموعة من العلوم الدينية ذات القيمة الكبيرة فى فهم مادة العهد القديم ومن أهمها : علم تاريخ الأديان ، علم الظاهرة الدينية ، علم مقارنة الأديان ، علم الاجتماع الديني ، علم النفس الديني ، علم الأنثروبولوجيا الدينية، وعلم جغرافية الأديان ، وكلها علوم حديثة استفادت من المنهج فى تخصصها وساعدت على تعميق المعرفة الدينية عند الإنسان والكشف عن طبيعة الخبرة الدينية ، وقد تم تطبيق مناهج هذه العلوم على بعض الشعوب البدائية ، ثم انتقل تطبيق هذه المناهج إلى مجال العهد القديم مما أدى إلى الدخول فى مرحلة جديدة من النقد أدت إلى فهم أكثر عمقا لديانة بنى إسرائيل ولطبيعة الإسرائيليين القدامى وعلاقاتهم الدينية والفكرية بالشعوب المحيطة بهم .

٤ ـ أثر الدراسات النقدية الأدبية فى نقد العهد القديم

استفاد نقد العهد القديم من التقدم الذى شهدته الدراسات النقدية الأدبية وبخاصة فى مجال تطبيقها على النصوص الأدبية الكلاسيكية مثل النصوص اليونانية واللاتينية وتطبيقها على الأعمال الأدبية الكلاسيكية الأوربية . وتطور عدد من المدارس والاتجاهات النقدية مثل المدارس الواقعية والرومانسية والتعبيرية وغيرها ، وانتهت هذه التطورات إلى نشأة عدة اتجاهات فى نقد العهد القديم منها بالإضافة إلى النقد المصدرى والنصى التابعين للفهاوزن تطور النقد الأدبى والتاريخى ونقد الصور الأدبية ، وتطور الاتجاهات الأدبية والفنية والأنثروبولوجية ، وتطور الاتجاه النقدى المقارن والاتجاه الفلسفى والنقد الأخلاقى.

ويقدم هذا الكتاب عرضا موجزا لتاريخ هذه العملية النقدية الطويلة للعهد القديم فيبدأ بعملية تثبيت نص التوراة ، وهى فى حد ذاتها عملية نقدية قام بها عزرا الكاتب فى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفوية وكتابتها بعد محاولات التوفيق بينها بسبب اختلافها الراجع إلى تعدد مصادرها . ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم وتحديد الكتبة للمقروء والمكتوب ، وموقف علماء التلمود من العهد القديم وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم ، والإشارة إلى تداخل الأقوال فى أسفار الأنبياء وإلى التناقضات داخل التوراة وإعطاء أمثلة على هذا التناقض . وأشار المؤلف إلى ازدهار النقد فى الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية . وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم وبخاصة عند مارتن لوثر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح دور سبينوزا الفيلسوف اليهودى فى تطوير نقد العهد القديم وإثارته للعديد من المشاكل النقدية مثل مسألة

تأليف موسى عليه السلام للتوراة ، والنظر إلى أسفار الأنبياء على أنها أسفار تاريخية ومصدر تاريخي في المقام الأول ، ودور عزرا في تأليف التوراة وأقدمية سفر التثنية وزمن تأليف الأسفار الخمسة وغير ذلك من المشاكل النقدية .

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر في النقد الغربي للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين اليهوى والألوهيمي وإضافات أيشهورن ، وملاحظات هيردر وتشعبات إلجن المصدرية وآراء جديس وفيتر ودى ـ فته ، وتحديد المصادر الأربعة عند عدد من نقاد العهد القديم (وهي اليهوى والألوهيمي والكهنوتي والتثنوى) . وقد خصص لمدرسة يوليوس فلهاوزن فصلا كاملا موضحا آراء هذه المدرسة كمدرسة مطورة لعلم نقد العهد القديم ، كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن . واهتم بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمي للعهد القديم وتطور نقد يهودي حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ونقد العهد القديم في الأدبيات العبرية .

وعلى الرغم من قدرة المؤلف الجيدة على تغطية نقد العهد القديم بشكل موجز فقد أهمل النقد الإسلامي للتوراة وبقية أسفار العهد القديم إهمالا تاما على الرغم من أهمية هذا النقد الإسلامي في نشأة النقد اليهودي للعهد القديم في العصر الوسيط وبخاصة في الأندلس .

وقد قدم جهود العلماء اليهود في العصر الوسيط في نقد العهد القديم على أنها تطور يهودي داخلي . والحقيقة التاريخية تثبت أن نشأة النقد وتطوره في العصر الوسيط إنما حدث بتأثير إسلامي مباشر عن طريق القرآن الكريم وآرائه النقدية في التوراة اليهودية وتقديمه لنظريات التحريف والتبديل ، وتعدد المصادر، ووسائل إحداث التغيير النصي في التوراة . وأيضا من خلال مصادر علم الكلام عند المسلمين ، ومصادر تاريخ الأديان وعلى رأسها ابن حزم الأندلسي ومحمد الشهرستاني أعظم

مؤلفى المسلمين فى مجال الملل والنحل ، والأول (ابن حزم) يعتبر بحق مؤسس علم نقد العهد القديم كما شملت أعمال المسعودى والغزالى على آراء نقدية هامة تستحق الدراسة . وننبه هنا إلى أنه لا يمكن دراسة نقد العهد القديم بمعزل عن التراث النقدى الإسلامى .

وفى النهاية أتوجه بالشكر الجزيل إلى مترجم هذا الكتاب الدكتور أحمد محمود هويدى الأستاذ المساعد بقسم اللغات الشرقية بكلية الآداب جامعة القاهرة على مجهوده الكبير الذى بذله فى ترجمة الكتاب عن اللغة العبرية الحديثة وفى موضوع صعب هو نقد العهد القديم .

وسيستفيد من ترجمته هذه المتخصصون فى عدد من المجالات من أهمها : تاريخ الديانة اليهودية ، وتاريخ العهد القديم ، والنقد الأدبى والتاريخى ، فإليه الشكر والتقدير .

محمد خليفة حسن

تصدير

تقدم علم نقد العهد القديم تقدما كبيرا فى الغرب منذ القرن الثامن عشر وحتى الآن ، وعلى الرغم من أن نقد العهد القديم علم إسلامي جذوره فى القرآن الكريم ثم فى كتب التفسير وكتب والملل والنحل ، لكننا لا نجد كتابا فى اللغة العربية قد اهتم ببيان هذا العلم عند المسلمين أو المستشرقين . وذلك باستثناء بعض الإشارات التى وردت عن مصادر التوراة فى ثنايا الكتب التى تناولت الديانة اليهودية خاصة كتاب " الفكر الدينى الإسرائيلى أطواره ومذاهبه " للأستاذ الدكتور حسن ظاظا (يرحمه الله) ، وكتاب " اليهودية " للأستاذ الدكتور محمد بحر عبد المجيد . أما أول دراسة وافية باللغة العربية عن نشأة نظرية المصادر وبيان الخصائص التاريخية والدينية لكل مصدر فهى الدراسة القيمة التى قدمها الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن فى كتابه " علاقة الإسلام باليهودية ، رؤية إسلامية فى مصادر التوراة الحالية " .

ولأن المكتبة العربية تفتقر إلى كتاب يتناول تاريخ نقد العهد القديم رأينا من واجبنا ترجمة كتاب يتناول هذا الموضوع لكي يفيد الدارسين فى مجال دراسات العهد القديم . ونقدم هنا الجزء الأول وهو يقدم رؤية تاريخية وصفية لتاريخ نقد العهد القديم منذ أقدم العصور حتى العصر الحديث ، وسوف نتبع ذلك - إن شاء الله - بالجزء الثانى .

وأود هنا أن أشير إلى أن الهدف من ترجمة هذا الكتاب دعوة الباحثين إلى تأصيل نظريات نقد العهد القديم التى تطورت فى الغرب فى ضوء التراث الإسلامى ، حيث لا يمكن فصل نشأة نقد العهد القديم وتطوره عن نشأة وتطور الدراسات العربية الإسلامية وتطورها فى الغرب .

وما كان هذا الكتاب ليرى النور لولا التشجيع الدائم والمستمر من أستاذى العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمد خليفة حسن ، وقد أفدت كثيرا من ملاحظاته القيمة ، التى أضفت على الترجمة وأسلوبها جمالا وروعة يلحظها القارئ فى كل صفحة من صفحات الكتاب ، فلتوجه لسيادته بخالص الشكر والتقدير والعرفان . وأشكر المجلس الأعلى للثقافة لاهتمامه بنشر هذه الترجمة التى أرجو أن تحقق هدفها .

أحمد هويدى

مقدمة

اعتاد مؤلفو المداخل للعهد القديم أن يذكروا في مقدمة كتبهم - بإيجاز شديد وفي خطوط عامة جدا - تاريخ نقد العهد القديم . وباستثناء تلك الصفحات المعدودة والمقالات الموسوعية المنفصلة لم يكتب في أي لغة كتاب قائم بذاته عن تاريخ تطور هذا الفرع العلمي ومنهجه ، الذي تحمس له عباقرة الفكر منذ الأزل .

وإذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بنقد العهد القديم عند أمم العالم ، فمن الأولى ذكر ما يتعلق بمحاولات نقد العهد القديم بين اليهود ، فعلماء الأمم ينظرون إلى الفكر العبري كله بمثابة إرث للماسورا ، ولم يذكروا في عروضهم الموجزة للباحثين أي باحث عبري . باستثناء بعض الأسماء من العصر الوسيط ممن كان لهم حظ الانتشار على يد باحث غير يهودي . واعتبر بحث العهد القديم علماً أجنبياً في نظر رؤساء المتحدثين في الدوائر اليهودية لفترة طويلة . وفي نفس الوقت لا يوجد مقال شامل باللغة العبرية عن تاريخ نقد العهد القديم عند اليهود . وفي نفس الوقت عرف الميراث الأدبي منذ عصر الجاؤونيم ، وتوصل بعض كبار المفسرين إلى القيم العلمية ، وأفاد العديد من الأثريين من الكنوز التي كشفت في العالم . وفي الأدب الجديد يمكن كشف بعض المحاولات من جانب الباحثين اليهود لوضع أساس يهودي لهذا العلم . وتجمعت ثروة كبيرة من الأبحاث والأفكار والآراء التي توحدت حول وجهة نظر معروفة ، وحول ابتكار محدد واحد لنظرية محددة .

من أجل تحقيق هدفنا وهو أن نقدم للقارىء العبري علوم العهد القديم بكل ثقافتها الأساسية ونوجه فكره تجاهها لا يمكننا أن نكتفي بهذه الدائرة الضيقة التي كونها آخرون لأنفسهم . فقبل أن نسير في طلب البحث العلمي في الخارج رأينا من الواجب علينا أن نغوص وسط الفكر العبري ، ونحاول أن نلفت نظر المهتم العبري بقسم بحثنا نحن الذي لم يتوقف منذ تكوينه وحتى الآن .

وفي هذا العرض - كما في الأجزاء التي ستظهر مستقبلاً - رأينا على قدر استطاعتنا ألا نسعى وراء كثرة التفاصيل سواء في القسم العبري أو في القسم العام، وألا نسمح للقارىء أن يضل الطريق بين اضطراب النظريات والاتجاهات العديدة .

وقد كان أساس رغبتنا أن نبرز أساس العمل ، أى الطريق الأساسي الذى يرتقى من مرحلة إلى مرحلة ، ولم تكن أمامنا أهداف ببليوجرافية ، ولذلك لا يبحث المتصفح الكتاب عن هذه الزاوية . ولم يكن غرضنا سوى أن نقدم تطور نظرية النقد ، لذلك نشير إلى التفاصيل التى توضح طبقا لوجهة نظرنا حلقات التطور .

وكما قلنا ، فلم تدخل فى المناقشات آراء العلماء حول نظرياتهم أو آراء الذين دخلوا فى الصراعات دفاعاً عن مادة التوراة . ومن خلال حرب الآراء برزت النظرية العلمية ونقحت وتطورت ، وليس لنا هنا إلا أن نعبر عن هذا التطور فقط .

وحتى الآن لم يكتب كتاب شامل عن الموضوع ، ولكنه بحث فى فصول متفرقة من قبل الكثيرين . واهتم بعضهم بالموضوع بشكل كاف . ومن القسم العام نذكر كتب المقدمات لـ : هولتسينجر وكورنيل واشتوير ناجل واشتراك واستيفل صاحب كتاب «مصادر التوراة» والمقالات المفصلة لبينتش وجونكل فى المجموعة الموسوعية « الدين فى التاريخ والعصر الحاضر » . ومن القسم العبرى نشير بوجه خاص إلى ى . ل تسونس و أ . هـ فايس والبروفسير أ . أ فتوفيسر و د / ايزنشت و د / ش فوزننكسى والبروفيسور ش . شاختر والبروفسير زنيف باخر وأفراهام أفشتاين والبروفسير ملتر و د / روزن ، ود / جوتمان وغيرهم ، فكتبهم ومقالاتهم كانت لنا معينا .

وهذا الكتاب ثمار عمل مشترك سواء فى خطته أو فى تفاصيل أقسامه ، ويعتبر م . سولوفيتشيك مسئولا عن مضمون الفصل الخامس ، والفصول من السابع حتى الحادى عشر . كما يعتبر ز . روفشوف مسئولا عن الفصول من الأول وحتى الرابع ، والفصل السادس ، والفصلين الثانى عشر والثالث عشر . وقد قام روفشوف بتحرير كل فصول الكتاب .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الأول

تثبيت العهد القديم

١- التفسير في العهد القديم

متى بدأت في إسرائيل مواجهة مشاكل النصوص الموجودة في الكتابات المقدسة ؟ ومتى بدأ البحث ... عن أسس ترتيبها وكشف المعاني غير المقبولة فيها ؟ بدأ ذلك في نفس الوقت الذي نزل فيه إلى العالم وحُدد فيه مفهوم الكتاب المقدس .

إن تفسير هذا الأدب الذي تم جمعه واكتسب درجة من القداسة لم يكن ليتم إلا بعد دراسة متعمقة في كل أقسامه . وقد وجد الأنبياء المتأخرون أقوال الأنبياء السابقين مجموعة أمامهم فعكفوا على دراستها وتنقيحها من أجل نقدها أو للاعتماد عليها وتفسيرها .

وهناك إشارات نقدية أولية داخل مادة العهد القديم الموجودة حاليا ، وأول هذه الإشارات في التوراة "... مفتقد إثم الآباء في الأبناء وأبناء الأبناء في الجيل الثالث والجيل الرابع" (الخروج ٣٤: ٧)، ثم أعلن حزقيال : "مالكم أنتم تضربون هذا المثل على أرض إسرائيل ... وأنتم تقولون لماذا لا يحمل الابن من إثم الأب ... النفس التي تخطئ هي تموت . الابن لا يحمل من إثم الأب ... بر البار يكون عليه وشر الشرير عليه يكون" (حزقيال ١٨: ٢، ١٩-٢٠)، وتنبأ النبي إرميا قائلا "إني عند تمام سبعين سنة لبابل أتعهدكم وأقيم لكم كلامي الصالح بردكم إلى هذا الموضع (إرميا ٢٩: ١٠)، ثم أعلن دانيال "سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا " (دانيال ٩: ٢٤) .

وأدرك باحثو العهد القديم من التلموديين أثر هذا النقد ، وأشاروا إلى أنه : "يوجد أحيانا نصان متناقضان فيأتي النص الثالث ويحسم هذا التناقض بينهما " . وعلى ما يبدو لم تكن آراء الأنبياء متفقة فيما يتعلق بأساليب النقد وكيفية فهم التوراة المعترف بها عندهم . وإذا تنبهنا بإصغاء لأقوال النصوص ربما يتسلل إلينا صدى انقسام قديم بين مؤلفي العهد القديم المتأخرين حول طرق فهم الكتابات المقدسة السابقة عليهم . فالنبي إرميا غضب غضبا شديدا على رجال التوراة في عصره ، وأعلن : "كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا حقا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب" (إرميا ٨:٨) . وقد علق هـفايس قائلا : "لم نستطع حقا معرفة ما هو الكذب الذي قصده النبي إذ يتضح أن هؤلاء الكتبة كتبوا أقوالا متصلة بالتوراة ... وفسرت التوراة من طرفين متناقضين ، واختار كل واحد من الطرفين لنفسه طريقا في تفسير التوراة وفهمها" (كل جيل ومفسروه ١، فصل ٢) .

٢- تقسيم الأسفار وتثبيتها

بعد أن انتهى تأليف العهد القديم وحان وقت جمعه وتدوينه ، لم يستطع مثبتو العهد القديم إتمام عملهم حتى يضعوا أسس هذا البناء وإخضاعه لوجهة نظر روحية واحدة. ويتمثل هذا الإدراك الواضح والعميق للذين ثبتوا العهد القديم في وحدة الألوهية السائدة في الأسفار الأربعة والعشرين . وعلى الرغم من ذلك فهم لم يهملوا التغاضي عن التناقضات المختلفة بين الأسفار ولم يتحولوا عن رأيهم ورأى الجمهور . ولذلك كان من الضرورى القيام بعمل روحى كبير لتثبيت النصوص في موضعها ، وإبراز وحدتها وشموليتها إلى حد التعتيم على الأنماط الخاصة لكل واحد منها .

وتمثل روايات التلمود عن "أرادوا الإخفاء ولم يخفوا" شاهدا على الصراعات التى واجهها مثبتو العهد القديم مع المادة المقدسة السابقة عليهم .فحسب رواية التلمود تعرضت أسفار حزقيال ونشيد الأناشيد والجامعة لخطر الإخفاء . وهاهى الأسفار الخفية ذاتها تمثل شواهد على حدوث ذلك . وكما ورد فى (شبات ١٢:٢): "لا تنس الرجل الطيب حنانيا بن حزقيا بن جرون والذى لولاه لاختفى سفر حزقيال لأن أقواله تناقض أقوال التوراة ... فماذا عملوا ؟ لقد قدموا له ثلاث مائة جرة سمن وجلس فى العلية ووعظهم" . إن فضل حنانيا يبدو فى الكشف عن آراء الفرق وعمل جامعى العهد القديم وسبل التغلب على التناقضات العديدة بين الأسفار وعن جمعهم لأدب كامل للأجيال المختلفة أنجزوه من خلاله سفر الأسفار .

٣- مقارنة النسخ

وبعد أن تم اختيار الأسفار الأربعة والعشرين من بين المؤلفات الأدبية التى كانت قبلهم وفى عصرهم أعلنوا قدسيتها وتم الاعتراف بها عند اليهود . وظل هناك عمل مهم وهو تحديد النص المضبوط فى كل تفاصيله ، حيث وجدت فى أماكن مختلفة نسخ متعددة من الأسفار لم تكن متطابقة فى كل قواعدها ، كما لم يتفق الجميع على رأى واحد حول أفضل النسخ . وقد حفظ لنا الأدب التلمودى (انظر على سبيل المثال بابا مصيصا ٢٧: ١، شبوعوت ٢:١٠ ، نباحيم ٢:٤٨، مناحوت ٢:٤٣، تمورا ١٨: ٢، الأورشليمى زوطة ٨٨، ومواضع أخرى كثيرة) أثر هذه الاختلافات على القراءة الصحيحة للنص . وعلاوة على ذلك ، فقد حفظ لنا التلمود شواهد أكيدة عن الكيفية التى قارن بها الحكماء النسخ المختلفة التى وصلت إليهم ، وكيفية تحديد أقدمية النسخ

وأى النسخ أحق بالأقدمية. فالربى شـمعون بن لكيش يحدد فى بحث الكتبة (الفصل ٦) قائلا : "ثلاثة أسفار وُجدت فى عزرا : سفر المئوى وسفر الطفل وسفر هى . ووجد مكتوبا فى السفر الأول "حصن" وفى الثانى "الإله القديم حصن " (التثنية ٣٣:٢٧) فحفظ الثانى وألغى الأول . ووجد فى الأول نص "وأرسل إلى أطفال بنى إسرائيل" وفى الثانى نص "وأرسل فتيان بنى إسرائيل (الخروج ٢٤: ٥) فحفظ الثانى وألغى الأول ووجد فى الأول نص إحدى عشرة مرة ووجد فى الثانى نص " إحدى عشرة مرة هى" فأبقوا على الأول وألغوا الثانى .

ومعنى هذا أنه كان هناك أسلوب محدد لقواعد نقد مادة العهد القديم . وطبقا لرأى بعض الباحثين فقد كان أسلوب المقارنة يمثل عندهم خطا قياسيا فى حسم بقية المواضع المشكوك فيها ، وعلى هذا الأساس قدموا النسخة المعترف بها الآن .

٤- المقروء والمكتوب . تعديلات الكتبة

بدأ عمل الماسورا اعتمادا على إقرار العهد القديم وتثبيته . وتتمثل موضوعات بحث الماسورا فى : أعمال الكتبة الذين كلفوا بنسخ لفائف التوراة ، والذين حدث فى عصرهم وعلى أيديهم تغيير الخط العبرى المعروف باسم الخط الأصلى للنصوص إلى الخط الأشورى المربع ، الذى لا يزال مستخدما حتى الآن . ويضاف إلى ذلك عمل أصحاب العهد القديم الذين كانوا يقرأون التوراة على الجمهور فى المعابد ومعهم أيضا معلمو الأطفال . فلم يتوقف فى عصرهم تعديل النص وتطويره لتوضيح أقدم النسخ وأكثرها صوابا – طبقا لرأيهم – من بين النسخ السائدة عند الجمهور ، والتدقيق فى النص المعترف به . وهناك العديد من الشواهد الموثوق بها ، التى تُظهر إلى أى مدى رأى الكتبة أن من واجبهم فحص النص المعترف به . ومن هذه الشواهد : التعديلات العديدة التى أدخلوها فى هامش الصفحة بمثابة "المقروء وليس مكتوبا" و "المكتوب وليس مقروءاً" ، وكذلك إضافة كلمات (صموئيل الثانى ٨: ٣ ، ١٦: ٢٣، إرميا ٣١: ٢٧، ٥٠: ٢٩، روث ٣: ٥ و١٧)، وأيضا حذف كلمات (الملوك الثانى ٥: ١٨، إرميا ٣٨: ١٦، ٥١: ٣، حزقيال ٤٨: ١٦، روث ٣: ١٢)، وهناك أيضا العديد من الحروف والكلمات التى وضعوا عليها نقاطا لتكون علامة على شكهم فيما إذا كانت القراءة المعترف بها صحيحة (التكوين ١٦: ٥، ١٨: ٩ ، ١٩ : ٣٣ ، ٣٣ : ٤، ٣٧: ١٢، العدد ٣: ٣٩، ٩: ١٠، ٢١: ٣٠، ٢٩: ١٥، التثنية ٢٨: ٢٩) . كل ذلك بالإضافة إلى تعديلاتهم الثمانية عشرة التى كانوا من خلالها يغيرون الكلمة غير الملائمة لوجهة نظرهم عن قيمة وأهمية السفر بكلمة أخرى أفضل فى رأيهم .

٥- الفرق والعهد القديم

عندما اختلفت الآراء في فلسطين ، وثارت نزاعات دينية بين الصدوقيين والفريسيين كانت التوراة قد تم تثبيتها وموجودة بالفعل . ولم تستخدم اختلافات النسخ أساسا للخلاف ، غير أنهم انقسموا جدا حول أساليب فهم النصوص وطرق بحثها . وإذا كان هناك ثمة أساس لوجهة النظر بأن سفر العهد الذى نشره البروفيسور شاختر فى وثائق الجنيزا القاهرية قديم ويعود أصله إلى زمن الهيكل فإنه جدير بالاهتمام أيضا ملاحظة أن كتابات الجنيزا هذه لم تكن موجودة وكما يبدو ، فإنه يوجد تشويه كامل لتعديلات النص ، حيث يتضمن السفر فى وسطه بعض المواضع من الكتابات المقدسة التى لا تفوق فى نفس الوقت نص الماسورا المتوافر حاليا "ما بعد دمشق – خيام دمشق" (عاموس ٥: ٢٧)، "عورة أخت أمك لا تكشف – لا تقترب من أخت أمك" (اللاويين ١٨: ١٣) "إنذارا تنذر صاحبك. إنذارا تنذر صاحبك" (اللاويين ١٩ :١٧) وما يشبه ذلك .

٦ ـ أساليب التفسير

. يعتبر الأدب التلمودى تفسيرا ضخما متنوعا لأسفار العهد القديم المقدسة التى عبر فيها يهوه عن إرادته التى أظهرها بواسطة عبيده الأنبياء . وأصبح من الضرورى منذ ذلك الحين فصاعدا استخدام هذه الأسفار أساسا ومصدرا لكل نتاج الأمة المستقبلى، وكل تلميذ محنك قام بالتجديد فيما بعد فإنه كان يجدد على أساس هذه الكتب وما ورد فيها . وبقدر ما بدأ الأدب التلمودى يتسع ويتشعب ، تم الاهتمام بفحص أغوار العهد القديم والتمسك بكل ذرة أو إشارة فيه . وقد قيل عن نحونيا بن هنقه أنه يفسر التوراة كلها إجمالا وتفصيلا . وقيل عن ناحوم إيش جمزوا أنه كان يفسر التوراة بإسهاب واختصار . وقد تعلم تلاميذهم منهم وأضافوا من عندهم . فالربى عقيبا كان يفسر كل حرف، ووضع الربى يشمعيل ثلاث عشرة قاعدة على أساسها تفسر التوراة ، وعنها تشعبت طرق البحث التلمودى .

وقام الربى إليعازار بن الربى يوسى الجليلى بجمع ما سبق وتوضيحه وشرحه وتوسيع حدوده ، ومن خلال الاثنين وثلاثين قاعدة التى على أساسها تفسر التوراة حدد منهجا مفصلا لطرق توضيح النصوص المقروءة . وبتعبيرات مختصرة حدد الأسس العامة لقوانين تفسير جديدة تؤكد على حدة فى الذكاء والاستنباط ، وقوة التأليف . وقد سادت قوانين تفسيره فى كل النصوص التى ليس بها معنى مرتبط بالشريعة ، وذلك

على عكس معلميه السابقين له . فكانوا يقولون حتى عصر التلمود: "أى موضع لا تجد فيه أقوال الربى اليعازار بن الربى يوسى الجليلى صم أذنيك" . ومن أساليبه ما يلى : ("تلاوة موجزة" ، "تعديل الكتبة" ، "المتقدم الذى هو متأخر فى الموضوع" ، "المتقدم الذى هو متأخر فى الأقسام"). واستخدم علماء النحو فى الأندلس هذه الأساليب ، كما استخدمها أيضا الباحثون اليهود فى القرن التاسع عشر ، واعتبروها أساسا ثابتا وربطوا بها تجديداتهم النقدية .

٧ ـ التلمود والعهد القديم

لكن هذه المهمة التى حملها أصحاب التلمود الكتابات المقدسة هى التى حثتهم على صرف تفكيرهم عن التغييرات والاختلافات الموجودة داخل الكتابات المقدسة ، وكذلك الإشارة إلى زمن حدوثها ومؤلفيها . وركزوا انتباههم وانتباه الشعب على الروح الواحدة السائدة فى الأسفار وأقسامها وجعلها سفر الأسفار الواحد والمميز . وبشكل مقصود تخلى معظمهم عن المحافظة على الماسورا القديمة وإعلانها للأجيال مثل من كتب هذه القطعة ؟ ومن ألف هذا السفر ؟ ومتى وعلى يد من جمعت هذه الأقوال ؟ وما التغييرات التى طرأت عليها ؟. وفى رأيهم تهتم هذه التفاصيل بما يتعلق بالجوهر . وليس هذا فحسب ، بل إنهم لم يحاولوا تقليل الأساس الذى يؤسس عليه الهيكل التلمودى . ومن الأفضل التركيز على الجوهر ؛ لأن روح إسرائيل قد تبلورت فى الكتابات المقدسة ، وكل ما أراد يهوه أن يكشفه للبشر أظهره من خلال إسرائيل . وبناءً على ذلك فإن أى قانون أو رأى أوما يتشعب عنها فإن مصدرها فى داخلها وهى مقدسة ، وواجبة علينا . وإذا حدث مصادفة أن قيلت هذه الأقوال فى فترة وتلك فى فترة أخرى ، أو قيلت هذه بواسطة راع وتلك بواسطة كاهن فإنها كلها أقوال الله وأبدية ، ونحن مكلفون بها وبكل ما يتفرع عنها .

وبناءً على ذلك فإن مؤلفى الأدب التلمودى رغم أن منابعهم متأصلة فى أسفار العهد القديم ، فإنهم لم يطوروا أى إحساس نقدى تجاهه ، ولم يقربوا العامة من منابع مؤلفهم . وليس هذا فحسب ، بل إن الأخبار عن تاريخ الأدب القرائى ونظام تثبيت العهد القديم ضئيلة جدا داخل الأدب التلمودى ، رغم أن مؤلفيه كانوا قريبين ـ إلى حد ما زمنيا وروحيا ـ من مجال العمل والعاملين فيه .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثانى

النقد فى التلمود

١ـ الماسورا وأحداث خاصة

لكل قاعدة استثناء . فالرأى المُسلم به هو أن موسى ألف الأسفار الخمسة ، وأن داود كتب سفر المزامير كاملا، وأن سليمان كتب نشيد الأناشيد والأمثال والجامعة ، وأن بنى إسرائيل تلقوا التوراة كلها فى الصحراء ، وما إلى ذلك . وعلى الرغم من أن هذا الرأى لم يرد فى التلمود بالتفصيل كقاعدة للبحث ، إلا أنه ساد وانتشر على كل الآراء والقواعد السائرة ، وأورثه الأدب التلمودى للأجيال التالية . وبالرغم من ذلك فقد حفظ الأدب التلمودى هذا الرأى ، وبجانبه ـ أيضا ـ ملاحظات وفرضيات وروايات وأحداث أخرى تعارض رأى الماسورا المُسلم به من النقيض إلى النقيض . فالقضايا الأولية لبحث الكتابات المقدسة ، مثل : كيف تفسر التناقضات العديدة الموجودة بين الأسفار وفى داخلها ، ومَنْ ألّفَ كل سفر من الأسفار ؟ ومتى ؟ وأين ؟ وما هى التغييرات التى طرأت عليها حتى أخذت صورتها الحالية ، هذه القضايا كانت الماسورا التلمودية عادة ما تتغاضى عنها بكياسة ، ولكن اهتم بها العديد من باحثى الكتابات المقدسة من بين علماء التلمود ؛ فهؤلاء كانوا يتعمقون فى البحث عن الرأى النهائى لكل فقرة ، فكانوا يفحصون ويبحثون ويتباحثون ، وفى بعض الأحيان كانوا يتوصلون إلى العديد من التناقضات التى لم تثر غضب باحثى العهد القديم فى كل العصور . وكشف هؤلاء المفسرون أنذاك عن ثغرات عديدة وظهرت بعد ذلك أساليب ومعطيات أخرى على يد باحثين أخرين ، وبمرور مئات السنين أعربوا عن تصورات وافتراضات صارت فى عصرنا علما .

ولم يتوقف مكملو التلمود عن إقحام أقوالهم تلك داخل أدب التلمود . ورغم أن الأجيال التالية لم تقتف أثر هؤلاء الباحثين ولم يواصلوا عملهم النقدى ، فقد حفظوا أقوالهم وأضفوا عليها درجة القداسة .

وفى الواقع فإن هذه الأقوال الجريئة المتفرقة كما هى محفوظة فى الأدب التملودى ، لم ترتق إلى درجة منهج ، ولم تُضم فى فكرة عامة واحدة . فالعديد من الإجابات التى فى الجمارا تفحص توضيح القضايا غير المتوقعة والمثيرة للجدل ، وذلك ليس لتحديد رأى فيها من أجل عصرها والأجيال التالية ، لكن من أجل الحفاظ على مكانة الماسورا وتصحيح البحث فيها وتقويم فحصها فى نظر المؤمنين بها . وكان التلاميذ يقولون عن ذلك وما يشبهه "معلمى ، رفض ذلك ، ولنا ماذا نقول ؟ ". ومع ذلك

فإن للأسئلة في حد ذاتها قيمة نقدية هامة . وهى تعثرت إما بسبب حيرة قلب السائلين من أصحاب التلمود وعمق منطقهم أو لأنها كانت مناسبة للحقيقة العلمية عند الأجيال المتأخرة .

٢ـ صدى الذكريات

لم يكن التأمل عميقا فحسب ، بل كان صدى الماسورا القديمة يتصاعد بسبب دهشة الكثير من المجادلين . فقد قصد مدونو العهد القديم الذين نظموا العمل فى الصورة التى عليها الآن الارتقاء بالعهد القديم إلى درجة القداسة المطلقة المتخطية للزمن والعصور التاريخية ولذلك تشجعوا لإبطال مراجعة الأجيال التى كُتب فى عصرها أى سفر من الأسفار. وهذه المعالجة التقويمية التى عُملت بعناء كبير وقدرة فائقة هى التى أعاقت عملية البحث للوصول إلى الصورة الأصلية لأسفار العهد القديم ، وجعلت عملية فحص الكتابات المقدسة صعبة ومعقدة . فقد طمست الماسورا الرسمية الماسورا القديمة .

وبناءً على هذا ، لم يكن سهلا بالنسبة للمهتمين بالعهد القديم فى عصر التلمود ـ لولا أنهم وجدوا ضرورة من تلقاء أنفسهم للتنبه إلى ذلك ـ التغلب على العقبات الأدبية التى قام بها مدونو العهد القديم إما عن طريق إغفالها أو إظهارها كأسلوب علمى قانونى . ويمكن أن تُسمع هنا وهناك فى الأقوال القليلة عند المتعمقين فى البحث – وفى استفسارات المجادلين ، وشروح أصحاب الأجادا – صدى لصوت الماسورا القديمة التى حُفظت على ما يبدو فى دوائر محددة ، وكانت لا تزال تذكر بالصورة القديمة لأسفار العهد القديم قبل أن تدخل فى طور التثبيت .

٣ـ مُؤلفو العهد القديم

وكما ذكرنا من قبل ، فإن التلمود بصورة عامة لا يفحص أسماء مؤلفى كل سفر من أسفار العهد القديم. غير أن بعض علماء التلمود حاولوا بقوة الكشف عن شخصية كل مؤلف من المؤلفين : فبحثوا ودرسوا هذا الموضوع بقدر ما استطاعوا . فعندما قرأوا فى التوراة مثلا : "ومات هناك موسى عبد يهوه ؟ ". جاء عن ذلك فى (مناحوت ٣٠: ١، بابا باترا ١٥: ١) ربما كان موسى حيا وكتب : "ومات هناك موسى"؟ أى إلى حد هنا كتب موسى فقط ، ومن هنا وما بعد ذلك فمن كتابة يشوع بن

نون. أما في البرايتا القديمة التي ترتب الأسفار المقدسة وتحدد أسماء كُتّابها ، فقد تكرر ما يلي : "يشوع كتب سفره" (بابا باترا ١٤:٢). ثم تستفسر الجمارا "وأملي ومات يشوع بن نون عبد يهوه ؟"، وتجيب "داسقيا اليعازار : وأملي ومات اليعازار بن هارون ؟ داسقيا فينحاس" (بابا باترا ١٥:١). وطبقا لأقوال نفس البرايتا فإن صموئيل كتب سفره ، وسفر القضاة وسفر روث ، "وأملي ومات صموئيل ؟ داسقيا جاد الرائي وناثان النبي" (نفس المصدر). وورد في البرايتا عن موسى "كتب موسى سفره وقصة بلعام وسفر أيوب"، وبما أنه فيما بعد اعتبرت قصة بلعام ليست ضمن توراة موسى ، فهم من ذلك أن كل أسفار التوراة لا تنسب إلى موسى بل تنسب له - فقط - أجزاء منها .

وعلاوة على ذلك ، فإنه في نفس الوقت ونفس الدوائر التي قيل فيها هذا الكلام ، فقد كانت هناك فكرة واضحة ومسلم بها بشأن مضمون سفر موسى ، وهذا التصور لم يكن متسقا بصورة مطلقة مع فكرة "توراة موسى" المُسلم بها في أقوال الماسورا . إن استبعاد قسم بلعام عن بقية أقسام التوراة يظهر أسلوب واختلاف بحث البرايتا . وكما يبدو ، فإن هذا الرأي قد استند على النص التالي "في ذلك اليوم قُرئ في سفر موسى ... ووجد مكتوبا فيه أن عمونيا ومؤابيا لا يدخل في جماعة الله ... لأنهم لم يلاقوا بني إسرائيل بالخبز والماء بل استأجروا عليهم لكي يلعنهم ، وحول إلهنا اللعنة إلى بركة" (نحميا ١٣:١-٢) ويعد ذلك برهانا واضحا على أن قسم بلعام مكتوب في سفر موسى . وعلى عكس الماسورا التقليدية التي تنسب إلى سليمان كتابة أسفار الأمثال ونشيد الأناشيد والجامعة ، فإن البرايتا نفسها تؤخر زمن هذه الأسفار وتنسبها إلى حزقيال وجماعته . وبما أن سفر الملوك ينتهي بالمعاصرين لإرميا فإن البرايتا تنسبه إلى إرميا. وعلاوة على ذلك فإن البرايتا تنسب أسفار حزقيال ودانيال وأسفار الأنبياء الاثنا عشر ومجلة أستير لأعضاء المجمع اليهودي الأكبر . والرأي الذي كان مُسلما به كقانون من قبل باحثي العهد القديم يرى أن سفري أخبار الأيام يتضمنان في داخلهما وجهة نظر أبناء الهيكل الثاني ، وأنهما كتبا بروح الكهانة التي كانت سائدة آنذاك، وقد توصل دارسو البرايتا أيضا إلى هذا الرأي ونسبوا أخبار الأيام إلى عزرا ، وأشاروا : "كتب عزرا سفره ، ونُسب له سفرا أخبار الأيام". وتظهر حقيقة أن السفرين التاريخيين - الملوك وأخبار الأيام - يبحثان موضوعا واضحا ، وأن الأول منسوب إلى إرميا النبي الثاني إلى عزرا الكاهن . تُظهر هذه الحقيقة بوضوح إلى أي مدى تعمق دارسو البرايتا وعدلوا في بحثهم ، وما هو الأفضل في رأيهم .

وهناك من الباحثين من لم يكتف بأقوال البرايتا ، بل تعمق في البحث في مضمون كل سفر وحجم نتاج كل نبي داخل الأسفار نفسها ، ولم يخشوا إخراج نصوص من عند هذا النبي ونسبتها إلى نبي آخر. فعدلوا في البرايتا نفسها : "إرميا كتب سفره". وفي رابتي المراثي (المقدمة ٣٤) تدهش القيود "إلى هنا كانت نبوءة إرميا ؟ ربي يعقوب وربي أبا ، وسجلت أقوال الربي إليعازار وربي يوحنان ما يلي: قال الأول حتى "مبدد إسرائيل يجمعه " (إرميا ٣١: ٩) وبعد ذلك قال بلغة الماضي "لأن الرب فدى يعقوب"، وهو ما لا يمكن أن يكون قد قاله إرميا ، وقال الثاني حتى "ولا يوجد رجاء لآخرتك يقول الرب . فيرجع الأبناء إلى تخمهم(٣١ :١٦) ويقال في (سفري التثنية ١)" كتب إرميا سفرين ، الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الخامس والأربعين ، والثاني من الإصحاح الخامس والأربعين حتى الإصحاح الحادي والخمسين ولم يكتب ما بعد ذلك .

ووجد الربي سيمون في سفر إشعيا عبارتين لم يصدرا على ما يبدو عن إشعيا، ولذلك أصر على إلغائهما ونسبتهما إلى آخر " قال الربي سيمون : رأيي أنه لم يتنبأ بعبارتين ولم يأت بهما في السفر ، وتم معالجتهما في إشعيا وهما : "وإذ قالوا لكم اطلبوا إلى أصحاب التوابع والعرى المشققين والهماسين (إشعيا ٨:١٩ ـ٢٠، وأنظر رابا اللاويين ٦). ومن خلال هذا القول المأثور للربي سيمون نهج بعض الباحثين ومنهم الربي نحمان كروكمل (دليل حائري العصر ، فصل ١١). ويستنتج من ذلك أن باحثي العهد القديم التلموديين كشفوا عن رأيهم بأن كل مادة الإصحاحات الست والستين في سفر إشعيا ليست من أقوال إشعيا بن آموص . وربما توجد نواة لتكون بمثابة دعم لأقوال هؤلاء الباحثين ، وذلك في ترتيب أسفار الأنبياء الذي تبحثه البرايتا (بابا باترا :١٤) حيث تحصي البرايتا إشعيا بعد حزقيال وذلك على عكس المألوف في الماسورا وعكس أقوال النص الأول لإشعيا . ويمكن أن نفهم أيضا من أقوال فصل مكوت (١:٢٤)" جاء داود لإقامة وصايا الرب وأصر على إحدى عشرة ... وجاء إشعيا وأصر على ستة لأن نص (إشعيا ٣٣) : السالك بالحق والمتكلم بالاستقامة ... وجاء ميخا وأصر على ثلاثة ... وعاد إشعيا وأصر على اثنين "هكذا قال يهوه احفظوا الحق وأجروا العدل" (إشعيا ٥٦) .

٤ ـ تداخل أقوال الأنبياء

غير أن هذه الأقوال التي قيلت بتفصيل كاف تُظهر إلى أي مدى اهتم علماء التلمود بتوضيح شخصية المؤلفين ، حتى وإن بدت أقوالهم مناقضة للرأى السائد فى المدارس الدينية اليهودية . فقالوا عن عوبديا النبى أنه هو نفسه عوبديا الذى خبأ مائة نبى فى مغارة عند إبادة إيزابيل عبادة يهوه (سنهدرين ٣٩:٢). وفى رأيهم أن يونا بن أمتى الذى تنبأ فى نينوى هو يونا بن أمتى من جت حافر المذكور فى سفر الملوك الثانى (١٤ : ٢٥) (يباموت ٩٨: ٢)، وأن زكريا بن برخيا النبى هو نفسه زكريا بن يفرخياهو المعاصر لإشعيا والمذكور فى سفره (إشعيا ٨: ٢) (ماكوت ٢٤ :٢) . ويحثوا فى سفر ناحوم ووجدوا أن العبارة الثانية من الإصحاح الأول لا تتناسب مع الفقرة الثالثة من نفس الإصحاح ، ولذلك أشاروا "بأنه يوجد تداخل فى الأقوال ، وأن من قال هذا لم يقل تلك" (توسفتا زوطه ٩) .

واختلفت الآراء بشأن مؤلف سفر ملاخي فهناك من يقول إنه مردخاى ، وهناك من يقول إنه عزرا (مجيلا ١:١٥). وقد أدرك العديد من باحثى العهد القديم التلموديين وأعربوا أكثر من مرة أن سفر المزامير مركب من مزامير مختلفة تعود إلى فترات متعددة ، وأنه لا يمكن أن يكون داود قائلها . ففى البرايتا المذكورة (بابا باترا ٢:١٤) اختلفوا فقالوا : "كتب داود سفر المزامير بمساعدة عشرة شيوخ" ، وقالوا بعد ذلك فى شكل أكثر دقة "قال سفر المزامير عشرة شيوخ" (رابا نشيد الأناشيد٤). وعندما وصلوا لإعلان أسماء هؤلاء الرجال المتضمنة مزاميرهم فى سفر المزامير بدأوا بآدم وانتهوا بعزرا (المصدر السابق ، رابا الجامعة ٢٩:٧) . ومعنى هذا أنه قد اشترك فى تأليف المزامير عدة أجيال مختلفة ومتباعدة عن بعضها البعض ، أى من بداية أدب العهد القديم وحتى نهايته . ولم يكن لدى الباحثين أى صدى للماسورا أو وجهة نظر محددة بشأن إصحاحات محددة ، ولكن المشنا كانت تعرفها (بصاحيم ١١٧ :٢)" أجاز ربى هليل ما قالوه ؟ فالربى اليعازار يقول قاله موسى وردده بنو إسرائيل وقت وقوفهم على البحر ... ويقول الربى يهوشع " : (هكذا يقرأ نحمان كروكمل فى دليل حائرى العصر ، فصل ١١) قاله يشوع ورردده بنو إسرائيل عندما انتصر عليهم ملوك كنعان ... ويقول الربى إليعازار المودعى : قاله دبورا وباراق وقت انتصار سيسرا عليهم ... ويقول الربى اليعازار بن عزريا :قاله عزرا وجماعته وقت انتصار سنحريب عليهما ... ويقول الربى عقيبا قاله الربى حننيا مشائل وعزريا وقت انتصار نبوخذنصر عليهم ... ويقول الربى يوسى الجليلى : قاله مردخاى وأستير وقت انتصار هامان

عليهم ...". وعلى كل حال فإن داود لم يقله ، وسُمح لكل باحث بفحص النصوص ، وعلى هذا الأساس يتم تحديد مؤلفي المزامير وعصورهم سواء تم التأليف قبل عصر داود أو بعده.

٥ ــ مثبتو العهد القديم

اشتغل بعض علماء التلمود بقضية تدوين العهد القديم أو تثبيته ، وتعمقوا في هذه القضية وأعربوا عن آراء مدهشة في اكتشافها حتى الآن . وبالفعل فقد أشار الربي نحمان كروكمل (دليل حائري العصر ، في بداية الفصل ١١) إلى المقال المدهش في عمقه والمتسامي في بساطته والمذكور (في سفري فصل المكافأة) . "ما أجمل الحدث في حينه ، فلولا أصر شافان في عصره ، وعزرا في عصره ، وربي عقيبا في عصره لكانت التوراة قد نُسيت في إسرائيل . ويبدو كما لو أن هذه الأقوال قد قيلت في عصرنا نحن ، وذلك بعـــد أن حدد نقاد العهد القديم المحدثون نظرية القوانين الثلاثة : الأول في عصر يوشيا (كاتبه شافان) ، والثاني في عصر عزرا ، والثالث في نهاية القرن الأول . وعلى كل حال توجد في أقوال التلمود بعض الإشارات الذكية التي تنسب تثبيت (تدوين)العهد القديم إلى عزرا ومعاصريه . ففي التلمود الأورشليمي (مجيلا ٨١ : فصل ٥ فقرة ٩) يُقال : "من الجدير أن التوراة كانت سوف تعطى إلى عزرا لولا سبقه جيل موسى" . وفي فصل الآباء لربي ناثان (فصل ٣٤) عدل وورد "هكذا قال عزرا ، إذا جاء إلى إلياهو وقال لي لأجل من كتبت ، أقول له سبقتُ ووضعت عليها التشكيل ".

٦ــ الأسلوب

لم يكن الحـــديث عن الأسلوب مـجهولا لدى بعض مفسري العهد القديم التلموديين ، بل اعتنوا ـ أيضا ـ بالصور اللغوية للأسفار . فقد توصلوا إلى معرفة القرابة الأدبية بين سفر التثنية وسفر يشوع ، فنقرأ في التكوين رابا (١٤:٦) "تم صياغة سفر التثنية بأسلوب يشوع". وهذه القرابة بين السفرين تم الاعتراف بها كنظرية في البحث العلمي ، ورغم ذلك لم يكن رأيا فريدا . فنجد في نذاريم (٢:٢٢) أن الربي أدى بر حنينا يضم سفر يشوع لأسفار التوراة الخمسة (لولا أن أخطأ بنو إسرائيل ما منحوا سوى أسفار التوراة الخمسة وسفر يشوع فقط). وقالوا عن عاموس :لماذا سُمي عاموس ؟ لأنه كان ثقيلا في لغته (اللاويين رابا ٢:١٠)، وقالوا عن

نشيد الأناشيد أنه "الأروع في الأناشيد والأكثر شهرة وتعميقا فيها"(نشيد الأناشيد رابا ١)ونبهوا إلى أهمية درامية فاعلة في سفر ملاخي ، فقالوا " معاصرو ملاخي: إنه كان يتكلم وهم يجيبون " (مدراش تنحوما فصل المنح "تروما"). وقالوا عن سفر يونا إنه سفر روائي ووضعه ليس بين أسفار الأنبياء ، فقالوا . "باستثناء سفر يونا الذى هو سفر قائم بذاته" (مدراش رابا العدد ١٨). وبصورة عامة حددوا : "ازدهر أسلوب واحد لبعض الأنبياء ، ولكن لم يتنبأ نبيان بأسلوب واحد" (سنهدرين ١:٨٩) .

وعلاوة على ذلك فقد كان منهم من أدرك بأنه دُمجت في مادة التوراة بعض الأساطير والأناشيد القديمة جدا ، والتي يسبق زمنها ، زمن أي سفر من أسفار الكتابات المقدسة ، وأنها كانت منتشرة بين بني إسرائيل قبل ذلك . ويُسمع صدى هذا الرأى أو تلك الماسورا القديمة في جدل الأمورائيم الأوائل في (جيطين ٢:٦٠) سواء مُنحت التوراة لفيفة لفيفة أو منحت كاملة . وترد في مدراش رابا (الخروج ٢٦:٥) الأسطورة التالية "هكذا قال موسى أمام يهوه سبحانه وتعالى ، تلقيت سفر التكوين وقرأت فيه ورأيت أعمال جيل الطوفان ... وأعمال جيل بلبلة الألسن ... وسدوم "، ويقال في موضع آخر وبتفصيل أكثر" يفهم من هذا أنه كان في أيديهم (إسرائيل في مصر) لفائف لفائف أعجبوا بها " (مدراش رابا الخروج ٢٢:٥) .

وفيما يتعلق بالأنشودة الشعبية القديمة " ارتحال التابوت" ، أدركوا بالفعل أنها تأليف قائم بذاته وموضوعة في موضع غير مناسب ، وقالوا عنها بالتفصيل ، ليس هذا موقعها (شبات ٢:١١٦). ويقول الربي شمعون بن جمليئيل: "مستقبلا يحذف هذا القسم من هنا ويوضع في موضعه " . وقيل بشكل أكثر دقة في يوما(١:٧١) "يحذف كل هذا القسم : قيل باستثناء هذه العبارة "

٧ - التناقضات داخل التوراة

وجد النقد العلمي تناقضا بين حدثي الخلق الأول والثاني المذكورين في سفر التكوين وتمت نسبتهما إلى مصدرين مختلفين . وبالفعل فقد شرح باحثو العهد القديم من التلموديين هذا الغموض. ففي حجيجا (١:١٢) انقسم سبط شماي وسبط هليل ، "يقول سبط شماي السماء خُلقت أولا، لأنه ورد في سفر التكوين (١:١)" في البدء خلق الله السماوات والأرض" ، وأما سبط هليل فيقول خُلقت الأرض أولا حيث يرد النص "يوم عمل يهوه الإله الأرض والسماوات: (٤:٢). ويستفسر المجادل في التلمود الفلسطيني في براخوت (١: فصل ٥ فقرة ٣٥) عن "وأكملت السماوات والأرض" ،

وعن كيفية النص في التوراة : "هذه مواليد السماوات والأرض" . و يطابق الربي يهوذا النص في التكوين(٢٧:١)" فخلق الله الإنسان "والنص (٢:٥)" خلقهم نكرا وأنثى" (كتوفوت ٨: ٢، عروفين ١٨: ١). وفي موضع آخر سألوا الربان جملئيل ، يقول نص التكوين (٢٠:١)" وقال الله لتفض المياه زحافات ذات نفس حية وليطر طير ... "لولا خلقوا من الأرض . ويقول نص آخر (التكوين٢:١٩)" وجبل الرب الإله من الأرض كل حيوانات البرية وكل طير السماء، لولا خلقوا من الأرض"(حولين ٢:٢) .

وعلاوة على ذلك أدركوا التكرار والتناقض السائد بين مصدر سفر التثنية ومصادر التوراة الأخرى ، فيرد في سفر التثنية (٨:١٦) "ستة أيام تأكل فطيرا" : وأما في سفر الخروج(١٥:٢٣) يرد "سبعة أيام تأكل فطيرا"، فكيف يكون ذلك ؟ (سفرى فصل المقول: ١٢). ويوجد في سفر الخروج (٧:٣٤) "مفتقد إثم الأباء في الأبناء" ، وفي سفر التثنية (١٦:٢٤) يكون النص: "لا تموت الأبناء عن الأباء". ألا يعني ذلك تبادلا (براخوت ٢:٧). ويرد في سفر التثنية (٦:١٠) ما يلي "وبنو إسرائيل ارتحلوا من أبار بني يعقان إلى موسير . هناك مات هارون ، فكيف مات هناك ؟ وقد مات في جبل هور حيث يرد في سفر العدد (٣٨:٣٣) "فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ومات هناك" التلمود الأورشليمي يوما ١: الفصل ٥، الفقرة ٣١). ويرد في سفر الخروج (٢٠:١٩) النص التالي : "وهبط يهوه على جبل سيناء إلى قمة الجبل". أما في سفر التثنية(٣٦:٤) يكون النص: "من السماء أسمعك صوته" (سفرا اللاويين ١) .

وقد توصلت مدرسة فلهاوزن إلى هذه الاختلافات الموجودة في قوانين التوراة المرتبطة بقواعد العبادة ، والتي على أساسها قسمت التوراة إلى مصادر مختلفة . ولم تكن هذه التغييرات مجهولة عند بعض الأمورائيم ، بل أشاروا - أيضا - إلى عصور تدوينها : "مرة ثانية ، يقول الربي يشمعيل . قيلت عامة في سيناء ، وفصلت في خيمة الاجتماع ؛ ويقول الربي عقيبا قيلت شاملة ومفصلة في سيناء ، ومرة ثانية في خيمة الاجتماع ، وللمرة الثالثة في صحراء مؤاب" (حجيجا٢:٦، نباحيم١٠١:٢)، ويفسر الربي شلومو يتسحاقي قائلا: "قيلت العديد من الأوامر غامضة في سيناء ... حيث لم تفصل هناك قواعد العبادة كلية باستثناء ما هو ضروري : "مذبحا من تراب تصنع لي وتذبح عليه مُحرقاتك وذبائح سلامتك" (الخروج ٢٠:٢١). وأما في سفر توراة الكهنة أي سفر اللاويين فقد فُسرت كل قواعد القربان، ويشمل أوامر كثيرة" (حجيجا ٢:٦). ثم يظهر ميخا يوسف برديتشفسكي الذي تعمق في نهاية حياته في بحث أصول نقد العهد القديم عند اليهود ، وأدرك أن ابن عزاي حدد في مقال له ، أن كل مصادر

التوراة لم تذكر اسم الرب بدرجة متشابهة . ومن خلال فحص ابن عزاى وجد أن كل القرابين المذكورة فى التوراة لم تذكر الله أو إلهك ، ولا شداى ولا رب الجيوش بل تذكر اسم يهوه" (سفرى العدد ، فصل ١٤٣ ، وأنظر أيضا مناحوت ١٠٠:١). ويضيف بريتشفسكي هذه الملاحظة لابن عزاى قائلا "هى الأولى والأساسية فى نقد العهد القديم" .

٨ ـ التناقضات بين أسفار الأنبياء الأوائل وأخبار الأيام

إن التناقضات العديدة التى بين سفرى أخبار الأيام وأسفار الأنبياء الأوائل لم تكن مجهولة فى رؤية مفسرى العهد القديم التلموديين .

وهكذا ، يسأل المجادل فى التسوفتا (زوطه ١٢) بهذا الأسلوب : "يقال فى سفر أخبار الأيام الثانى (١:١٦) فى السنة السادسة والثلاثين لملك أسا صعد بعشا ملك إسرائيل على يهوذا وبنى الرامة" ، فكيف يكون هذا القول هنا : أو لم يكن أسا قد دفن بعشا فى السنة السادسة والعشرين ، حيث يرد فى سفر الملوك الأول (٨:١٦)" وفى السنة السادسة والعشرين لأسا ملك يهوذا ملك أيله بن بعشا على إسرائيل ؟"، ثم يضيف متسائلا :يقال فى سفر الملوك الثانى(١٧:٨) "كان ابن اثنين وثلاثين (يهورام) سنة حين مُلك ، ومَلك ثمانى سنين فى أورشليم" ، ويرد فى أخبار الأيام الثانى(٢:٢٢)" كان أخزيا (ابنه) ابن اثنين وأربعين سنة حين مَلَكَ ، وملَكَ سنة واحدة فى أورشليم " وهكذا ، فكيف يكون الابن أكبر من أبيه بسنتين (زوطه :١٢) ؟!

وفى موضع أخر يرد النص "فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلا من الفضة " سفر صموئيل الثانى (٢٤:٢٤) ، أما فى أخبار الأيام الأول (٢٥:٢١) يرد النص التالى "ودفع داود لأرنان عن المكان ذهبا وزنه ست مائة شاقل" (سفرى ٤٢). ويقول النص فى الملوك الأول (٦:٥) "وكان لسليمان أربعون ألف مذود خيل". وأما فى أخبار الأيام الثانى (٢٥:٩) يرد النص "وكان لسليمان أربعة آلاف مذود خيل"(سنهدرين ٣٩: ٢) وكثير مثل ذلك .

٩ـ وثيقة تاريخية أم تأليف أدبى ؟

إن هذه التناقضات التي قدمها بعض باحثى العهد القديم التلموديين تؤدى إلى رأى عام هو : أنه بقيت داخل الكتابات المقدسة روايات يجب أن تعالج بحذر ، لأنها

على أساس المنطق الصحيح من المستحيل أن تكون صريحة في كل تفاصيلها . ففي سفر التكوين (١٤:٢١) "وأعطاهما لهاجر واضعا إياهما على كتفها والولد وصرفها"، ابن سبع وعشرين سنة وقلت وضع على كتفها" (التكوين رابا ١٧:٥٣). وفي موضع آخر "كم كان إبراهيم أكبر من سـارة ؟ عشر سنين . وكم كان أكبر من أبيها ؟ سنتين . نسي أن أنجبت سارة لهاران . في الثامنة أنجبها" (سنهدرين ٢:٤٩). أو وربط إسحاق - هل يمكن للإنسان أن يقيد ابن سبع وثلاثين سنة ؟" (التكوين رابا ٥٦: ١١). أو "ويستعبدون لهم . فيذلونهم أربع مائة سنة - وليس لدينا سوى اهبطوا" (نشيد الأناشيد رابا ١٩:١٠٠) . ليس هذا فحسب بل إن بعضهم افترض أن النسخة الموجودة لدينا بها أخطاء كثيرة . وسمحوا لأنفسهم عند الضرورة بتعديل النصوص "فقال رئيس المثيبة لا تقرأوا "سطحوا " (العدد ١١: ٣٢) ولكن "ونبحوا" (يوما ٢:٧٥)، وقال ربي يهوشع بن قرحه لا تقرأ "مساطح" بل "نبيحة" (نفس المصدر). وسمحوا لأنفسهم في بعض الأحيان بإلقاء الشك حول القيمة التاريخية في أي سفر من أسفار العهد القديم أو أي رواية تاريخية فيها . ففي سفر حزقيال قصة عن "إعادة إحياء العظام" فيرد في سنهدرين(٢:٩٢)" الأموات التي أحياها حزقيال كانت مثلا ". وقالوا عن سفر أيوب "يتكرر ذلك من المعلم بحضور الربي شموئيل بر نحماني ، ويكرر ويقول إن أيوب لم يكن ولم يخلق بل إنه كان مثلا ". ويتضح الهدف أكثر في نهاية هذه المقالة بأنهم عرفوا التمييز بين الوثيقة التاريخية والنتاج الأدبي داخل روايات العهد القديم . وعندما سُئل شموئيل بر نحماني من المعلم". قال عليك أن تقرأ كان رجل في أرض عوص اسمه أيوب أجابه: "فقط من الآن وللجاهل لا شئ لأن إذا شاة واحدة صغيرة ....". ما هو إلا مثل بصورة عامة ؟ (بابا باترا ١:١٥).

وهناك من اعتبر نشيد الأناشيد عملا دنيويا ، ولذلك فهناك من قرر أن نشيد الأناشيد لا ينجس الأيدي (مجله ١:٦). وفيما يتعلق بمجلة أستير هناك من لا حظ أن مضمون هذه المجلة ليس مقدسا في أصله ، وعن ذلك "قال الربي يهوذا قال شموئيل أن أستير لا تنجس الأيدي" (المصدر نفسه). وكما يبدو كان الرأي السائد أن مضمون هذه المجلة لم يكن مقدسا في الأصل ، ولكن بعد أن بحث العديد من التنائيم (اليعازار والربي عقيبا والربي مئير والربي يوسي بن دور مسكيت وشموئيل) ثم بحثوا وكرروا البحث في كل ما يبرهن على أنها قيلت بروح القداسة . ولكن وُجد من يدافع عن رأيه بأنها وثيقة تاريخية تحكي عن حدث مشهور بين الأمم (فقال الربي شموئيل بر يهوذا

أرسلت أستير للحكماء : ضعوا حـــدا للأجيـــال . فأرســـلوا لها ، حقد كبير بيننا وبين الأمم : فأرســـلت لهم : منذ زمن كتبت أنا أخبار الأيام لملوك مداى وفارس : (مجله ٦: ١) ، ولم يرفض أحد غيرى إلقاء الشك على الأساس التاريخي لهذه المجلة ، وقيل عنها "إنها منحت لموسى في سيناء (التلمود الأورشـــليمي مجـــله ١ فصل ٥، فقرة ٣١).

وعلاوة على ذلك فقد رفضوا أيضا القيمة التاريخية لمجلة روث وفسروها بأسلوب حرفي (إليمالك - الذى قال يأتي إلى الملكوت، نعمي - التي كانت أعمالها جميلة ورقيقة، محلون - الذين مرضوا من العالم ، كليون - الذى أفنى من العالم ،عرفه - التي وجهت العنق روث التي رأت في الأحداث سخريتها - بابا باترا ٩١: ٢، روث ربا ٥)

١٠ـ التفسير الرمزي

وقد حددوا قواعد عامة للتخلص من أى ارتباك للتناقض بين العديد من روايات العهد القديم وتعبيراتها وبين الفهم الصحيح أو الملاحظات التاريخية ، ومن هذه القواعد :

– أن أحداث التوراة لم تعط مرتبة (مدراش المزامير ٣)

– أنه لا يوجد هناك متقدم ومتأخر في التوراة ، وأن التوراة تحدثت بلغة البشر" (نباحيم ١٠٨: ٢، نيدا ٤٢: ٢ ، براخوت ٣١: ٢ ، بابا مصيصا ٩٤: ٢، سنهدرين ٦٤: ٢، جيطين ٤١: ٢ ، وما يشبه ذلك كثير).

– وذهب آخرون أبعد من ذلك ، وقالوا: "تحدثت التوراة بلغة المستقبل" (حولين ٩٠: ٢)، ولم يتورع الربي يوسى من تقرير " منذ الأزل لم يهبط الوحي الإلهي إلى أسفل ولم يصعد موسى وإلياهو إلى السماء ، لأن السماء سماء يهوه ، والأرض منحت للبشر" (سوكه ٥: ١).

وقد تعمق هؤلاء الباحثون وسواء وجدوا أو لم يجدوا في شكهم التبريرات التي قالها أصحاب الجمارا ، فما هي الأراء التي افترضوها لرأيهم ؟ وإذا ضمت هذه الآراء في أسلوب محدد في فهم العهد القديم ، فما طبيعة هذا الأسلوب ؟ . أو ربما لم يكن هناك أسلوب ، أو لم تنل الإجابات رضاهم؟ . ولا يمكن الإجابة عن هذه التساؤلات على أساس المادة التي بقيت في داخل أدب التلمود . غير أن بحض الآراء

واستنباطها كان من أجل التأكيد الفعلي على أن كل الأفكار المُسلم بها في أقوال الماسورا لم تجد اطمئنانا في عصر التلمود، وأن العديد من مفسري التوراة التلموديين أصحاب منطق سليم وإحساس نقدي صحيح . وقد أدركوا وجود ثغرات عديدة داخل العهد القديم الموجود عندنا. وقد توصلوا إلى هذه الثغرات ، لكنهم كانوا يعملون على إخفائها ، وإيجاد مبرر لذلك .

١١ــ تدهور النقد

غير أنه قد هدأت الأنفس بعد تدوين التلمود ؛ فتوقفت الأسئلة والأفكار حول نظرية النقد في فلسطين . وتلمست سلطة الماسورا التي سادت في أدب التلمود وألقى حجاب على الأقوال المتناثرة فيه . وقد زاد انتقال المركز التلمودي من فلسطين إلى بابل من قداسة الكتابات المقدسة التي هي ثمار نتاج بني إسرائيل في فلسطين ، كما هي معطاة وموجودة . وهدأت الرغبة في النقد ، وظل النقد ضعيفا لعصور طويلة في أدب اليهود .

أما في أدب المدراش الذي استمر وتشعب آنذاك إلى جوانب عدة ، فقد وجدت الشكوك والأفكار حصنا لها ، وبحثوا لها عن مغزى في تفسيرات الأجادا. وقد كشف أسلوب التفسير الرمزي لأقوال النصوص عن أفكار ورموز غامضة ، ولكن ليس بالنسبة للأعمال التاريخية الحقيقية . وانتقل هذا الأسلوب المجازي من فلسطين إلى الإسكندرية في مصر ، ومنها توغل ودخل في الأدب العبري وامتد في كل أدب المدراشيم . ومن المحتمل أن هذا الأسلوب المجازي هو الذي ترك رأي بعض الشكاكين في ذلك العصر . غير أنه لم يتم الوصول إلى بناء علمي . وفي ثنايا هذه الصورة المبهمة التي صبغت أدب العهد القديم ، فإنه لا يزال يوجد هنا وهناك صدى للشكوك وتذبذب آراء المفسرين .

وبما أن الصلة بين النصوص والواقع قد قطعت ، ولم تصبح سوى أمثلة ورموز لأحداث عظيمة لا تمت للقانون بصلة فقد زالت منها الصعوبات وثبتت كل التناقضات، وخفت حدة البحث النقدي ، والشوق إلى معرفة أسلوب العهد القديم في حياة الشعب التي فُقدت في عصر العهد القديم .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الثالث

المحافظون والمعارضون

١ـ ناشرو التلمود

استمرت عملية التطور التدريجي للاعتراف بالتلمود وشروحه وانتشاره بين شتات السبي مئات السنين ، فقد انهمك فيه رؤساء التوراة الموجودون في بابل بكل قوتهم وسلطتهم . وأصبح تفسير التلمود ونشره المهمة الرئيسية لزعماء المدارس الدينية اليهودية في بابل . وقد اضطر مؤسسو الأدب التلمودي مرة أخرى - بهدف تدعيم عملهم - إلى التغاضي عن الصور المركبة للعهد القديم ، وفعل ذلك أيضا مروجو التلمود وناشروه . فقد التزموا بألا يثيروا كلية أي سؤال أو بحث عن بناء العهد القديم الذي يمثل أساس عمل التلمود ، حتى أنهم قبلوا أقوال الماسورا السائدة كما هي وبدون أي شك .

ولم يكن هذا عملا سهلا . وقبل أي شئ ، كانت المطالبة بحفظ المظهر الخارجي للتوراة وموضوع نصوصها . وعلى أساس من الأسفار الأربعة والعشرين سفرا تم إعداد أدب شامل ومتنوع ، وثقافة دينية مرتبطة في حد ذاتها بمعجزة وأمانة نساخ مختلفين منتشرين في كل جهات السبي . فإذا كان سفر الأسفار الذي هو أساس هذا البناء الضخم ذي القيمة الكبيرة ، لا يزال يتطور ويتشعب وينتشر ، ألم يكن من الأجدر أن يكون هو نفسه ثابتا ووثيقة سليمة في كل حروفها وعلامات تجويدها . ولذلك فقد أصبح إرث الفترة الجديدة هو هذا العمل من التعديل وتثبيت الأساس ، وقد كان عملا عظيما متشعبا ووافر النتائج .

وكان وضع التشكيل بداية عمل أبناء هذا العصر . ولأجل هذا الهدف اضطروا إلى مراجعة نسخة النصوص تحت مجهر النقد والمقارنة ، بهدف تنقيتها وتثبيتها على أساسها الصحيح. ويعد وضع التشكيل هو الحدث الأكثر أهمية في تاريخ نص العهد القديم ، وذلك بعد حدث انتقال الكتابة من الخط الأصلي إلى الخط الأشوري .

٢ـ واضعو التشكيل

بدأ العمل في وضع التشكيل في النصف الثاني من القرن الثامن واستمر لمدة مائتي عام . وينسب وضع الأساس لهذا العمل الكبير لكل من فينحاس رئيس المدرسة الدينية اليهودية آنذاك، وأشير الشيخ في طبرية . وقد استغرق هذا العمل أجيالا من الباحثين والنساخ الذين منحوه جل اهتمامهم ، ونشأت حركات اختلفت في نظامها ، ففي بابل كان النظام الشرقي ، وفي فلسطين كان النظام الغربي . وقد تم هذا العمل

على أساس الماسورا الباقية في كلام التلاميذ والقارئين والموروثة من جيل إلى جيل ، وساعد كثيرا في وضع التشكيل مقارنة المخطوطات المختلفة والنسخ التي وصلت إليهم، ولكن اضطروا أحيانا إلى الترجيح بناءً على رجاحة رأيهم وعمق تصورهم .

وقد رأوا في أكثر من ألف وثلاث مائة عبارة من عبارات العهد القديم ضرورة تغيير النص المُسلم به ، ووضعه إما في المكتوب وغير المقروء أو في المقروء وغير المكتوب . ووجدوا في اثنتين وعشرين عبارة أشياءً محذوفة لم يستطيعوا إكمالها فأشاروا إليها بـ: "بيسقا في منتصف الفقرة". وإذا أمعنا النظر في قائمة التغييرات الموجودة بين نص الماسورا وبين نسخة النصوص كما هي محفوظة في الأدب التلمودي والترجوميم ، نجد أن عدد هذه التغييرات يزيد عن الآلاف . وحدثت هذه التغييرات في إبدال الحروف والنبر والأسماء ، بل وإبدال عبارات كاملة تغير قصد النصوص، وهكذا يمكن إدراك كم كان كبيرا العمل الذي أدخل في هذا البناء الشامل ، وما هو صدى الملاحظات النقدية للعديد منها .

وتبلور هذا العمل فقط في نهاية القرن العاشر ليأخذ شكل نتائج محددة في بابل وفلسطين . وقد بدأ تثبيت الماسورا في عصر ربي موشي بن نفتالي في بابل ، وفي عصر ربي أهرون من سبط أشير في طبرية ، والذي كان حاملا لقناع الماسورا في فلسطين . وبالفعل فقد وضع هذا التشكيل الأساس الثابت لبحث اللغة العبرية ، وخاصة علم العهد القديم في العصر الوسيط داخل فلسطين وخارج حدودها .

٣ـ تغييرات نسخ العهد القديم داخل التلمود

غير أنه إذا كان بجمع البيض تصبح الخرائب ، فإن التلمود على العكس من ذلك فقد جمع شتات اليهود تحت لوائه . فالماسورا التي حُفظت في اتجاهات متنوعة في الحياة قد رفضت الخضوع لسلطان النتائج الجديدة التي تحددت في المدارس الدينية اليهودية الرسمية وجمعت في أقوال التلمود. ولذلك فقد حدثت هنا وهناك تناقضات، وعبر عنها في أشكال جماعات منظمة لم توافق على قبول سلطة التلمود ومروجيه ، وتشجع الزعماء المتحدثون منهم في إثبات أن قواعد التلمود لا تناسب بدرجة ملائمة أقوال التوراة ، وأن تفسيرات النصوص المقروءة المسلم بها تنشد الحقيقة. وتلك المباحثات التي ثارت بسبب التلمود تسببت بصورة غير مباشرة في تطور بحث العهد القديم.فبحث هؤلاء باسم العهد القديم للبرهنة على قداسة التلمود،

وباسم العهد القديم ظهر أيضا المعارضون لهذا الرأي. وساعد في توسيع هذه الحيرة الدينية الشاملة التي سادت الشرق انتصار أنصار دين محمد ﷺ بالإضافة إلى التشعبات الدينية والاجتماعية داخل الجماعة اليهودية المشتتة . ولذلك بحث العديد من الضالين روحيا عن علاج لهم في سفر الأسفار

٤ـ انتشار التلمود

وكما حدث للتلمود الذي لم تخضع له كل طوائف اليهود دفعة واحدة ، كذلك حدث للماسورا التي هي نتاج أصحاب التشكيل . فتزايد في المجالين المتمردون والمعارضون . وفُقدت كليةً الغالبية العظمى من هذا الأدب . وحافظت الأجيال التالية فقط على الأقوال التي تم الاعتراف بها وتقديسها ، أما أقوال المخالفين ، فمن يجمعها ومن يحفظها ؟

ورغم كل هذا فقد تسرب إلينا صدى لبعض هذه الأقوال ، وذلك إما عن طريق الذين عارضوهم أو عن طريق أولئك الذين حاربوهم في كتاباتهم ، وعلى هذا الأساس حافظوا عليها حتى لا يفقد ذكرها للأبد . غير أن هذه الآثار المتفرقة التي أنقذت بمعجزة داخل أدب غريب كانت كافية أيضا لتؤكد إلى أي مدى تزايد العديد من أبناء هذا الجيل الذين انهمكوا في دراسة أقوال العهد القديم ، وإلى أي مدى كان عمق النقد آنذاك .

٥ـ القراؤون

وبقوة سلطان عنان بن داود ـ المعروف بصفته زعيما للقرائين ـ نجح آنذاك في تجميع العديد من بقايا الفرق الدينية الموجودة في فلسطين في ذلك العصر سويا ، وحشد حوله كل أولئك الذين التمسوا بحث العهد القديم على أساس "التقاليد الموروثة" (أي تراث الآباء والأجداد) ، المتوافر عندهم ، ولم يرغبوا أن يعملوا تحت سلطان التلمود . ولذلك حذر عنان تلاميذه وألزمهم "أن يفحصوا التفسير ببساطة" . وبكل تأكيد فإن تراث الآباء ـ أي الماسورا التي كانت سائدة عند جماعات مختلفة في فلسطين ـ لا تناسب الحقيقة التاريخية أكثر من أساليب البحث التي كانت سائدة عند حكماء التلمود فيكفي أن طرق البحث التي أظهرها عنان قد أفادت في تطور بحث العهد القديم .

غير أن الحرب التى اندلعت بين القرائين والربانين والتى استمرت سنوات عديدة قد تسببت - كما ذكرنا آنفا - فى إثارة روح النقد . وخرج كتاب العهد القديم عن حيز الحكماء والمتعلمين ، ووضع فى مركز الجدل العام . ويعنى ذلك أنه بمرور الزمن لم يعد ممكنا ألا تظهر مرة ثانية التناقضات العديدة من وراء قناع التفسيرات والتعليلات التى أراد علماء التوراة تثبيتها مئات السنين . وعرقلت هذه التناقضات وغيرها الحانقين من باحثى العهد القديم من حكماء التلمود ، غير أنها خرجت مرة ثانية من مخابئها وتمت المطالبة بتعديلها .

٦ـ مشوى هعخبرى

فى النصف الثانى من القرن التاسع وجد مشوى هعخبرى مؤسس طائفة دينية فريدة فى فلسطين شغرات فى ماسورا أبناء طبرية ، فبرز لمحاربة الرأى المألوف بشأن المقروء والمكتوب ، وليس هذا فحسب بل سمح لنفسه بالتعديل فى نص العهد القديم ، وتغيير كلمة بأخرى ، وإضافة عبارات طبقا لرأيه . وبقيت بأعجوبة بعض من آرائه المثيرة للاهتمام . ففى سفر التكوين (٤:٨) يردْ : "وكلم قايين هابيل أخاه وحدث أن كانا فى الحقل". وقد أدرك القدماء بالفعل فقدان الربط بين قسمى هذا النص ، كما توسع أصحاب الأجادا فى تفسير ذلك . ويقترح مشوى هعخبرى بدلا من التفسيرات المتباعدة تعديل النص ليصبح : "وقال قايين لهابيل قم نخرج للحقل وحدث أن كانا فى الحقل". لأنه كان واثقا أن هذا النص كان مكتوبا هكذا فى التوراة فيما مضى . وفى الواقع ، يقال بوضوح فى نسخة التوراة المحفوظة عند السامريين "نذهب إلى الحقل". وهذا هو نفس الحكم فى الترجمة السبعينية والترجمة السريانية للتوراة والترجمة الأثيوبية والفولجاتا (الترجمة اللاتينية للعهد القديم). وفى نهاية قائمة أبناء يعقوب الذين هبطوا مصر ، يرد فى سفر التكوين (٤٦:١٥) "جميع نفوس بنيه وبناته ثلاث وثلاثون" ويعدل مشوى "اثنان وثلاثون" حيث نجد ارتفاع عدد الرجال المعدودين فى القائمة . وفى الخروج (١٦:٣٥) يقال : "وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة ... حتى جاءوا إلى طرف كنعان" . ويقترح مشوى بدلا من ذلك أن يقرأ " ويأكل بنو إسرائيل المن ..." وذلك لأن الماسورا جاءت بعد ذلك تتضمن الرأى بأن هذه العبارة كتبت بعد موت موسى .

تلك التعديلات وما شابهها قليل مما وصل إلينا وهى تشهد بأنه ، كان لمشوى وتلاميذه أسلوب فى فهم تاريخ العهد القديم يختلف عن الأسلوب المألوف . لكننا نسمع

رأيه هنا ، وهو أن النسخة المعترف بها ليست بالغة حد الكمال كما ينبغي أن تكون ، ومن المحتمل أن بعض النصوص قد شوهت أو بترت بمرور الزمن . لذلك فإن الحاجة للتعديل حقيقة لا مفر منها.

ولم يكن ذلك مقصورا فقط على مشوى . فقد اتبع هذا الأسلوب معاصره موسى الزعفراني المعروف بالاسم العربي ابن عمران التفليسي أو موسى بن عمران الفارسي، الذى أسس طائفة دينية جديدة . وتابعهم يهوذا الفارسي وبن زوطه ، وقد ذكر أبراهام بن عزرا في تفسيره بعضا من تفسيراتهما المعارضة للماسورا (الخروج١٢: ٢ ، ٢١:٢٠ ، ٢٥:٢١ ، ٢٢: ٢٨، اللاويين ٩:١٥، العدد ٢٩:٣ رسالة السبت ١)، ولا شك أن عددهم تزايد آنذاك، غير أن أسماءهم وتعديلاتهم لم تصل إلينا .

٧ــ حيوى البلخي

ويعتبر حيوى البلخي الذى عاش فى النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى واحدا من أكثرهم أهمية، وعرفناه من خلال أقوال الذين عارضوه وقاموا بالإجابة على ادعاءاته وبخاصة أقوال الربى سعديا جاؤون .

وطبقا لأقوال الربى سعديا جاؤون المحفوظة فى أقوال الربى يهوذا بن برزيلى لسفر الخلق فإن حيوى البلخي ألف كتابا قائما بذاته يشمل "مائتى ادعاء" ضد الكتابات المقدسة . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، غير أن بعض ادعاءاته مبعثرة فى أدب ذلك الجيل وقام بجمعها مع بعضها البعض س. فوزننسكى، وبعد ذلك ي. دافيدسون . ومع ذلك لم يكن حيوى البلخي باحثا للمقرا طبقا لمفهومنا ، فالعديد من آرائه التى وصلت إلينا تتصل أكثر بقضايا دينية وبجوهر الألوهية ومع ذلك فإن موضوع أبحاثه فى المقرا تشجع على أسلوب البحث الحر فى الانحراف عن أقوال الماسورا ، والتحرر من الآراء المُسلم بها .

٨ــ سفر الأسئلة

ومن خلال آرائه القليلة التى وصلت إلينا تسرب الشك بأنه فى فترة متأخرة كان هناك من أدخلوا داخل التوراة أقوالا مختلفة غريبة عن روح التوراة فزيفوها . وبلا شك فمن الواضح أنه لا يقول مثل هذا وبعض الشكوك التى أمامنا مصاغة فقط بمثابة

أسئلة فحسب . وقد توصل إلى بعضها باحثو العهد القديم من حكماء التلمود ، ومنها على سبيل المثال تساؤل حيوى بشأن ميلاد حيرام . ففى سفر الملوك الأول(١٤:٧) يرد النص : "هو ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي" ، أما في أخبار الأيام الثاني(١٣:٢) يشير النص أن حيرام كان "ابن امرأة من بنات دان". وتفسر الجمارا (عروفين ١٥:٢) هذا الغموض بتخمين أن أبى حيرام كان من سبط نفتالي وأمه من بنات دان ، ولا نعرف ما هى النتائج المترتبة من تساؤل حيوى عن هذا التناقض.

وعلى ما يبدو فإن حيوى سعى لتقريب المعجزات إلى العقل وشرحها بأسلوب فطرى . وعلى هذا يقتبس ابن عزرا أقوال حيوى المرتبطة بشأن انشقاق البحر الأحمر (خروج ١٤:١٧)وهى : "أن موسى عرف زمن انحسار المياه بهبوطها وزمن تزايد المياه فى ارتفاعها واستمرارها ، وقام بالعبور بالشعب أثناء انحسار المياه طبقا لنظريته ، وأما فرعون فلم يكن عارفا بأسلوب المياه على طبيعتها". ويوضح ابن عزرا فى موضع آخر رأى حيوى فيما يتعلق بهبوط المن (خروج ١٢:١٦) فيقول، إن المن "هو المعروف بالاسم الفارسى"ترنجفين"، وفى اللغة العربية "منّ" واللغة الأجنبية "منا" وطريقة هبوطه حتى اليوم فى الصحراء . كما يوضح حيوى أيضا عبارة : "جلد وجهه صار يلمع" (الخروج ٣٤: ٢٩) قائلا : "بسبب أنه لم يأكل خبزا صار وجهه يبسا مثل الجلد" (تفسير ابن عزرا ، نفس المصدر).

٩- دفاع الربى سعديا جاؤون

لا تظهر آراء مشوى هعضبرى القليلة التى بقيت أهمية نقدية ، بل تظهر قيمته النقدية من خلال آراء الذين خالفوه . ومن المؤكد أن تأثيره كان كبيرا فى عصره ، لأن الرب سعديا جاؤون رأى أن من واجبه نشر كتاب خاص بالعبرية ضد شكوك حيوى ، وعلماء القرائين ، وكتب ـ أيضا ـ ضد ابن عمران التفليسى . وأسهب الربى سعديا جاؤون فى كتابه "الأمانات والاعتقادات " الحديث فى المقالة الثالثة فيما يتعلق بـ "الاثنتا عشرة مسألة المحيرة لقلوب البشر والتى تفسد عقيدتهم" فى الكتابات المقدسة.

ولم يبتدع الربى سعديا المسائل من عنده بل استمدها من داخل الحياة ، ومن بينها قضايا تناقضات بارزة بين الروايات الموجودة فى سفرى الملوك ، وتلك الموازية لها فى سفرى أخبار الأيام (ففى الملوك الثانى ٢٦:٨ نجد أن أحزياهو بن يورام ملك وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، أما فى أخبار الأيام الثانى ٢:٢٢ وهو ابن اثنتين

وأربعين سنة) . وكذلك التناقض بين روايات سفرى أخبار الأيام وروايات سفرى صموئيل (ففي سفر صموئيل الثاني٢٤:٩ يرد النص "فكان إسرائيل ثمان مائة ألف ذى بأس مستلى سيف ، ورجال يهوذا خمس مائة ألف رجل" ؛ وأما في أخبار الأيام الأول ٢١:٥ فإن النص يكون على النحو التالي: "فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل مستلى السيف ، ويهوذا أربع مائة وسبعين ألف رجل مستلى السيف" وما يشبه ذلك) .

وعلى ما يبدو فقد أثمرت تلك الثورة النقدية آنذاك عن حركة كبيرة أسست أدبا كاملا تسرب من أسوار المدارس . وهاهو الربى أبراهام بن دافيد يذكر حيوى بقوله: "الذى ابتدع توراة من عنده"، يؤكد "أن معلمي الأطفال كانوا يعلمونها في الكتب والألواح إلى أن جاء الربى سعديا ودحضها" . وأكد س. فوزننسكى أنه لم يقف على رأى تعلم الأطفال من كتاب الشكوك الذى ثار ضده الربى سعديا جاؤون . ليس هذا فحسب ، بل إن حيوى قد ألف "كتبا وألواحا" أخرى خُصصت لمعلمى الأطفال وفيها أفتى أن يدرس العهد القديم بناءً على منهجه .

وبما أن كتب حيوى كانت تدرس في المدارس واستمرت ست مائة سنة بعد موته وخارج موطنه فقد كان تأثيره كبيرا على مجرى النقد الذى غمر آنذاك معسكر فلسطين .

والواقع ، لم يتوقف تتبع تأثير نقاد ذلك العصر طويلا ، حيث قام بعدهم تلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وواصلوا بقوة الرؤى التى استنبطها معلموهم فى مجالى البحث والنقد .

وقبل بضع سنوات وجد البروفيسور شاختر فى وثائق الجنيزا القاهرية اثنتى عشرة صفحة كُتبت فى فلسطين فى القرن الحادى عشر طبقا لرأى فوزننسكى . وداخل هذه القطعة المكتوبة شعر بلغة عبرية سليمة ، لم يقدم المؤلف ليعلن آراءه الخاصة فحسب ، بل ليصدر باسم جماعة كاملة قوله : "سخطا سخطت لتقديس طائفتى". وثار يتهم بسخرية حادة ومريرة كل حكماء العصر وباحثى العهد القديم فى عصره لتقييدهم أنفسهم فى دائرة بحث النبر ووضع الماسورا ، وإحصاء الحروف وتحديد الاختصارات . وطبقا لتخمين د. كاهانا فإن اسم المؤلف اليعازار بن عزريا واسم زعيم جماعته ـ بن بروكه ـ التى ادعى باسمها. وثار بسخرية حادة ضد "زعماء المدارس الدينية اليهودية" ورؤساء السنهدرين وتلاميذهم الذين اعتقدوا أن "العهد

القديم إرث لهم"، وهم "حراس التلمود والمشنا". أما باحثو التوراة القليلون الذين اكتفوا بقواعد النبر ، والجدل حول التشكيل "فالتفوا حول علامات التجويد ، مرتبتها وطولها"، كما "شغفوا بالنبر وأسهبوا في الشعر"، و"خارت قوتهم مثل الأصم ، وأطالوا حركاتها".

فيتوجه لكل هذه الأقوال قائلا : "نعرف العهد القديم بكل صوره ، ولا يهمل أمر من البداية حتى النهاية"، وينادي "هل توجد إجابة". ثم يفصل تساؤلاته وشكوكه الواحدة تلو الأخرى بداية من أول أقسام سفر التكوين . ولا تتصل كل الأسئلة بموضوعنا ؛ فالعديد منها يبحث سر الخلق وإرادة يهوه سبحانه وتعالى ، وحساب السنين والتأكيد على الوصايا . غير أن العديد منها أسئلة متعثرة تؤكد صدق السائل في كتابه لأنه يقول "قرأت العهد القديم من بدايته حتى نهايته ... حتى نهايته شفويا مرات أجريت فمي ليسرع عن الصمت ".

ولم يتم التعرف فقط على صحيح العهد القديم ، بل أيضا إدراك التناقضات والمواضع الصعبة التي تتطلب مزيدا من التوضيح .كما تم التعرف أيضا على أقوال الباحثين السابقين له ، فنجد أيضا في استفساراته اقتباسات من أقوال حكماء التلمود في هذه القضية ، وكذلك عبارات من تساؤلات حيوي . ولم يكن عبثا أن يسعى المستفسر "أن يكون علم العهد القديم لتفسير العهد القديم". وأدرك أن سفري أخبار الأيام تكرار للأحداث المعروفة بالفعل في بقية أسفار العهد القديم . لذلك يتعجب ويستفسر : "عملية إحصاء مزدوجة للمسبيين وبناء الهيكل ، وصلاة كاتب الأمثال ، ومحاربي داود ، وإحصاء إسرائيل ، وموت شاؤول ، كل ذلك مزدوج ، فماذا نتعلم ونستفيد منها ؟ . وليس هذا فحسب ، بل أيضا موت يوشع وصموئيل ، وقدوم سنخريب ودمار الهيكل ، "والعديد من الأحداث التي ليست مقدسة ؛فلماذا حدث الازدواج والتكرار في العهد القديم ؟".

ولم يكشف فقط التكرار في سفري أخبار الأيام، بل اكتشف أيضا روايات مفصلة عن الأحداث المعروفة لنا من الأسفار التاريخية الأخرى ، فيتابع ويحصي التناقضات المتكررة المرتبطة بسنوات ملك آسا (الملوك الأول ١٦:١٨ = أخبار الأيام الثاني ١٦:١) وكذلك المتعلقة بعمر أحزيا بن يورام (الملوك الثاني ٨:٢٦ = أخبار الأيام الثاني ٢٢:٢) ، وأخبار أيام مملكة يهوياكين (الملوك الثاني ٢٤:٨ = أخبار الأيام الثاني ٣٦: ٩) . ولم يكن الخطأ في حساب السنين بين سفري الملوك وسفري أخبار الأيام ،

بل كان أيضا فى نصين فى رواية واحدة . ففى سفر الملوك الثانى(١٥ :٣٠) يقول النص "وملك هوشع بن أيله مكانه فى السنة العاشرة ليوثام بن عزيا "، ثم يعود فى نهاية الفقرات الثلاث الأخيرة فيقول إن يوثام بن عزيا ملك ست عشرة سنة فقط (٣٣:١٥) كما أن يربعام بن يوآش صعد للملك "فى السنة الخامسة عشرة لملك أمصيا ، وفى السنة السابعة والعشرين ليربعام ملك عزيا بن أمصيا وفى السنة الثالثة والعشرين ليواش بن أحزيا وبعد ذلك ملك ابنه وهو فى السابعة والثلاثين ".

وتوصل أيضا إلى وجود تناقض واضح بين بعض العبارات فى نفس السفر " لم يرد فى العهد القديم إشارة بأن أبشالوم كان له أبناء ، أى لم يكن له ابن ، لكن أقام نصبا لتنكيره ، فكيف يكون ذلك ، وقد ولد له ثلاثة أبناء وبنت اسمها ثامار (صموئيل الثانى ١٨:١٨، ١٤:٢٧). وفى موضع أخر "يبدو الأسلوب مباشرا حيث قال النبى لداود فى الحوار: اذهب اصنع ليهوه بيتا ، وبعد ذلك ندم يهوه ، وأنت - أى داود - لا تبن لى بيتا بل ابنك هو الذى يبنى لى بيتا (صموئيل الثانى ٧: ٣، ٧:٥).

وعلاوة على ذلك اكتشف العديد من الارتباك فى التأريخ والتكرار والتناقض فى أسفار التوراة كما فى الرواية الخاصة بالطوفان وفى قصة الجواسيس وغيرهما . وورد فى سفر التكوين عن يهوذا أنه وقت بيع يوسف قد هبط آنذاك عند رجل عدلامى واتخذ له زوجة ، وولد له عير ، وبعد ذلك ولد أونان ، واتخذ عير ثامار زوجة له ثم مات عير ثم مات أونان وترملت زوجته "ومرت السنون "وانصاع يهوذا لثامار فتزوجها وولدت له فارص ، وولد فارص حصرون وحامول ، وحدث كل هذا فى غضون "اثنتين وعشرين سنة "منذ بيع يوسف وحتى هبوط يعقوب وبنيه مصر" (التكوين ٣٨، والتكوين ٤٦: ١٢).

كما تسرد التوراة تسع مرات عن الشعوب التى يطردها يهوه من أمام إسرائيل فى أرض كنعان "وفى ذلك اليوم (عهد الأشلاء) أقسم أن يعطيه عشرة أمم إرثا ، كيف ذلك ؟، وفى خمسة مواضع قال ست أمم ، وفى موضع قال خمس أمم ، وفى موضع أخر ثلاث ، وأضاف موسى سبع أمم" (التكوين ١٥:١٨، ٣:١٧؛ العدد ١٣:١٩؛ الخروج ٢٣: ٢٨؛ التثنية ٧:٢) . ولم تكن أقوال الروايات هى التى تدحض بعضها البعض فقط ، بل أيضا نصوص الأحكام والقانون . "فعندما ذكر النبى كل الأعياد لم يحذر بنى إسرائيل من اللبن فى تلك الأقوال . ولم يذكر يوم هتاف البوق ويوم الغفران" (التثنية ١٦)كما لم ترد أحكام نظام القرابين فى سفر التثنية.

ونبه إلى أن كل القوانين المذكورة فى التوراة لم تكن معروفة فى عصر القضاة والملوك . لذلك يتعجب "عظيم أمره فى توراته بالكلمة . لا تأكلوا فريسة وجيفة ، وكيف أمر للقربان بالشحة غذاء يوميا لحملها ؟". وعلاوة على كل هذا توصل إلى أن العديد من الفقرات والتعبيرات الموجودة فى التوراة التى تمثل السفر النهائى للأجيال ، متأخرة وبعيدة عن طبائع الحياة المألوفة فى عصر العهد القديم ، ونظم المجتمع المألوفة انذاك " :فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبجومر ولثك شعير " (هوشع ٣: ٢) فما مقدار لثك ؟ وما الخاصية بين الفضة والجومر ؟ يتضح بجلاء فى قول اصطلاحى ". وحقا "فإن اليد قصيرة وعاجزة عن التصريح بحكمة العهد القديم المدهشة ".

وكما يبدو لم يكتف هؤلاء المستفسرون بطرح الأسئلة فحسب ، بل تشجعوا إلى حد ما حتى يتمكنوا من فهم سبب "الفجوات "التى وجدوها فى العهد القديم وعلاجها . ولولا ذلك ما لقيت أقوالهم غضبا فى معسكر فلسطين ، وما ثار عليهم زعماء الماسورا بغضب شديد . وتكشف الصفحات الاثنتا عشرة التى وجدها البروفيسور شاختر عن كتاب للحرب القوية التى حاربها ضدهم "الجاؤون " "ومدرسته ". والواقع برزت لتكون بمثابة هدم الهيكل . وتشمل هذه الصفحات بكل تأكيد أسئلة فقط . غير أن هذه الصفحات تمثل قطعة واحدة أى مقدمة الكتاب ، وربما جاء بعدها فصول أخرى توضح اتجاه ومنهج السائل أكثر "فى علم العهد القديم ". ويحكى السائل فى نهاية هذه القطعة المتوافرة لدينا ما يتعلق بالكتب الثلاثة التى ألفها وهى "فى إسرائيل علنا وليس سرا "وفيها اهتم "بشروح العهد القديم وأسلوبها "، أى شروح الأسئلة ، فالأسئلة لم تأت للإخفاء فقط بل للفهم أيضا .

١٠ــ تدهور النقد فى بابل وارتقاؤه فى الأندلس

ومع ذلك لم يستحق هذا الاتجاه النقدى لكى يكون فرعا يبرز فى تسلسله الطبيعى . فالعصر كان عصر فوضى فى الآراء الدينية . حيث ظهرت فرق عديدة ومختلفة فى معسكرى الربانين والقرائين فى فلسطين وكان الصراع محتدما بينهما ، وكذلك بين الأحزاب الدينية في كل منهما ، وأصبح من المتوقع حدوث فوضى دينية ووقوع خطر على أسس العقيدة المألوفة، ولذلك رأى حراس الماسورا فى ذلك الجيل أن من واجبهم التغلب على الخطر وتهدئة الأنفس الثائرة فى الوقت المناسب .

وأدى ذلك إلى ظهور أدب المناظرة وتطوره . ودافعت الماسورا عن وجودها بكل قوة . وقام الربي سعديا جاؤون (الذى ألف كتابا ضد القرائين) بمناظرة حيوى البلخي دفاعا عن قداسة التوراة المكتوبة والتوراة الشفوية وكمالهما . كما ناضل أصحاب الماسورا اليهود المجددين والمحافظين سويا . وكان هذا الأسلوب في المناظرة أحد عوامل ظهور النقد والذى كان من الممكن أن يختفي لولا ظهور علماء مخلصين للنقد وظهور مجالات جديدة للتأليف بالعبرية ساعدت على تطور النقد وعدم اختفائه في خضم الأدب التفسيرى الذى سيطر على التأليف بالعبرية لفترة طويلة من الزمن . ومن هذه العوامل ظهور علم النحو الذى نشأ وازدهر في جنوب أوربا ، ومنها أيضا تطور العقلانية الأوربية متأثرة بالعقلانية العربية خلال العصر الذهبي لليهود في العصر الوسيط .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الرابع

علم النحو والبحث الدينى

أولاً : ازدهار النقد في الأندلس

١- اللغويون والعهد القديم

ارتبط علم النحو منذ نشأته وحتى الآن بنقد العهد القديم ، وأفاد كل منهما من الآخر. وكان الجوهر الأساسي للغة العبرية مظهرا من مظاهر نقد العهد القديم . وقد استمد النحاة الأوائل كل أسرار اللغة من الكتابات المقدسة ، وحددوا على أساسها أساليبهم عن تطور اللغة وقوانينها . وبما أن قوانين اللغة قد اتضحت وحددت ، فقد أصبحت أساسا ثابتا لفهم النصوص المقدسة وبحث مقاصدها . وواصل اللغويون والنحاة بعزيمة ونشاط ما بدأه أصحاب الماسورا ، وطوروا في نقد العهد القديم طرقا لم يحققها الأوائل .

واستخدم البحث الديني - أيضا - باعثا هاما لتعميق دراسة الكتابات المقدسة ، إن تعاليم إله إسرائيل متضمنة في أسفار العهد القديم ومنها يستمد البحث وعليها يكون التأسيس . فمع اتساع الأفق وزيادة الإيمان بالمذهب العقلي تشعب نقد العهد القديم ، وابتعد عن المجالات الضيقة المرتبطة بنقد الحروف والكلمات التي حددها علماء الماسورا وعلماء النحو . واتجه بخطى واسعة لمعرفة التطور التاريخي للعهد القديم، ورسم للنقد العبري الطريق المؤدي إلى بداية البحث الحديث .

٢- يهوذا بن قوريش

يعد الطبيب يهوذا بن قوريش (الذي عاش في طليطلة في شمال أفريقيا في بداية القرن العاشر) الباحث الأول في علم النحو واحدا من مفسري العهد القديم الذين اهتموا بمعرفة ترجمات العهد القديم ومقارنتها بالأصل . وقد كان أول من سلك أسلوب المقارنة في بحث لغة العهد القديم وشرح الكلمات العبرية معتمدا على نظائرها العربية والآرامية والبربرية . ولم يصل إلينا تفسيره لسفري أخبار الأيام ، وقد عرفنا من خلال مفسر آخر مجهول الاسم ملاحظاته العميقة التي أثبتت التناقضات الموجودة في أسماء الشخصيات المذكورة في سفري أخبار الأيام دون اللجوء إلى تفسيرات بعيدة . وقد اضطر إلى البحث لها عن تفسيرات تاريخية لم تأت أحيانا مطابقة لتفسيرات أصحاب الماسورا .

وكان يشبهه إلى حد كبير النحوي الإيطالي شبتي دونولو في تفسيره للنصوص وإزالة غموضها . ووضح ذلك في تفسيره لقصة الخلق ضمن تفسيره لسفر التكوين. ويمثل هذا البدايات الأولى للفترة الجديدة في تاريخ النحو.

٣- مناحم بن سروق وتلاميذه

وفى منتصف القرن العاشر نهض لعلم اللغة العبرية مخلصون جدد فى الأندلس؛ فتقدم علم اللغة العبرية بواسطة مناحم بن سروق ودوناش بن لبراط إلى مرتبة العلم ، ورغم اختلاف آرائهما واختلافهما فقد كانت الكتابات المقدسة أساس أبحاثهما . واعتمد مناحم على أسفار العهد القديم "لصقل اللغة اليهودية فى أساسها وجذورها " (افتتاحية كتاب المتكرة) وكرس كل وقته للعهد القديم ، فشرح كل جذر من جذور لغته ؛ ولأنه كان حريصا على عدم الخروج على قواعد اللغة فقد ظل عاجزا عن دراسة تفاسير الأجادا . ولكنه تمكن من التمييز بين التفسير السائد لمعاصريه والمعنى البسيط للعهد القديم

أما دوناش بن لبراط فقد تعصب تعصبا شديدا لكل حرف وكل نقطة ، وفى إجاباته على سعديا جاؤون (ص٢) أشار غاضبا : "حاشا لله أن نفسر أمرا تفسيرا يؤدى إلى حذف نقطة واحدة "ومع ذلك فقد كان مضطرا أكثر من مرة لتعديل تشكيل الماسورا ، وتغيير أقوال الماسورا.

ومهد تلاميذ مناحم بن سروق - وبخاصة الربى يتسحاق غقطيله والربى يهودا حيوج - بأبحاثهم فى علم اللغة سبلا جديدة فى فهم العهد القديم ، كما أن يونا بن جناح تلميذ تلاميذ مناحم بن سروق ورائد باحثى اللغة العبرية فى العصر الوسيط قد أقام لنفسه اسما أبديا فى تاريخ التفاسير بكشفه طرقا جديدة فى نقد العهد القديم . وإذا كان النحاة الذين سبقوه تعلموا العهد القديم من أجل معرفة قوانين اللغة : فإن الربى يونا بن جناح قد تعمق فى تفسير قوانين اللغة من أجل إظهار المقاصد النهائية للعهد القديم . وإذا كان السابقون قد بحثوا فى الكلمات والجذور فقط ، فإن الربى يونا قد أسس علم الأسلوب وقوانين النبر. الأمر الذى ساعد على فهم العديد من فقرات التوراة وتبيان التناقضات المختلفة فيها .

٤- الربى يونا بن جناح

ويعد كتاب "النقد "الذى ألفه الربى يونا بالعربية ، والمتضمن كتابيه : "التراكيب " و "الأصول "من أهم الكتب التى كتبت عن العهد القديم فى ذلك العصر. وقد جمع الربى يونا بين شمولية اللغة وعلامات بناء التراكيب فى اللغة العبرية ما يلى : "الإيجاز" ، و"الناقص" ، " وتسمية الأشياء بنقيضها" و"الإبدال" ، و"ما يقال

عن الكلمة وحاجة غيرها لها" . وقد اهتم بتوضيح مضمونها بجلاء وحدود كل منها ، وأسس رأيه في خضم الرؤى المستمدة من الكتابات المقدسة . وهكذا أوجد لنفسه فرصا شاملة لاستخدام قوانينه لتفسير مسهب ، واستنتاج نتائج هامة في نقد نص العهد القديم .

وقد كان للأساليب التي طورها الربي إليعازار بار ربي يوسي الجليلي أهمية كبيرة ، وبخاصة الأسلوب المعروف باسم "مقرا مختصر "والذي أصبح عنده أساسا قويا لمنهج كامل في النقد . ففي شرح قوانين الحذف (أو كما سماها في ترجمته العبرية إخفاء الأمر) يشير إلى أنه في أسلوب لغة العهد القديم لم يتم فقط حذف حروف أو كلمات ، بل حذفت تعبيرات كاملة . وواجب المفسر إتمامها بناءً على أسلوب فهم العهد القديم . ثم أحصى في قائمة طويلة تلك الاختصارات وتعديلها" (إخفاء الأمر "و "مدلوله "). وهكذا فإنه في سفر اللاويين (٢:٢٠) يفسر الفقرة "أعطى من زرعه للملك "بدلا من "أعطى من زرعه لمولك ". وذلك على أساس ما ورد في(٢١:١٨) فيقول النص . "ولا تعط من زرعك للإجازة لمولك "وما إلى ذلك ، وبناء على ذلك فإنه يرى أن النص قد تغير تغيرا ملموسا . وعلى سبيل المثال يفسر سفر الخروج(٢٢:٥)" أو كل الذي في الحقل "بدلا من "إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداس أو زرع أو حقل ". وفي صموئيل الثاني(٨:١٨) يفسر "وزاد شجر الوعر "أو "حية الوعر "بدلا من "وزاد الذين أكلهم الوعر من الشعب ".

وعلاوة على ذلك فإنه اعتبر الكلمة "شلمان "في هوشع (١٤:١٠) بمثابة اختصار للاسم "شلمنصر ". وكذلك الكلمة "المحاصرون "في إرميا(١٦:٤) اختصارا للاسم "نبوخذ نصر ". كما شرح إبدال الحروف داخل كلمات فريدة مثل "في نصف "بدلا من "في نحو نصف" (صموئيل الأول ١٤:١٤)."من أين ؟ "بدلا من "ما أي هذا" ؟ (صموئيل الثاني ٢:١٥) . و "ما عدا "بدلا من "عدا من" (التكوين ٢٦:٤٦)، والعدد ٢٣:٢٨)؛ الموازي الملوك الأول ٥: ٣، وما إلى ذلك . ويشير على هذا النمط للعديد من التغييرات في ترتيب الكلمات داخل الجملة مثل "من أجل ما صنع "بدلا من "لأجل هذا صنع " (الخروج ٨:١٣)، و "فوق الجبال تقف المياه " بدلا من "فوق المياه تقف الجبال" (المزامير ٦:١٠٤)، و "إذا ضربه البرص قد برئت منه الأبرص "بدلا من "الأبرص قد برئت من البرص "(اللاويين ٣:١٤ وما إلى ذلك) .

ومع ذلك فإن ملاحظات الربي يونا بن جناح النقدية واسعة وخاصة فيما يتعلق بالألفاظ التي لا يفسر معناها تفسيرا حرفيا ، أو حسب رأى الربي يونا "يتحدثون كلاما ويقصدون غيره ".

ومن خلال الأربعة عشرة قاعدة التي وضعها، والتي يمكن على أساسها إيجاد المعنى الحقيقي للفظ المكتوب ، ظهر له حوالي مائتي تعديل داخل نص العهد القديم منها مثلا ، تعديل " :أخذت خبزي ونبيذي "إلى "آاخذ خبزي ومائي ؟ " (صموئيل الأول ٢٥:١١) ، وتعديل "وكانت يد يهوه عليكم وعلى ملككم ". إلى "عليكم كما على آبائكم " (صموئيل الأول ١٢:١٥) ، وتعديل "وصمت كعبد يهوه " (إشعيا ١٩:٤٢) إلى "وأعمى كعبد يهوه وكذلك تعديل "واسم أخته معكة "إلى "واسم امرأته معكة " أخبار الأيام الأول(١٥:٧) (أنظر نفس المصدر ١٦:١٥) .

كما أن الأعداد مثل :اثنان وثلاثة (التكوين ١٨:٢٦، الملوك الثاني ٩: ٣٢، إشعيا ٦:١٧)، والعدد سبعة (التكوين ٢٤:٤، اللاويين ١٨:٢٦، الجامعة ٢:١١)، والعدد عشرة (صموئيل الأول ٨:١، ايوب ٣:١٩)، العدد مائة (الجامعة ٣:٦)، والعدد ألف ألف (صموئيل الثاني ٣:١٨ ، المزامير ١١:٨٤، ٧:٩١) لم يفسرها بمثابة أعداد محددة ، بل فسرها بمثابة أعداد عامة .

كما قام بتعديل العديد من الأسماء والأعداد التي تبدلت بأخرى . فبدلا من : "الثالث" في (القضاة ١٥:١٤) قال "السابع "، وبدلا من "هارون" قال "يعقوب" في إرميا (٢٦:٣٣) وبدلا من "مرف"قال "ميكال "في صموئيل الثاني (٨:٢١)، وبدلا من "سليمان" قال "إبشالوم "في الملوك الأول (٢٨:٢)، وبدلا من "وعند خروجهم من الدار الداخلية "قال "من عند خروجهم للدار الخارجية "في حزقيال(١٩:٤٤) .

وعلاوة على ذلك كشف عن حروف وكلمات كثيرة نسخت من مكانها الصحيح وتحركت إلى نصوص أخرى ، وكذلك أنصاف أسطر لم توجد في مكانها الصحيح (مثل السطر في صموئيل الأول ١:٤ الذي انتقل إلى صموئيل الأول ٢٠:٣)، وما يشبه ذلك ، فقد أحصى العديد من الكلمات التي تبدلت بأخرى مشابهة لها في الصوت .

وهكذا وصل ربي يونا بن جناح عل أساس بحث الأسلوب العبري وفهم قوانين تركيب الجملة إلى بحث متقدم في نقد نص العهد القديم ، كما وصل العديد من العلماء المتأخرين إلى مثل هذا البحث على أساس من تلك القوانين ذاتها أو غيرها والاختلاف

الأساسي بينهم هو أن المتأخرين يتحدثون بشأن النص القديم الذي حُرِّف بمرور الزمن من قبل الكتبة والنساخ العديدين ، أما هو فيرى أن ذلك نتاج تعديلات في صورة الأسلوب العبري في العصر القديم . لكن من الخطأ الاعتقاد بأن ربي يونا استمر في تعديلاته مقيدا بوجهة النظر الفيلولوجية فقط ، فالعديد من هذه التعديلات المحصاة - وبخاصة الأخيرة - لا يمكن إيجاد سبب آخر لها غير أخطاء النساخ .

ثانيًا : المفسرون في فرنسا

وقد كان تأثير أولئك النحاة على معاصريهم والأجيال المتأخرة تأثيرا كبيرا ، حيث أثرت روحهم على كبار المفسرين الذين نشأوا في فلسطين . أما المفسرون الذين كانوا في فرنسا فقد تأثروا كثيرا بعلماء النحو ولم يثقلوا أنفسهم بعبء البحث وعلم الباطن (السود) مثل زملائهم في الأندلس ، بل كان جل اهتمامهم داخل الكتابات المقدسة فقط ، واستمدوا من داخلها شكوكهم وطرق تبديدها . والحقيقة أن اللغة العربية لم تكن منتشرة بينهم ، لذلك كان أمامهم مؤلفات النحاة الأوائل بصورة أساسية مثل دوناش بن لبراط ومناحم بن سروق وتلاميذهم الذين كتبوا باللغة العبرية.

١- شلومو يتسحاقي

وقد كانت نتائج استنباط هؤلاء وطرقهم واضحة لهم . وكان الربي شلومو يتسحاقي المفسر الأكثر إيمانا بمذهب القابالا من بين كل مفسري العهد القديم اليهود، وكان شلومو من أعظم مفسري فرنسا وخطيب دائرة أصحاب الماسورا ، وقد أكثر من استخدام قوانين النحو ، واجتهد للوقوف على قصد النصوص بمعناها المباشر و " تثبيت النصوص على طابعها ونظامها " (الخروج ١٣:٣٢)، ولم يفضل "التفاسير الحرفية المتجددة "على أساس أقوال الأجادا الراسخة لكنه استخدمها واقتبسها (المراثي ١:١، المقدمة لنشيد الأناشيد ، الخروج ٩:٦، الجامعة ١٢:٤).

وقد سعى بلا شك في تفاسيره إلى دعم جوهر آراء الماسورا المُسلم بها ، ولم يكن هناك ما يمنعه من الإشارة إلى أن العهد القديم لم يكتب إلا "من أجل أن يتأمل المستمع "ما ورد مثلا في الخروج (١٨:١٩)"وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار . وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا ".

كما تنبه أيضا إلى عملية ربط الأحداث وتوصل إلى حقيقة اختلاف المؤلفين وترتيب النصوص . فهو يرى أن بداية سفر يشوع "وكان بعد موت موسى "متصل بالتوراة التى تنتهى بموت موسى أى أن سفر يشوع متصل بالتوراة ". أو "وكان رجل من جبل أفرايم "ـ وعلى الرغم من أن هذين القسمين كتبا فى نهاية سفر ميخا والسارية فى جبعة ، إلا أن ذلك كان فى بداية سفر القضاة (١:١٧). وعندما وصل إلى عبارة "واستراحت الأرض " (القضاة ٥:٣١) يحذر منبها "ليس هذا من أقوال دبورا بل من أقوال كاتب السفر ". ولا يوجد "سابق ومتأخر فى التوراة "والكل عظيم بالنسبة له ".

٢- ربى يوسف قرا

وقد تفوق على الربى شلومو يتسحاقى فى هذا البحث معاصره الشاب ربى يوسف قرا، والذى أعلن أن طرق التفسير التى كانت مألوفة فى فلسطين منذ عصر الأجادا التلمودية كأسلوب عام فى فهم العهد القديم ليست سوى تحسين وتجميل للتفسير ، وأن الجوهر يكمن فى التفسير الحرفى المنطقى للنصوص [البشاط]، وعندما وصل إلى فقرة "لأن النبى اليوم كان يدعى سابقا الرائى" (صموئيل الأول ٩ :٩) فإنه لم يشك مطلقا فى استنتاج الحكم التالى "أن هذا السفر لم يكتب فى عصر صموئيل "ولم يتجاهل كلية أنه بهذا يناقض أقوال أصحاب الماسورا ، بل يضيف التفسير قائلا : "قال علماؤنا طيب الله ثراهم أن صموئيل كتب سفره المضىء للأرض لكى يجعل من الظلمة نورا ومن الفساد إصلاحا ".

وحاول فى تفسيره تحديد قوانين معروفة تبدو عامة فى التفاسير ومؤسسة كلها على قواعد التفسير الحرفى المنطقى للنصوص (البشاط) وفهم اللغة ، كما كشف أحيانا عن السمة الأدبية التى لم تكن متوافرة مطلقا عند مفسرى العصر . كما استنتج الجنس الشعرى من داخل النصوص ، وأحصى منها أنشودة الخلاص وأنشودة موسى ، وقصيدة البئر وأنشودة داود وما إلى ذلك (القضاة ٥). وأما ربى شلومو بن منير ـ حفيد الربى شلومو يتسحاقى ـ الذى اعتبر "رئيس المدققين "فإن أقواله لم تحظ شهرة . كما أن أخاه ربى شموئيل بن منير كان من المعجبين بالتفسير الحرفى (البشاط) ودافع عنه بقوة . وتشجع أكثر من مرة لتوضيح بساطة العهد القديم فى مقابل أقوال الماسورا وتفاسير شيخه . وكان ربينو تام الحفيد الثالث للربى شلومو يتسحاقى الأكثر اعتدالا والأكثر تلمودية من بين مفسرى ذلك العصر ، ولم يكن بعيدا

عن الملاحظات النقدية ، وتبدو آثار تفسيراته مبعثرة في مجموعات التوسفتا . وقد أشار إلى أن الإصحاح (٣٠) من سفر الأمثال سفر قائم بذاته واسم مؤلفه "علوقا "، كمـا أظهر في مفكرته الإشارة إلى قواعد في النحو ليحسم الخلاف بين دوناش ومناحم .

٣- ربي يوسف بخور شور

ومن المفسرين الكبار في فرنسا نجد ربي يوسف بخور شور أخر تلاميذ ربي شلومو يتسحاقي ، والذى تميز بتعصبه الشديد للتفسير الحرفي (البشاط) و "تغلغل بروح فهمه في أعماق النصوص ورأى فيها تناقضات تنبه إليها نقاد العهد القديم الأكثر حداثة ". وأدرك أن قضية "السلوى "الموجودة في قسم "وأصعدتك "هي نفسها السلوى في سفر الخروج(١٦)، "غير أن الذى تحدث على سبيل المثال بالمن تحدث عن السلوى ". وهكذا يقول في تفسيره للعدد(٢٠:٨)"خذ العصا "أنه يعني العمل لتقييده بالرسالة الذى أمر به موسى أن يضرب الحصن . وأدرك أن الاسم "بئر سبع" (التكوين ٢٦:٣٣) أعطي لهذه المدينة مرتين في التوراة ، مرة في عصر إبراهيم ومرة في عصر إسحاق ، كما أن الروايات تداخلت في رواية بيع يوسف ، فمرة ابتاعه الإسماعيليون ومرة المديانيون .

وحاول أيضا إنهاء محاولاته في بحث النصوص بصورة عامة ، وأشار أثناء ذلك إلى قاعدة وجود نصوص الحروف فيها تكون معكوسة (الخروج ٤٠:٢٨) كما أشار إلى وجود قراءات مختصرة (التكوين ٤٨:١) وقراءات محرفة (العدد ٢٨:١٤، التثنية ٦:٢٥) وما شابه ذلك .

ثالثًا : النحاة والمفسرون

١- العقلانية الفلسفية والعهد القديم

لم يُؤثر علم النحو في الأندلس على مفسري فرنسا فحسب بل أثر أيضا في علماء الأندلس نفسها . وإذا كان مفسرو فرنسا قد عاشوا عالة على أعمال الجيل الأول من باحثي اللغة ؛ فقد بزغ في الأندلس نجم الربي يهودا حيوج والربي يونا بن جناح والربي موشيه بن غقطيله والربي يهوذا بن بلعام ، وبسبب هؤلاء رجع أيضا الاستنباط

فى ذلك العصر، حتى أن موسى بن ميمون عرفهم بمثابة "حكماء المفسرين "وأسس أقواله على نتائج أبحاثهم .

وإذا كان علم النحو فى تطوره قد بعث الروح فى بحث الكتابات المقدسة وحقق نتائج واضحة فى بحث كل نص من النصوص ، وكل نص قائم بذاته ، فإن تطور الاستنباط العقلى أدى إلى بحث قضايا أكثر تجريدا ، وتجرأت موضوعاته لاختراق أسلوب دراسة النصوص . وتسبب تطور النحو فى تطور نقد العهد القديم ، وأدى البحث الأدبى إلى بدايات النقد التاريخى . وبلا شك فقد كانت فرص البحث الفلسفى قليلة من بدايتها : فقد برز البحث الدينى من البداية فى مجال دراسة العهد القديم فى فروع متصلة ، حتى إن الربى سعديا جاؤون الذى مهد الطريق للفلسفة عبر عن رأيه فى كتابه "الأمانات والاعتقادات "بقوله "إننا نحن الموحدين نؤمن بالأبعاد الثلاثة التالية: العلم وهو (معرفة الظاهر ، وعلم العقل وعلم الضرورة) ونضم إليها بعدا رابعا ... فيكون لنا مصدرا مهما وهو الهاجادا الثابتة ".

٢- ربى سعديا جاؤون

تعتبر الماسورا فى رأى سعديا جاؤون مصدرا للمعرفة ، بل يجعلها فى مرتبة واحدة مع العقل وأقوال النص المقدس. ويفهم من ذلك ، أنه طبقا لوجهة النظر تلك لا يمكن للإدراك العقلى أن يناقض الهاجادا الماسورتية الثابتة والراسخة ، وهكذا يقرر مصير النقد بشكل رجعي. وبالتأكيد فإن هذا لا يعنى أن كل الأقوال المألوفة عند الشعب - دون أن يخرج منها العام - حقيقية وصحيحة كلية ، وأنه لا توجد سلطة لعقلنا لمعارضتها . بل على العكس من ذلك ، فإن الربى سعديا جاؤون فى كتابه ضد القرائين ومذهب عنان بشأن "الرجعية الموروثة "قد ثار على هذا الرأى ، ولذلك فإنه يتحدث عن الهاجادا الثابتة لدرجة أن بعضا من عقلانيته وجدت دعما وأساسا فى أقوال الماسورا المعروفة ، مثل الاعتراف ببعض التناقضات الأخرى فى أقوال الماسورا .

ووجد نقد العهد القديم فى هذا القسم عند الربى سعديا جاؤون مكانا متميزا . فرغم ثقته التامة - على سبيل المثال - فى الروايات الخاصة بالمعجزات ، ورؤيته لها بأنها برهان قاطع للألوهية التى تظهر وسط أحداث التاريخ اليهودى ، وأنها دليل واضح على صدق روايات العهد القديم فقد سمح لنفسه - عندما تدعو الضرورة - بتقريب المعجزات للعقل، فيفسرها مخالفا الماسورا . ويدلل على ذلك فى تفسيره لسفر التكوين بشأن

الحية التى تكلمت مع حواء، بأن الحية لم تتكلم بل الملاك تكلم بدلا منها (التكوين ٣:١)، ويفسر أتان بلعام ، بأن الأتان لم يتحدث بل الملاك (العدد ٢٢:٢٨).

وقربته أبحاثه فى علم اللغة العبرية كثيرا إلى جوهر أقوال العهد القديم ، وترجمته العربية متحررة وبعيدة عن المدراش وأقوال الأجادا . وكان الربى سعديا واثقا أن كل كتابات العهد القديم مكتوبة من قبل الوحى ، واستخدم هذه العقيدة أساسا لأسلوبه الفلسفى ، ورغم ذلك فقد حدد قواعد تسمح بشرح أقوال النص على غير صورتها ، ولم يرفض الموافقة أحيانا على وجود كلمات ناقصة فى النصوص التى أمامنا ، وأنها تحتاج إلى تعديلات ، كما أن التشكيل أحيانا لم يكن كما ينبغى ومن الضرورى تعديله . ويحتج ابن عزرا فى تفسيره لعبارة "ملعون كنعان" (التكوين ٩:٢٥) ويأتى بقول الربى سعديا "تنقص كلمة أبى ، ويجب أن تكون أبى كنعان"، وفى عبارة "وأما باسمى يهوه فلم أعرف عندهم" (الخروج ٦:٣) يأتى ابن عزرا ويقول "قال الربى سعديا جاؤون تنقص فى النهاية كلمة وحده ، كما لو قال وأما باسمى يهوه وحده فلم أعرف عندهم".

ويؤكد الربى شلومو فرحان اعتماداً على الربى سعديا أنه بدلاً من "عرقبا ثور" (التكوين ٤٩:٦)ينسخ "سور"، يعنى سور شكيم؛ وترجم الربى سعديا جاؤون " (التكوين٤١:٣-٤) - : "والرقيقات اللحم "أى نعومة اللحم ، ومن إجابات دوناش بن لبراط على الربى سعديا جاؤون فإننا نعلم أن سعديا قد عدّل فى تشكيل أيوب (٣١ : ١٨) ، والتكوين (٤٩ : ١٠) وغير ذلك . وأسلوب الربى سعديا جاؤون بشأن تثبيت العهد القديم يعد ذا أهمية كبيرة تتخطى حدود البرايتا المعروفة فى (بابا باترا ٢) وتتقارب مع رؤية النقاد المحدثين. وفى تفسيره لسفر الخلق يقول " :استمر بعض العهد القديم لسنوات عديدة معلناً ومُسلماً به وغير مكتوب (يعنى أن جزءًا من أسفار العهد القديم كان لسنوات عديدة معلناً ومسلماً به شفوياً وليس كتابة)، مثل نشيد الأناشيد الذى استنسخه رجال حزقيا . إلى أن حان الوقت الذى جمعه فيه العلماء واهتموا به ونمقوه وحددوه ووضعوا له الأسس .

٢- معارضة التشبيه للألوهية

غير أن أنماط الوصف التى صور بها اليهودى القديم المعاصر للمقرا الإله

ونشاطاته تمثل الصعوبة الأساسية التى صادفت الباحثين فى العهد القديم وأجبرتهم على القيام بعملهم ضد الماسورا التقليدية وأن يسلكوا طرقاً جديدة ، منها طرق النقد الحر، فهم الذين نشروا النظرية التجريدية للألوهية بمثابة فكرة روحانية الذات الذى ليس له جوهر وليس له شبه جوهر، وارتعدوا عند قراءتهم فى أسفار التوراة ـ الأساس المؤسس لكل الدين اليهودى ـ للروايات والتعبيرات التى تصف الإله وصفاته بصورة تجسيدية مطلقة . وبسبب المعاداة لتلك الصورة التجسيدية [الأنثروبومورفية] نهض البحث الدينى عند اليهود طوال ذلك العصر، واستخدم هذا الصراع فى إثارة النقد مرارا لتدمير النقد ، والمقال المذكور عن نقاد العهد القديم فى عصر التلمود "تحدثت التوراة كلغة البشر". عاد للحياة ، وقدم ليصبح حجر الأساس لكل التفاسير الفلسفية. وعلاوة على ذلك تشجع الربى سعديا جاؤون لتقريب روايات المعجزات إلى العقل ، وعند تصادمه مع الصورة التجسيدية [الأنثروبومورفية] المألوفة فى التوراة : فقد أحصى عشرة أوصاف فى التوراة على أساس مقارنتها بمواضع أخرى فى العهد القديم واضطر ليفسرها ليس كما هى مكتوبة (التثنية ١١:١٢؛ العدد ١١:١٨؛ الخروج ١٧:١؛ المزامير الجامعة٨٩:٥ ؛ العدد ٦:٢٥ ؛ الخروج ٩:٣ ؛ التكوين ٨:١١ ؛ إرميا ٣١:٢٩ ؛ المزامير ٩٩:٥؛ إشعيا ٥٩:١٧) .

٤- سليمان بن جبيرول

وقد سار على منهج معارضة التشبيه كل باحثى العصر الوسيط فى صراعهم مع الأوصاف والروايات المعارضة لفهمهم الفلسفى . وفى الواقع أن معظمهم لم يضع تفسيرا للمقرا غير أنهم أقحموا فى كتبهم العديد من التفاسير المستحقة للانتباه والمعبرة عن وجهة النظر التى تصوروها ، كما أن العديد منهم كَتَبَ تفاسير ولم تصل إلينا . ويستحق أبراهام بن عزرا الثناء لأنه أقحم فى تفسيره مرارا وتكرارا آراء المفسرين الآخرين ، سواء من كان يوافقهم ، أو من كان يعارضهم ، وعلى هذا الأساس فقد حافظ عليها حتى لا تختفى . فابن عزرا يأتى فى تفسيره الأول لسفر التكوين (الذى لم يكتمل) بالتفسير الرمزى للربى سليمان بن جبيرول لجنة عدن، حيث يعكس ابن عزرا كيف أدخل هذا الباحث الرائى معانىَ تجريدية لأقوال النص المقدس ، ليكشف عنها الغشاء السرى "الذى يسمو عن أسلوب الطبيعة "، ويجد دعماً لرأيه داخل الكتابات المقدسة ، فيقول : "إن جنة عدن هاهى العلوية والنهر بمثابة "الألفاظ" ، والأربعة رؤوس هى "الجذور". أما آدم وحواء والحية فهم صفات للنفس ، فآدم "الحكمة

التى دعت الأسماء" ، و حواء "إشارة للروح الحية" ، والحية "الاشتياق إلى ... الذى هو قسم الساحر المتكهن" و" أقمصة جلد مفسر أنه هو المادة ، "وطرد من جنة عدن لأن هذا كل إنسان" .

ويذكر الربى أبراهام بن عزرا ما يتعلق بحلم يعقوب قائلاً : "والربى سليمان السفارادى قال "وإن السلم إشارة للروح العليا ، وملائكة الرب - أفكار الحكمة ". وعلى كل حال أدرك أنذاك الضرورة الملحة لإقحام أغراض جديدة فى بعض روايات العهد القديم والتى لا تنسب إليها مثل الحقائق التاريخية ، وفى نفس التفسير الأول لسفر التكوين يأتى الربى أبراهام بن عزرا بأقوال الربى سليمان بن جبيرول بشأن الحية ، الذى يقول : "إذا كانت الحية تتحدث، لماذا لا تتحدث الآن ؟ "و "اعلموا أنه لا يوجد ذكر فى النصوص أن تأملت كلامها ". ولذلك فإنه يخرج القصة عن معناها البسيط. وبلا شك فإن نقد العهد القديم لم يروج شيئاً من هذا ، وبدلاً من تفاسير الأجادا حلت تفاسير البحث . و لا تعكس كل روايات العهد القديم حقائق تاريخية حقيقة ، فهناك من يرى أن العديد منها مؤلفات أدبية فقط - رفض نفس النموذج الذى يقول إنه يطابق (بابا باترا ١٤: ٢) وسفر أيوب على سبيل المثال منح بخصوص الشاة - وقد ازدهر وتأسس هذا الاتجاه من قبل أولئك الباحثين والمفسرين.

٥- بحايا بن فاقوده ، وموسى بن عزرا

يحذر ربينو بحايا بن فاقوده صاحب كتاب "هداية القلوب "، قائلاً : "يسعى العاقل واسع الصدر إلى تبسيط الكلمات ومدلولاتها ، ويرفعه بفكره من رتبة إلى رتبة حتى يصل إلى حقيقة الموضوع ، ثم يواصل "والمجرد "و "المرتبة "لكل التعبيرات والروايات المتصلة بالظهور الإلهى فيبعدها عن التفسير المادي. كما يخصص الربي موسى بن عزرا فى كتابه "تقسيم العطور "- الذى وصل إلينا منه أجزاء - فصلاً خاصاً لـ : "إبعاد الماديات عن الخالق ". ويشير فيه قائلاً : "والعاقل يجرد المفاهيم من غطائها المستعار المبتذل ويصبغها بغطاء عذب إلى أن يصل بها إلى المفهوم المنشود كما ينبغى أن تدركه قدرة الإنسان".

٦- الربى أبراهام بن حيا

وأوضح أيضاً الربى ابراهام ابن داود فى كتابه "العقيدة المتسامية "أن

الصفات قيلت لأجل العامة فقط ، ولأجل الأمانة فإنهم مفتقرون للتكبير والتجريد تماماً. وكل من يتعمق فى بحثه يحذر كثيرا من تجريد النصوص المقدسة . والربى أبراهام بن حيا - المحتمل أن يكون من برشلونه - يربط فى مقدمة كتابه "منطق النفس "، بين رواية الخلق في العهد القديم وبين علم نظرية الكون فى عصره ، ويفسر خربة "بمثابة عنصر (عديم الصورة) و"مياه "بمثابة جمع لكلمة بمعنى "ماء" (مثل حملان من حمل أفواه من فم)، يعنى أنها صور، وهاهو يحذر لا يمكن أن يفهم منه ماء حقيقى ، لأنه ليس من الضرورى أن تعلو به عن الفهم ، طالما أننا نجد أسلوباً مباشراً فى التفسير من النص الذى يسير على طريق الحكمة والعلم ولا يخرج عن أسلوب اللغة . وهاهو يضم قانونين جديدين ، وهما :أسلوب العلم ونمط اللغة . ومنذ ذلك العصر وعلى أساسهما ازدهر بحث العهد القديم بين اليهود ، والربى موسى بن ميمون أعظم باحثى عصره رفعهما إلى مرتبة أسلوب محدد .

٧- موسى بن ميمون

لم يترك لنا الربى موسى بن ميمون سفراً قائماً بذاته عن العهد القديم. ووصلت إلينا تفاسير بعض أسفار التوراة بواسطة ابنه الربى أبراهام بن موسى بن ميمون ، ولا تشمل فيما بينها أسلوب ربط. كما أن كتابه الأساسى "دلالة الحائرين "ليس سوى تفسير لأقوال النصوص المقدسة المناسبة "لأسلوب العلم "، كما أنه أيضا ليس سوى توضيح للتوراة والنبوة. غير أن هذا العلم لم يكن هو العلم التاريخى ونظرية تطور النفس . وفى عصر موسى بن ميمون وفى رأيه لم يكن العلم سوى علم الطبيعيات والميتافيزيقا لأرسطو وعلم الكونيات [الكوزمولوجيا] السائد فى عصره ، وإليها توجه موسى بن ميمون للتوفيق بينها وبين النصوص. وفى سبيل ذلك وضع تحت مجهر النقد نظرية الخلق فى العهد القديم ، وصفات الألوهية ، وأقوال الملائكة ، وقضية ظهور الإله للشعب ومختاريه ، ورؤى الأنبياء وروايات المعجزات، وخصص لكل ذلك أفضل فصول "دلالة الحائرين ". وقد أحس إحساساً ذاتياً بأنه غير مرتبط كلية بالحروف المدونة . وسعى لكى يلائم أسلوبه مع النصوص : فنسج شبكة كاملة "لغموض التوراة " وأسرار النص المقدس، واستخدم فى سبيل ذلك كل معارفه الذاتية وحدة ذكاء الجاؤونية. وتفوق بذلك على كل الباحثين الذين سبقوه ، فلم يترك نصاً مقدسا واحداً يناقش الأمور المتصورة دون أن يمررها فى بوتقة تأويله ، ولم تفحص هذه الأمور كلية قيد التجسيد والفهم العام . غير أن هذا يتصل بتلك الفصول التى بدت له تخفى

حقيقتها العلمية. وطالما أنه يحافظ على ذلك ، فقد عاد مرة ثانية وفياً لدائرة أصحاب الـــماسورا ، ونظر إلى كل أقوال التوراة على أنها معطاة. وبذلك خضع لقداسة الماسورا .

وعلاوة على ذلك فإن جوهر بحثه أضاف له قوة ، فقد كان نقد التوراة بمثابة نتاج أدبي للتواريخ الواردة فيها ، وبقى ذلك بين اليهود لعدة أجيال ، غير أن عمل هذا "النسر "بسط جناحيه على بحث المقر ا، ولم يمر بدون انطباع إيجابي على النقد في هذا المضمار . وقد استخدم موسى بن ميمون بقوة واسعة طرق بحث علماء اللغة ونتائجهم ، ورفعهم لمرتبة "الأذكياء "من بين المفسرين، ومن بين روايات المعجزات العديدة في العهد القديم استنتج حقائق تاريخية ووجد لها مكانها الصحيح في الحياة النفسية للراني. ونصادف في العديد من تفاسيره المحاولات الأولى لاستخدام علوم الحفريات بهدف توضيح العهد القديم بصورة نظرية.

رابعًا : الباحثون والمفسرون

١ – النقد التاريخي

وإلى جانب الربي موسى بن ميمون وفي عصره ظهر البحث العقلاني ، وازدهر في مجال نقد العهد القديم ، كما ازدهر النقد التاريخي، وبهذا دفع إلى استنباط أسلوب جديد عظيم النتائج. فمرة أخرى تأمل يهوذا بن قوريش عبارات أخبار الأيام الأول (٣: ٢٠ – ٢٤) المتضمنة أسماء الأفراد الذين عاشوا بعد عصر عزرا مؤلف السفر ، وقرر أن هذه العبارات أقحمت داخل السفر في نهاية عصر الهيكل الثاني، وذلك على أساس المعلومات التي وجدت آنذاك في أسفار أعمال الملوك.

٢ – موسى بن غقطيله

أما الربي موسى الكاهن ابن غقطيله - الذى أسس تفسيره باللغة العربية على أساس قواعد بحث اللغة لابن جناح والربي يهودا حيوج - ففي مقدمته للبحث بشأن الكتابات المقدسة كان الباحث الأول المهتم بشأن من ألف هذا السفر أو أي إصحاح آخر ؟ ومتى ؟ وأين ؟. ويشمل تفسير الربي أبراهام بن عزرا في ثناياه اقتباسات عديـــدة من التفــسيرات التـــاريخية للربي موسى بن غقطـيله. ويقترح ربي موسى

ابن غقطيله اعتمادا على الإصحاح الثالث من سفر يوئيل ما يلي "ربما كان هذا النبي في عصر القضاة ". وهاهو يوضح من العبارة (١١) في الإصحاح (٤) من سفر يونا :أن النبي "يتحدث عن الهيكل الثاني والحاكم كان زروبابل ". ويأتي أبراهام بن عزرا برأيين فيما يتعلق بالعبارة (١٧) من سفر عوبديا ، الأول رأى الربي يشوعا الذي ينسبه إلى زمن الهيكل الثاني ، والرأى الثاني رأى الربي موسى بن غقطيله الذي يرجعه إلى عصر حزقيا ، وليس كالرأى السائد بأن عوبديا كان يعيش في عصر إلياهو. وبذل ابن غقطيله جهداً في تحديد زمن تأليف كل إصحاح من إصحاحات سفر المزامير ، ويتشجع بصورة عامة ليقرر في تفسيره بشأن المزمور(٤٢)،(لإمام المغنين قصيدة لبني قورح) "أنه ألف في بابل ". كما يقرر ذلك أيضاً بشأن المزمور(٤٧). وأدرك ابن غقطيله من خلال الإصحاحات الموجودة في سفر إشعيا من الإصحاح(٤٠) وما بعده أنها تعكس لنا فترة تاريخية مختلفة ومتأخرة كلية عن الإصحاحات السابقة لها (تفسير الربي أبراهام بن عزرا لإشعيا الإصحاح ٤٠) ونسبها ابن غقطيله إلى عصر الهيكل الثاني.

٢- الربي يشوعا

ولم يكتف الربي يشوعا - الذي اختلف مرارا مع الربي موسى الكاهن - بتوضيح زمن تأليف أقسام النبوات ، بل أدخل إلى دائرة بحثه ما يتعلق بالتوراة. واعترف الربي يشوعا بأن موسى هو الذي كتب التوراة ، وليس فقط أنه كتب ما حدث في عصره بل أيضاً الأحداث السابقة عليه . وعلاوة على ذلك ، فإن الإصحاحات التي تبحث ما يرتبط بالعصور السابقة لموسى فإن موسى لم يؤلفها من وجهة نظر تلك العصور ، بل من وجهة نظره. وليس لدينا تفاسير الربي يشوعا ، كما أن معارفنا عنه قليلة ، وما لدينا عنه تفسير واحد اقتبسه الربي أبراهام بن عزرا ، وجعلنا نقف على رأيه السابق . فيقال في الخروج (٦:٣)"وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر ... وأما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم ". فيفسر وفقًا لـ : "لقد وجدنا نصا في قصة إبراهيم – أنا يهوه الذي أخرجك من أور الكلدانيين ، وفي قصة يعقوب "أنا يهوه إله أبيك إبراهيم ". وقال الربي يشوعا : لأن إبراهيم ويعقوب لم يعرفا هذا الاسم ، فقط موسى كتب كذلك ". هذا يعني عندما وصل موسى ليكتب ما يتعلق بإبراهيم وما يتعلق بيعقوب لم يعلن الحدث بلسانهم ، بل بلسانه هو، ويكنى الرب بنفس اللقب الذي عرفت به الألوهية عنده. وطالما افترض الاحتمال، بأن موسى عدل بأسلوبه

ولغته هذه الإصحاحات أو اللفائف التي وصلت إلينا ، فمرة ثانية سنحت الفرصة للاعتقاد أنه حدث مثل هذا وتم التعديل بعد ذلك للإصحاحات التي كتبها . وتوصل لهذا الرأى النحوى والباحث يتسحاقى (الربى يتسحاق بن يشيش من طليطلة) صاحب كتاب "الإضافات "فى علم النحو وكتاب "يتسحاقى "فى تفسير العهد القديم.

٤- الربى يتسحاق بن يشيش

وعندما وصل الناقد الربى يتسحاق بن يشيش إلى فقرة "وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا فى أرض أدوم قبلما ملك ملكٌ لبنى إسرائيل" (التكوين ٣٦:٣١) ، لم يبحث ليثبت النص قسراً، لكنه لم يمتنع عن الإشارة (مثل رأى الباحثين المتأخرين) إلى أن هذه الأقوال كتبت بعد أن مُلك ملوك لبنى إسرائيل. وعلاوة على ذلك ، فقد سعى الربى يتسحاق بن يشيش لأن يحدد بالضبط متى كتبت ؟ ووجد على أساس فحص الأسماء المذكورة فى هذا القسم أنهم جميعاً حكموا فى عصر يهوشافاط . ويقول أبراهام بن عزرا فى تفسيره "وقال يتسحاقى فى كتابه إن هذا القسم كتب فى عصر يهوشافاط وفسر الأجيال طبقاً لإرادته ، ألم يدع اسمه يتسحاق كل من يسمع يضحك له، لأنه قال إن هدد (المذكور فى هذا الإصحاح عبارة "٣٥") هو هدد الأدومى (الملوك الأول ١١:١٤)، وقال إن "مهيطبئيل" (المذكور في نفس الإصحاح عبارة ٣٩) هي أخت تحفناس (الملوك الأول ١١:١٩). وهكذا يدخل الربى يتسحاق (الذى توجد الآثار النقدية لتفسيراته الأخرى المذكورة عند الربى أبراهام بن عزرا (انظر هوشع ١:١: دانيال ١:١ ؛ أيوب٤٢:١٦))داخل البحث العبرى للعهد القديم الرأى :أن سفر التوراة يشمل فى ثناياه إضافات متأخرة كتبت بعد موت موسى بزمن كبير.

٥- أبراهام بن عزرا

غير أن قمة بحث العهد القديم عند اليهود فى العصر الوسيط تمثلت فى العمل التفسيرى لأبراهام بن عزرا.

وقد استخدم الربى أبراهام بن عزرا بصفته واحدا من أفضل النحاة فى ذلك العصر – وبصفته أيضاً الباحث البارع فى لغة العهد القديم – نتائجَ علم اللغة فى تلك الفترة فى تفاسيره، وبصفته خبيرا بالمذهب العقلى ، وفيلسوفا لا يعرف الخوف تشرب فى أعماقه كل نتائج البحث الدينى السابقة عليه والسائدة فى عصره . وعلاوة على

ذلك، فقد كان حراً من كل قيود الماسورا الفلسفية المحددة، ولم يكن في حاجة مثل معظم أقرانه لأن يجد في أقوال النصوص دعماً ومساعدة لأى منهج أياً كان، وكان الربى أبراهام بن عزرا حراً كلية عن أى رأى سابق ، وكان مجهزاً بوسائل بحث العصر، وممهداً في عصره لاتجاهات جديدة. ولأنه مقتبس بارع فقد جمع في كتبه كل ما يتطلب الحفظ ؛ ووجد أحياناً رأياً مخالفاً له في البداية بسبب "تشدده"، لكنه في النهاية لم يكن هناك مانع من قبوله والإضافة عليه.

وعلى سبيل المثال فقد تجاهل مرة وباستهزاء شديد الرأى المتشدد للربى يتسحاق والذى يتعارض تعارضاً مطلقاً مع الماسورا ، وأضاف بعد ذلك بغضب قائلاً : "إن كتابه يستحق الحرق" . ومع ذلك فربما كان هو أول من سلم بهذا الرأى في بقية تفاسيره. وإن لم يرض الربى أبراهام بن عزرا بفضل أقوال الربى "يتسحاق الغامضة"، وفسر العبارة "وهؤلاء هم الملوك ... قبلما ملك ملك لبنى إسرائيل" (التكوين ٣٦ :٣١) بأن "ملك "هنا تعني موسى، وقد كشف بنفسه في مواضع أخرى عديدة رأيه - رغم أنه غامض ورمزى - بأنه تداخلت أيد في التوراة ، وأحصى عدداً محدداً من الإضافات المتأخرة ، التى لا يمكن أن تكون قد كتبت في عصر موسى . وفي تفسيره لفقرة " والكنعانى أنذاك فى الأرض" (التكوين ١٢:٦)تجرأ ابن عزرا ليؤكد الغرابة في هذه الإضافة للراوى بقوله : "من المحتمل أن أرض كنعان هنا اكتسبت هذا المعنى عن طريق شخص أخر ، " غير أن هذا التوضيح لا يرضيه ، فيضيف : "وإن لم يكن كذلك، فإن له سرا ، والذكى يعرف " . رغم أنه أراد أن تحرز أراؤه العديدة وتفاسيره الدقيقة والثرية شهرة علانية بين المتعلمين : فلم يتجرأ الربى أبراهام بن عزرا أن ينشر علانية رأيه بوجود أجزاء متأخرة في ثنايا التوراة ، حتى لا يتعرض هو وأراؤه للهلاك.

وكما يبدو فقد قرر التخلى عن ذلك لأجل أبحاثه الأخرى التى اعتبرها أكثر أهمية وأكثر ضرورة . غير أنه لم يستطع أن يصمت صمتاً مطلقاً على مثل هذه الحيرة، واكتفى بتلك الرموز ، لأنه كان واثقاً أن المفكر يفهم تلك الإشارات الرمزية ويصل إلى الحقيقة. ولم تكن هذه هى الإضافة المتأخرة الوحيدة التى وجدها الربى أبراهام بن عزرا في ثنايا التوراة. وأعلن في سفر التثنية الإصحاح(٣) بشأن عوج ملك باشان أن "بقى من بقية الرفائيين ". ويوضح الكاتب روايته بشأن عوج "هو ذا سريره سرير من حديد . أليس هو فى ربة بنى عمون . طوله تسع أذرع..." (٣:١١) ،

فيدعي ابن عزرا أن الكاتب كما لو كان يتحدث عن شخص قد عاش قبل عدة سنوات ، ولكي يؤكد روايته اعتمد على بقايا قديمة لتلك الأزمنة البعيدة التي حفظت حتى عصر الكاتب . وبعد ثلاث فقرات يواصل الكاتب قائلاً : "يا ئير بن منسى أخذ كل كورة أرجوب ... ودعاها على اسمه باشان حووث يائير إلى هذا اليوم" (١٤:٣). فيفهم من ذلك أيضا أن الكاتب نفسه مصدر، ويسرد أحداث زمن بعيد ، بعد الزمن الذى حدث فيه نفس الحدث، يعني بعد زمن طويل من موت موسى. ومرة ثانية وجد النص "وكتب موسى هذه التوراة وأعطاها للكهنة" (التثنية٩:٣١) ، وفى نهاية سفر التثنية يتكرر قسم كامل لاثنتي عشرة فقرة تسرد بالتفصيل كيف صعد موسى إلى جبل نبو ومات هناك ودفن فى جيا وندبه بنو إسرائيل ، وغير ذلك حتى نهاية السفر . هذه العبارات لا يمكن بأى حال أن يكون موسى قد كتبها. وعلاوة على ذلك يقال فى التثنية (١:١) إن "فى عبر الأردن "تحدث موسى بأقواله، وهو ما يؤكد أن الكاتب قد عبر فعلاً الأردن وأقام فى عبر الأردن من هناك، وبناءً على ذلك اعتبر صحراء مؤاب هى "عبر الأردن "وهو ما لم يفعله موسى، لأنه لم ينجح فى الصعود إلى فلسطين ، ولذلك فلا يمكن أن تكون قد أطلقت فى عصره "عبر الأردن "على صحراء مؤاب. وكذلك فيما يتعلق بجبل الموريا فيكون النص فى سفر التكوين (١٤:٢٢)" حتى إنه يقال اليوم فى جبل الرب يرى"، ويمكن أن يكون "ويقال "فقط أنذاك، عندما أنشأ فعلا بيت الرب فى موضعه فى جبل الموريا. فكل هذه النصوص ألزمت الربى أبراهام بن عزرا الاعتراف بفضل صدق الربى يتسحاق بن يشيش فى جوهر الأمر، وأنه بالفعل أقحمت بعد موت موسى بفترة طويلة إضافات متأخرة داخل أقوال التوراة. غير أنه كما قيل من قبل لم يرغب ولم يستطع الربى أبراهام بن عزرا أن يعلن ذلك بوضوح.

ولم يكتب عن هذه النصوص المحصاة هنا فى تفسيره للتوراة فى مواضعها أى شئ، غير أنه لم يسمح لنفسه أن يمر عليها بصمت تام ، وإن لم يجد ضرورة لنشر مثل تلك الآراء بين عامة القراء، فقصد من ذلك أن يقف مفكرو الشعب على هذه الإضافات ، ولذلك جمعها كلها سوياً ويقول فى تفسيره للتثنية (١:١)" فى عبر الأردن" وإذا فهمت سر الاثنىْ عشر، أيضاً وكتب موسى، والكنعانى آنذاك فى الأرض فى جبل يهوه يرى، وأيضاً "وهاهو سريره سرير حديد "، سوف تعرف الحقيقة ، فقد اختار لنفسه لغة تعليمية ، وصبغ آراءه النقدية بصبغة الرموز والألغاز.

ومع أن هذه النصوص تشهد بذاتها على زمنها المتأخر ، فقد كان واضحاً رغم كل ذلك للربى أبراهام بن عـزرا أن مـوسى ألف جـوهر التـوراة. كـمـا أنه ألف الإصحاحات التي تبحث العصور السابقة له. وكما يبدو فقد ألفها على أساس لقائف قديمة غير أنه أضاف عليها نصوصاً من عنده ليزيد توضيحه لمادة الرواية. ويكشف الربى أبراهام بن عـزرا عن رأيه هذا في تفاسيره المختلفة، ففي سفر التكوين (٣٢:٢٠): " لأنه قد استعطف وجهه بالهدية السائرة أمامه ". يشرح الربى أبراهام بن عزرا قائلا : "إن يعقوب قال في نفسه تلك أقوال موسى "، أريد أن أقول، كاتب الرواية – موسى – يوضح لسامعيه لماذا أرسل يعقوب على قائمة الهدية لأخيه عيسو ، بسبب أنه قال في نفسه استعطف وجهه .. الخ.

وفي موضع أخر يقول النص. "واضطجع في هذا الموضع – وأقوال موسى كشف سرمدية (في هذا الموضع) والتأكيد على هذا الموضع المعروف حالياً " (التكوين ١١:٢٨). ويفسر في موضع أخر "في هذا اليوم يهوه إلهك يأمرك أن تفعل الأحكام ... وتحفظها وتعملها " (التثنية١٦:٢٦)، في هذا اليوم- تلك أقوال موسى، وتحفظها - في قلبك، وتعملها - في الأرض". وعلاوة على ذلك ، فإنه يعرف ما هو السفر الكامل الذي صدر عن موسى، ففي الخروج (٤:٢٤) وجد النص : "وكتب موسى "فيوضح : "بعد أن سرد لهم أقوال الرب كتب الوصايا والأحكام، وهذا هو سفر العهد "، وأيضاً فإن زمن تأليف السفر كان معروفاً له، واعتمدت معرفته على ما ورد في التثنية (١:٣): "ففي السنة الأربعين في الشهر الحادي عشر في الأول من الشهر كلم موسى "، وغير ذلك.

وعلى ذلك فإنه عندما وجد في سفر الخروج (١٤:١٧) بشأن حرب العماليق النص : "أكتب هذا في الكتاب تذكاراً "، فإنه يوضح : "قيل هذا القسم في السنة أربعين، واستشهد بأنه قيل في السفر المعروف ، وهو سفر التوراة ". غير أنه أدرك أن هذا التوضيح غير مقبول، لأن حرب العماليق كانت قريبة في وقتها من زمن الخروج من مصر. ويعبر هنا عن شرح أخر يظهر لنا فيه ذكاءه الحاد والمدهش : "أو كان لهم كتاب أخر وعرف باسم سفر حروب يهوه وليس عندنا ؟ وذلك كما لا يوجد عندنا سفر المستقيم ، ومدراش عدو ، وأخبار الأيام لملوك إسرائيل ، وأسفار سليمان". وهكذا لم يمتنع الربى أبرهام بن عزرا أحياناً ، عندما لم يجد خطراً بشأن أسس الماسورا ، أن يعلن بوضوح وبدون تردد الآراء النقدية التي لم تكن مرغوبة بلا شك لدى العديد من

معاصريه ، حتى إن الربي موسى بن مناحم الذى جاء بعده اشتكى من ذلك ، وقال ا "قال الربي أبراهام بن عزرا إنه سفر معروف وهو سفر حروب الرب .. وليس فى أقواله تلك أى حجة" .

واستمر الربي أبراهام بن عزرا فى أبحاثه هذه فيما يتعلق بقضية مؤلفى بقية الأسفار المقدسة . وإن لم يعلن ذلك بالتفصيل ، فإنه كان يوافق رأى الربي موشيه الكاهن بخصوص إشعيا الثاني. ففى الإصحاح (٢٧) أظهر رأيه بوجود اثنين اسمهما إشعيا. واعتمد في تفسيره للفقرة الأولى من سفر إشعيا على عبارة "التى رآها على يهوذا وأورشليم ". وينبه على ذلك بأن إشعيا بن أموص قال معظم نبوماته على مدن يهوذا التى استولى عليها ملك أشور وعلى أورشليم التى أنقذت من سلطانه "، وهكذا فإن نصف السفر عن سبي يهوذا ، لأنه لم يذكر بقية الأسباط ".

ووجد الربي أبراهام بن عزرا مجالاً مترامى الأطراف لاتجاهه النقدى فى مجال نقد النص، ولكونه واحداً من أفضل النحاة في العصر الوسيط ففى تصوره أن معرفة اللغة العبرية ونحوها هما حجر الأساس لعلم العهد القديم . لذلك أكثر فى تفاسيره من البحث الفيلولوجى الضروري الذى ألقى الضوء على التفاسير العبرية وفى مقدمة تفسيره الصغير في حجمه العظيم في قيمته يلقى الضوء على أساليب التفاسير الأربعة للعهد القديم منذ عصر التلمود وحتى عصره، . وهذه الأساليب هى :أسلوب جاؤونى بابل، وأسلوب القرائين ، والأسلوب الرمزى لأصحاب الرمز (المجازيين) النصارى ، وأسلوب الدراش لأصحاب الأجادا العبريين. وبعد وصفه لهذه المناهج الأربعة السابقة عليه ينتقل إلى منهجه ويوضح: "والأسلوب الخامس المؤسس عليه تفسيرى فى أساسى ... فأبحث جيداً قواعد كل كلمة فى كل موضوع ، وبعد ذلك أوضحها حينما أتوصل إلى ... ولا أشير إلى نبر أصحاب الماسورا لماذا هذه تامة وتلك ناقصة ؟ .. لأن كل نبراتهم كمنهج الدراش ... ومترجم التوراة للآرامية ترجم لنا الحقيقة ، وشرح لنا كل ما غمض ... ". وفى تفسيره "عزوا عزوا شعبي" (إشعيا ٤٠:١) يظهر رأيه قائلاً : "إن هذه الفقرة متعلقة بالإصحاح (٣٩) بصورة متكلفة "، لأنه تكر سابقاً ، أو كل خزائن الملك وسبي أبنائه أيضاً إلى بابل ، لذلك تكون هذه المواساة بعد ذلك الحدث ". وهو يختلف عن الربي موسى الكاهن الذى يرى فى إصحاحات التعزية "من منتصف السفر " أقوالا رمزية عن الهيكل الثاني، ويقول "وطبقاً لرأيي فالكل عن سبينا" (يعنى سبى بابل)، ثم يقول بالتفصيل "إن نصوص

الأحداث تذكر قورش ". ويضيف "واعلم أن ناسخي الوصايا طيب ثراهم قالوا : إن سفري صموئيل كتبهما صموئيل . وهي حقيقة حتى "ومات صموئيل" (صموئيل الأول١:٢٥) ، ويعني ذلك أنه أقحمت آنذاك أحداث ليست من عمل المؤلف، ويصدق نفس الشيء على سفر إشعيا. وبعد أن حاول الاستناد إلى دليل من سفري أخبار الأيام ، يقرر كعادته "وإن لم يكن ، فيفهم العاقل".

وفي مقدمته للإصحاحات الشعرية الخاصة بـ "عبد يهوه "فإنه يشك في مادتها، ويبذل قصارى جهده في تفسيرها ، ويناقش آراء الربي سعديا جاؤون لتفسير إرميا ويناسب أقوال السابقين المتأخرين(١٧): "وإذا تتبع الأثر وراء المدراشيم في المواضع عرفنا أنه عرف الأسس أكثر من ذلك ". وبلا شك فإن ابن عزرا نفسه "لم يقتف أثر المدراشيم "كلية، غير أنه برجاحة فكره وعمق منطقه يتوغل إلى داخل المعنى البسيط للكلمة التي تقرأ، مسلحا بكل وسائل البحث التي كانت في عصره. وعرف أنه ليس هناك "متقدم ومتأخر في التوراة " (تفسيره للتثنية١٥:٣١) ومواضع أخرى عديدة) ، وهاهو يكثر من تنظيم نصوص متباعدة سويا فيؤخر المتقدم ويقدم المتأخر ، ويقرر: الفقرة الفلانية ترتبط مع الفقرة الفلانية ، ولو كانت أقسام كاملة تفصل بينهما (التثنية ٢:١٦،٢:٦ وغيره).

ومن يقرأ تفاسيره بإمعان يجد فيها إجابات عديدة تقصد الإجابة عن الأسئلة التي أثارها نقاد العهد القديم في عصر التلمود ، أو التي كانت سائدة في عصر الجدل الديني ، وعصر القرائين في بابل ، أو بين دوائر النقاد في الأندلس قبل عصره، واجتهد إلى حد بعيد ، واستطاع إزالة صعوباتها دون أن يذكر أسئلتهم مطلقاً. ويحتمل جداً أن تلك الحرب التي خاضها ابن عزرا مع النقاد في كل العصور ، وسعى إلى تفنيد العديد من "ادعاءاتهم "هي التي دعمت موقفه حتى لا يشعر معاصروه بالنقد الحر الموجود في أقواله، ولذلك استحق تفسيره الكبير حجماً – وأكثر من ذلك في قيمته – القبول بود كبير عند جمهور المتعلمين ، واعتبر واحداً من المفسرين الماسوريين الرئيسيين، وذلك سوياً إلى جانب الربي شموئيل إسرائيل والربي موسى بن نحمان. وتسببت هذه الشهرة المتزايدة لابن عزرا في خسارة معروفة فقد تنازل مرارا عن اعترافاته الموجودة في آرائه النقدية، وذلك بأن تغاضى عن فقرات "محيرة " للغاية، وشن حرباً على شخصيات قريبة له في الهدف ، وأغمض في الصلاة (وشاح الصلاة :الطاليس)عن الأسرار والرموز لكل رأي متشدد كشفه. غير أن هذه الشهرة

التي استحقها كتابه أدت إلى كسب متزايد في تاريخ تطور نقد العهد القديم. والرأي بأن التوراة تشمل في ثناياها إضافات متأخرة مختلفة ، برز لأول مرة على يد الربي يتسحاق بن يشيش ، لكنه اختفى من عند العامة. لكن عاد ابن عزرا وقاله وأدخله داخل تاريخ العلم . ووجد باروخ سبينوزا ألغاز الربي أبراهام بن عزرا وفسرها واستمر فيها أبعد من ذلك ، وعن طريق سبينوزا قبلت عند باحثي العالم كقانون ثابت .

ولم يحتل نقد الربي أبراهام بن عزرا مكانة هامة خارجياً فحسب ، أي تجاه تطور العالم الأوروبي، بل كان له أيضاً قيمة كبيرة داخليا إلى حد بعيد. وبلا شك وجد حوله تلاميذ "مفكرون "تعلموا منه ، وفهموا إشاراته الرمزية ، وتنوروا لإدراك وجود النص في التوراة بمعناه البسيط. وإن كانت أقوال هؤلاء التلاميذ قد فقدت ، فإن ذلك يعود إلى أنه لم يوجد من يحل محل ابن عزرا مرة ثانية ليجمعها ويضعها في تفسير له ليحفظها إلى الأبد ، ولذلك اختفت أقوالهم . كما كانت ستفقد بلا شك أقوال الربي يشوعا والربي يتسحاق بن يشيش ، لولا أن جاء ابن عزرا وأنقذها . غير أنه أدرك أن المناخ قد تهيأ واتجاه جديد وقوى بدأ داخل التفاسير العبرية التي تتابعت آنذاك وتزايدت وانتشرت في كل البلدان التي كان اليهود يعيشون فيها ، في إفريقيا وبابل والأندلس وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، وتضمنت في داخلها كل طاقات نتاج الأمة. وبكل تأكيد استمر زيادة سلطان الأجادا وأسلوب المدراش وضُم إليها آنذاك أيضاً "القابالا "وعلم الغيبيات [السود]. وظهر العديد من المفسرين في أعقاب "الزوهار "وفسروا بأساليب التفسير التقليدية الأربعة ـ البشاط (التفسير الحرفي) ، والرمز (التفسير المجازي أو الرمزي) ، والدراش (التفسير الوعظي) والسود (التفسير الصوفي) – غير أنه يكفي الإشارة إلى ذكر أسماء سبط قمحي وسبط تنحوم والربي تنحوم الأورشليمي، وربي اليعازار إشكنازي البغدادي، والربي شموئيل بن نسيم والربي ليفي ابن أبراهام والربي إسحاق البلج والربي شم طوف بن بلقيرا والربي يشعيا مطراني الصغير والربي زرحيا بن شألتئيل وعمونئيل الرومي والربي يهودا مسير-ليون ، وذلك لفهم ومعرفة إلى أي حد تزايد البحث العقلي من جانب ، والاتجاه النقدي من جانب آخر ، وتأثيرهما على التفاسير العبرية وطبعها بطابعهما.

٦- ربى ليفى بن جرشم

ونحصى من حشد النقاد المتأخرين :ربى ليفى بن جرشم ودون يتسحاق إبرنئيل ، وبهما ينتهى تأليف التفاسير فى الأندلس. فربى ليفى بن جرشم يعد واحداً من أعظم المفسرين الفلاسفة ، وقد اقتفى أثر الربى موسى بن ميمون فى تفاسيره، وبذل جهداً فى إيجاد مادة بحثية مجردة لأسفار العهد القديم علاوة على تفسيرها بالمعنى البسيط ("فورشليم "التى فى نشيد الأناشيد هى "الإنسان "، "وبنات أورشليم "هن صفات النفس. و"سليمان "، هو العقل الكامل والمسيطر على الكل ، وما يشابه ذلك).

وعلاوة على ذلك بحث عن إيجاد دعم فى التوراة لبقية أرائه العلمية بوسائل مختلفة. غير أن قيمته التاريخية فى تطور نقد العهد القديم ، ظهرت فى أسلوب معالجته لروايات المعجزات فى العهد القديم. وقد كان واضحاً للربى ليفى بن جرشم أن قوانين الحديد سائدة فى الطبيعة، وهى قوانين لا يمكن تغييرها، غير أنه توجد ظواهر عديدة لتلك القوانين ، والتى تبدو أمامنا بسبب ضآلة فكرنا وقصر عمرنا، كما لو كانت منبثقة من المجموع، على الرغم من حقيقة أنها محددة وخاضعة أيضاً لوسائل الطبيعة، ولأجلها تُرتهن بقية الظواهر الموجودة . فبدلاً من أن يقترب للمعجزة ، يعالجها من وجهة نظره هذه ، ويوضح معالجته بقوانين الطبيعة. وقد أثر نقد المعجزات وفقاً لأساليب البحث الفلسفى فى عصره تأثيراً كبيراً على الباحثين التوراتيين ، والفلاسفة الذين جاءوا بعده ، ومنه استفاد وعليه اعتمد باروخ سبينوزا فى دراسته "المعجزات" فى كتابه "رسالة فى اللاهوت والسياسة ".

٧- دون إسحاق أبرنئيل

وأما دون إسحاق فكان متأثراً بالفلسفة التجريدية البعيدة عن الواقع والحياة وهى الفلسفة المدرسية : فقد تنبه فعلاً بمخطط سقوط اليهود فى الأندلس، وتشرب فى داخله كل اتجاهات التفاسير السابقة عليه ، وإن لم يستوعبها كلها بنفس الدرجة. غير أن قيمته الفريدة كانت فى موضوع رؤيته التاريخية والاجتماعية. وقد ساعده عمله الشعبى والرسمى فى كشف طبقات المجتمع وأساليب الدولة كما هى معكوسة داخل أقوال العهد القديم، وسعى فى تفاسيره العديدة لوصف أساليب القيادة السياسية فى عصرى القضاة والملوك ، وذلك بملاحظة الآثار القديمة فى العهد القديم ، وشرح

المقياس والوزن والمسكوكات ، حتى الملابس التى كانت متبعة فى عصر العهد القديم ، وبذلك تجاوز عن تفسير كل فقرة ، ووضع الأساس للوصف التاريخى لحياة المجتمع العبرى فى عصر العهد القديم على أساس شواهد الكتابات المقدسة، واستمد الباحثون الذين جاءوا بعده كثيراً من أقواله وواصلوا أبحاثه.

خامسًا : البحث العبرى والبحث النصرانى

١- إلياهو لويتا

مع تدهور وضع اليهود فى الأندلس تدهورت أيضاً مكانة البحث النقدى عند اليهود، وانتشر مفكرو الجيل فى كل اتجاه . والغصن الذهبى فى تاريخ الابتكار العبرى ابتعد عن البحث الحر وسُلم للعلم الغيبى وعلم القابالا الذى ظهر آنذاك ليسيطر على العقول، واضطر سفر الأسفار أن يخلى تدريجياً مكانته الرئيسية للكتب الأخرى، سواء علانية أو سراً. ومرة ثانية - وكما حدث فى عصر التدهور فى الشرق - فقد كان المجال الوحيد الذى تنسس عليه علم العهد القديم مجال بحث النص وتحديد الماسورا. وما كان يفعله آنذاك ابن أشير لبحث العهد القديم أصبح يفعله الآن إلياهو بن أشير لويتا. فكان أول من اتجه لإلقاء الضوء على تاريخ تكوين ماسورا العهد القديم ورسم لها خطاً نقدياً. وعلاوة على مؤلفاته العديدة والرئيسية التى كتبها فى علم اللغة العبرية ("كتاب المختار "كتاب التركيب")، "عوبتي"، "مترجم"، "أسماء الأشياء "حسن الفهم "وغيرها، كتب أيضاً "ماسورا الماسورا". وهو كناقد ذكى ولغوى خبير اتجه ليوضع كل "المقروء "و"المكتوب"، "الكامل "و"الناقص"، وكان أول من نسب لعلماء التشكيل وضع الحروف اللينة فى التوراة وبذلك فتح مجالاً جديداً فى نقد النص. وبمجهود مميز حدد بنفسه أفكاره عن تثبيت العهد القديم . فكان أول من أصر على متابعة تثبيت العهد القديم ورأى فى ذلك عملاً عظيماً لجماعة كاملة ، وأدرك فيها إشارات لتأثير عصر الهيكل الثاني. وقرر فى مقدمته لـ : "ماسورا الماسورا " (١٥٣٨) قاعدة :أن عزرا ورجال الكنيسة الكبرى جمعوا سوياً الأسفار الأربعة وعشرين المتفرقة الموجودة لدينا وقسموها لثلاث مجموعات مميزة ، وقاموا بترتيب أسفار الأنبياء والكتابات ". وعمل سوياً مع عمله الأساسى هذا ، على نشر معرفة اللغة العبرية من منبعها ، وعمل كذلك على نشر نتائج البحث العبرى الخارجية، وترجمت العديد من كتبه وانتشرت ، كما أخذ برأيه بشأن تثبيت العهد القديم "بوخستورف "وسادت فى دوائر

معروفة عند الباحثين النصارى واستمرت مئات السنين . ومع ذلك فقد كان فريداً فى عصره داخل الجماعة اليهودية .

٢- انتشار القابالا

وقد استولى أدب القابالا وعلم الغيب على زمام السيطرة على روح التفكير لدى اليهود ، وأهمل أيضاً دراسة مصدر النصوص، غير أنه تم البحث فى الأسرار الكامنة وراء النصوص، وبحث كذلك الواقع الفعلى لحياة بنى إسرائيل فى عصر العهد القديم ، وأما تطور النصوص داخل العهد القديم نفسه ، فقد نسيت كلية من قلب أصحاب الحكمة الخفية. ليس هذا فحسب بل حقيقة نسبة أسفار الزوهر إلى عصر التنائيم ، انتقلت بمعرفتهم إلى الباحثين وأجبروهم على التمسك "بالتكرار من أجل التكرار" ، ومع ظهور الطباعة كان الزوهر من أوائل الكتب التى تم نشرها.

٣- عزريا بن هاأدوميم

ومع أن الربى عزريا بن ها أدوميم - ذلك الناقد الحر المميز فى عصره - قد نال جزاءه من ربانى ذلك الجيل بسبب آرائه النقدية، فقد نقد الياهو لويتا وأسلوبه فى وضع التشكيل، وكان رأيه بوضوح أن التشكيل كان قائماً قبل تأليف المشنا طالما أنها ذكرت فى "تبجيلات "الربى شمعون بر يوحاى وطائفته. وقد وجد أيضاً آنذاك من لم يمتنع عن رؤية التناقضات داخل الكتابات المقدسة، ولكنهم وجدوا فى هياكل القابالا راحة لأنفسهم المحيرة . والمثال على ذلك "كتاب المقرر "للربى منشى بن يسرئيل الذى أحصى أربع مائة وسبعين تناقضاً فى الكتابات المقدسة، وعلى الرغم من ذلك لم يؤد كشف هذه التناقضات به إلى الاقتراب من البحث العلمى.

٤- الربى منشى بن إسرائيل

مهدت السبل للربى منشى بن إسرائيل الترجيح بين النصوص المقدسة على أساس أسلوب القابالا وعلم الغيب، وتشهد الصعوبات الدائمة فى أدب المفسرين أحياناً، بأن كبار الأتقياء لم يستطيعوا إدراك أن الغموض والتناقض ازداد فى الكتابات المقدسة زيادة متعددة وأصلية. غير أن الماسورا الدينية وهياكل التفسير التى شيدت وازدهرت على أسس الأجادا وقفت حصناً منيعاً أمام تلك "النفوس الغاضبة "التى لم تأت بكل قوتها إلا لإثراء تلك الهياكل وزيادة تطويرها وإظهار حدودها .

وبنفس القدر الذى اختفى فيه وتدهور بحث العهد القديم عند اليهود، بدأ استخدام نقد العهد القديم يزدهر خارج حدود بنى إسرائيل . واختفى إرثهم وانتقل إلى مجالات العلم الأوروبي. حتى أنه عندما يأتى بعد ذلك جاؤون مبتكر من بنى إسرائيل ويمس فى نهاية بحثه سفر الأسفار ويكشف آفاقاً جديدة فى النقد، فإن أقواله كانت تكتب باللاتينية وموجهة إلى الخارج.

وقبل أن ننتقل إلى نظرية سبينوزا وبحث العهد القديم فى أوروبا فى عصر مذهب الإنسانية، وعصر تدهور فكرة الإنسانية داخل الحدود اليهودية نعرف بشكل موجز وضع البحث داخل دوائر الكنيسة النصرانية.

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل الخامس

التفاسير النصرانية

١ - بداية التفاسير داخل الكنيسة

أ- آباء الكنيسة

إذا كانت الأوضاع العامة لا تزال غير ملائمة لباحث النقد اليهودي ، فقد كانت صعبة وسيئة داخل دوائر الكنيسة النصرانية . فالماسورا التي قدست بواسطة الكنيسة قيدت الفكر ولم تسمح بالنقد والبحث الحر . وباستثناء هذه المشكلة التي كانت سمة مشتركة لوجهة نظر سائدة سواء عند اليهود أو النصارى ، فإن الباحثين النصارى كانوا لا يزالون بعيدين عن اللغة العبرية ، وأسفار العهد القديم في مصدرها كانت بالنسبة للعديد منهم بمثابة السفر المبهم . وكان غرض النصارى الأوائل إيجاد دعم لعقيدتهم داخل أسفار العهد القديم ، لذلك اضطروا إلى التمسك بطرق الرمز والمجاز. وعلى ذلك النحو فسروا النصوص داخل العهد الجديد (انظر على سبيل المثال متى ٢٢:٤٤ في تفسيره للمزامير ١:١٠٩)، واستمر آباء الكنيسة في متابعة هذا الأسلوب الذي رسمه يديديا الإسكندري وتلاميذه كما كان يفسر بولس الرسول النصوص المقدسة بأسلوب الدراش والرمز.

ب- الوعظ النصراني

وشجب الغنوصيون والنسطوريون أسلوب الوعظ [الدراش] المسلم به لدى الكنيسة، ولم يفعلوا ذلك من خلال وجهة نظر نقدية ، بل لأسباب دينية وأخلاقية فحسب .وعرفنا من أقوال أورجين تجاه الفيلسوف الوثني تسلزوس، أن تسلزوس وجد تناقضات عديدة في سفر التكوين، واعتقد أنه من المتعذر أن يكون السفر كله قد كتبه مؤلف واحد .ولم يكن كتاب أورجين معتمداً كلية على المصدر العبري للعهد القديم بل على الترجمة اليونانية، وبصورة عامة لم تكن هناك جدوى لإظهار المواضع الغامضة في العهد القديم .لكن بدت قوة أورجين بتقديره لمواعظ الكنيسة وكشفه أسراراً ورموزاً أخلاقية في قصص التوراة. فأصبح كتابه واضحاً وبريئاً لدى الكنيسة ، وبخاصة الكنيسة الشرقية، لمئات السنين .وأضاف أورجين بعمله هذا إبعاد النصوص المقدسة عن جذورها الواقعية .وأما الوعاظ في إنطاكية فقد قاموا أحياناً بتفسير العهد القديم طبقاً لمعناه البسيط، وكان أوجوستينوس يقول :إنه مع المضمون الخفي الذي يوجد في كل نص من النصوص فإن "العهد القديم لا يخرج عن معناه البسيط". وأعظم من هذا كان عمل هيرونيموس مترجم التوراة إلى اللاتينية (الفولجاتا)لتعلمه العبرية عند معلمين يهود .فقد كان الأخير من بين وعاظ الكنيسة ويعرف العبرية واستخدم أقوال التوراة

من مصدرها وكل من جاء بعده من الوعاظ النصارى طوال العصر الوسيط تعلموا التوراة على أساس ترجمته . وكتبوا أبحاثهم وتفسيراتهم ليس على نص التوراة الأصلى بل على نص الفولجاتا ونسيت اللغة اليونانية داخل الدوائر الكنسية وسيطروا بدون الماسورا .

وقرر "فينسنطيوس" أن أى بحث فى العهد القديم لا يلائم فى كل تفاصيله رأى الكنيسة يعتبر فى حكم الهرطقة ، ولذلك فإن البحث التأملى للكتابات المقدسة لم يخط خطوة واحدة للأمام فى دوائر الكنيسة طوال ألف سنة وما يزيد ؛ ولم يتحسن بحث العهد القديم حسب منهج أصحاب الفلسفة المدرسية، كما لم يتسبب عصر الصوفية فى تطوره . واستخدم العهد القديم فى رأى هؤلاء فقط كشماعة ليعلقوا عليها أفكارهم وشروحهم التى ليس لها أى علاقة أو صلة بمضمون العهد القديم . وبدأ نيقوليوس ، الذى عاش فى بداية القرن الرابع عشر، مرة أخرى يبحث وراء بساطة العهد القديم، وسلك طرقاً جديدة فى علم المواعظ النصرانية. وأحدثت كتبه ثورة فى حينها ، وأثرت كثيراً ليس فقط على معاصريها ، بل أيضاً على الأجيال المتأخرة، بما فى ذلك لوثر . وقد تعلم نيقوليوس العبرية عند أحد ربانى فرنسا ، واستخدم فى مؤلفه الكبير تفاسير مفسرى العهد القديم اليهود الذين كانوا فى فرنسا وإسبانيا. وبخاصة تفسير الربى شلومو يتسحاقى الذى تأثر به بدرجة كبيرة جداً ، ونسخ العديد من أقواله داخل كتابه.

وفى هذه العصور زال الحاجز الذى فصل بين بحث العهد القديم عند اليهود والشعوب الأخرى وبالفعل رأينا الربى أبرا هام بن عزرا يكتب فى مقدمة تفسيره ما يرتبط بطرق التفسير المُسلم بها فى العالم النصرانى . وتوسع الربى دافيد قمحى فى تفسيره فى النقاش مع مفسرى الكنيسة وبنفس الدرجة التى اقترب بها المفكرون اليهود فى إسبانيا من ثقافة معاصريهم، تزايد تأثيرهم على العالم الخارجى بطرق التفسير الحرفى (الدراش) المعترف بها عندهم، وكذلك تقبلوا التأثر منهم فيفسر الربى يهودا مسير – ليوان سفر الأمثال بنفس الأساليب التى سلكها فى عصره التفسير البلاغى . واقتبس دون يتسحاق ابرنئيل فى تفاسيره مرات عديدة أقوال آباء الكنيسة وبذل جهداً لاستنباطها ومناقشتها مناقشة تأملية .

٢ – الإنسانية والعهد القديم . اليهود بمثابة وسطاء

وحدث تقارب بين البحث العبرى والبحث النصرانى نتيجة سببين رئيسيين. فقد

سقطت فى نهاية القرن الخامس عشر كنيسة اليهود فى إسبانيا مركز الفكر العبرى آنذاك ، وتشتت المفكرون اليهود في الخارج . وبدأ الاتجاه الإنسانى يعطى ثماره، كما كان انتشار معرفة اللغات القديمة مثمراً لبحث العهد القديم .كما أفادت معرفة اللغة اليونانية فى تطور بحث العهد الجديد . وظهرت آثارها أيضاً فى مجال بحث العهد القديم .وفى عصر ريخلين تزايد بحث أسفار العهد القديم بين الدوائر النصرانية ، وكان من بينهم من أراد الوقوف على جوهر الأقوال فى مصدرها، فاضطر إلى اللجوء إلى الباحثين العبريين .وكان دون يستحاق ابرنئيل نفسه الذى يقتبس فى كتبه من أقوال هيرونيموس وأوجوستنيوس، وها هى أقواله تأتى بعد ذلك على يد بوخستروف وكرفسوف وآخرين من علماء أمم العالم .وبين البحث العبرى والبحث النصرانى ظهرت شخصيات بارزة لوقوفها وتوسطها بين عالمى الفكر اليهودى والنصراني، من تلك الشخصيات شخصية إلياهو لويتا، الذى أسس بحث العهد القديم ونقد الماسورا من ناحية، ومن ناحية أخرى نشر معرفة اللغة العبرية خارج دائرة اليهود وبواسطة عمله التعليمى هذا أسس جيلاً من علماء أمم العالم الذين صاروا خبراء باللغة العبرية .ومن بين تلاميذه الذين تعلموا التوراة على يديه بعض الباحثين النصارى المشهورين مثل سفسطين مينوسترو باول بجيوس وغيرهما .وعلاوة على ذلك كان هناك بعض اليهود الذين علموا اللغة العبرية وأساليب بحث العهد القديم للباحثين النصارى ، ومن بينهم (يعقوب يحئيل لونس، والرب عوبديا سفرنوا معلما ريخلين، متتيا الأسبانى، معلم فليكان، وآخرون) .

٣- عصر الإصلاح

أ- لوثر وتلاميذه

دفعت حركة الإصلاح بحث العهد القديم دفعة جديدة ، فمؤسسها وتلاميذه وضعوا بحث العهد القديم مرة ثانية فى مركز فكرهم ، وعادوا مرة ثانية ليستمدوا الغذاء الروحى لحياة العقيدة من هذا المصدر القديم .وقد نشرت ترجمة لوثر الجديدة والمناقشات العديدة التى حدثت فى أعقابها أقوال العهد القديم بين جمهور عريض، كما أثارت مرة ثانية حنين مفكرى العصر إلى سفر الأسفار .غير أن البحث العلمى والابتكار النقدى كان لم يخط بعد خطوة إلى الأمام .فالأساليب الدينية الجديدة التى بنيت على أساس النصوص الدينية ، والاختلافات الدينية التى حدثت فى العالم أبعدت

العهد القديم كشريعة عن مجال الفكر التلمدي، وبدلا من علم العهد القديم حل لاهوت العهد القديم .وتعد الحركة التى قامت حول المجادلات والمباحثات هامة جداً بالنسبة لموضوعنا فى مجال البحث الخارجى للعهد القديم ، أى بحث النص .

وأظهر لوثر وزفنجلى وكالفن رأيهم بأن تشكيل الكتابات المقدسة من عمل أبراهام بن عزرا ونيقوليوس مليرا وإلياهو لويتا، ولذلك سيطرت الحيرة حول الحقائق المقررة .ومن ناحية ثانية خرج فلقيوس أحد عظماء المفسرين الإصلاحيين وأكد أن هذا التشكيل قديم وسليم .غير أن هذا الخلاف الذى استمر عشرات السنين لم يأت بثمار مفيدة للبحث العلمى ، لكونه خلافا دينيا وعقائديا فالكنيسة الكاثوليكية شنت حرباً ضد نص الماسورا ، ورغبت فى وضع حد لأقوال الإصلاحيين القائمة على النصوص، وقد قصد يوهان مورين إلى الكشف عن أن النص العبرى للتوراة ملئ بالأخطاء ومشوه، وبناءً على ذلك فالفولجاتا أيضاً غير موثوق فيها لاعتمادها على النص العبرى، ويفوقها نص التوراة السامرية والترجمة السبعينية التى يمكن استخدام أقوالهما؛ وظهر مناقضاً له جرهرد ، فقرر أن النص العبرى قديم ودقيق وليس به خطأ مقصود، ولم يكتف بوخستورف بذلك بل أصدر قانوناً معارضاً لأقوال لوثر وتلاميذه الأوائل أنفسهم، وهو الثقة بقدم النسخة العبرية للتوراة، بما فى ذلك التشكيل والاختصارات وأنها واحدة من أسس الدين الجديد .

ويفهم من ذلك أنه كان من المستحيل فى ظل هذه الأوضاع أن يتقدم بحث العهد القديم فى إطار الكنيسة اللوثرية، واستمر هذا الطلب مرفوضا استجابة للمفسرين الكاثوليك .

ب ـ النقاش حول تشكيل أندرياس مزيوس وزملائه

بدأ المثقفون اليسوعيون فى كشف الطابع المتعدد للعهد القديم وأعربوا عن الرأى أنه داخل العهد القديم أقحمت بعض الإضافات المتأخرة .ووجدوا دعماً لهم فى أقوال أندرياس مزيوس (نتى – مس) أحد المثقفين الهولنديين الذى تمكن من تحديد الزمن الذى رتبت فيه التوراة ، وللإجابة عن سؤاله توجه إلى المصادر التى حفظت فى الأدب العبرى القريبة إلى تلك الفترة، وبدأ أبحاثه بالبرايتا المعروفة فى (بابا باترا ١٤:٢) بشأن ترتيب الكتابات المقدسة وزمن تأليفها ، ونفس هذه البرايتا ساهمت فى بحث العديد من الباحثين فى العصر الوسيط من اليهود أو من الأمم .ويقال فيها – من بين ما قيل – "كتب عزرا سفره ، ونسب أخبار الأيام له "ويفسر أبربنئيل أن عزرا لم يخرج من تلقاء نفسه لينسب أخبار الأيام لنفسه بل كانت أمامه قوائم عديدة كتبت

بواسطة الكتبة أبناء ذلك العصر، في غضون العصور السابقة له ومن بين هؤلاء الكتبة القدماء أنبياء المملكة وحكامها ووزراؤها . وهذا التفسير الذي يبدو بمثابة شهادة كان قريباً من تفسير صاحب البرايتا في تضمين زمن إقرار العهد القديم، وقد افترض مزيوس رأيه عن تاريخ بناء أسفار التوراة الخمسة :فكما أن عزرا كتب الأسفار التاريخية الموجودة في العهد القديم على أساس قوائم قديمة، كذلك كتب موسى أسفار التوراة على أساس لفائف قديمة كانت منتشرة بين الشعب وأعلنت من جيل إلى جيل.

ج – سيكستوس مسينا

ووجد زملاء مزيوس هذا الرأي صواباً ، وانطلقوا بقوته لتفسير التوراة .وكان تأثيره في حينه كبيرا على الباحث سقسطوس مسينا الذي كان يهودياً إيطالياً ثم تنصر ، وأصبح دومينيكيا .وأدت به يهوديته إلى معرفة عميقة بعلم اللغة العبرية ، فألف مقدمة هامة ومفصلة للفولجاتا.

غير أنه حان الوقت لأن يخرج علم العهد القديم من هذه الدائرة – لإعادة بنائه من جديد – ويعد باروخ سبينوزا رائد المنهج الاستنباطي ، والذي بدد بشجاعته العملاقة الغيوم، ومهد طرقاً جديدة لعلم العهد القديم .وبلا شك فإن طرق بحثه وخصائصها النقدية ليست كلها جديدة كلية، بل إن معظمها مستمد من أرشيف الباحثين السابقين له، غير أن النتائج التي استنتجها في عصره قوضت أي قلعة تفسيرية، وبقوتها ووضوحها أجازت البحث والتأمل .وكانت النتائج متسقة مع الحقائق العلمية للعصر .

القسم الأول

نقد الموروث

الفصل السادس

باروخ سبينوزا وآراؤه في العهد القديم

١ - رأى أصحاب الماسورا حول مؤلفى العهد القديم

يقول سبينوزا فى " رسالة فى اللاهوت والسياسة " : كما أنه لا يمكننا فهم قوانين الطبيعة قبل أن نوضح لأنفسنا أحداث الطبيعة ، فكذلك لا يمكننا أن نصل إلى الرأى النهائى لأقوال العهد القديم قبل أن نكشف لأنفسنا أحداث تطوره ". ويدأ هو نفسه يكشف أمامنا تاريخ العهد القديم إلى أقصى درجة عقلية . واستهل بحثه بالسؤال : بواسطة من ألفت أسفار الكتابات المقدسة؟ ومتى ألفت؟ وما هى صحة رأى الماسورا التى تنسب كتابة كل سفر من الأسفار إلى البطل الرئيسى الذى يتحدث عنه السفر؟.

و قد عرف سبينوزا إلى أى مدى أن معرفة مثل هذه الموضوعات غير مرغوبة ، وأنها فى نظر العديد تعنى الهرطقة، وعرف أيضًا بأنه لم يكن أول من ألقى شكوكًا حول أقوال الماسورا، بل سبقه العديد من المفسرين القدماء . وأخذ سبينوزا هذا الباعث الأصلى للبحث من ابن عزرا . فطبقًا لرأى سبينوزا أن أبراهام بن عزرا كان أول من ثار ضد الماسورا، غير أنه لم يجرأ على التعبير عن آرائه بوضوح ، وقصد إلى استخدام لغة نظرية ورمزية لم تكن مفهومة للعديد من أبناء عصره، أو الأجيال التى جاءت بعده، إلى أن جاء هو - سبينوزا- وفسرها ، وهاهو سبينوزا يتابع ويوضح أقوال ابن عزرا المذكورة فى تفسيره لسفر التثنية (١:١)، حيث يكشف سر "الاثنا عشر" و"كتب موسى" و "الكنعانى آنذاك فى الأرض" و "فى جبل يهوه يرى" و "ها هو ذا عرشه عرش حديد" ثم يفسر قصد ابن عزرا من قوله "عندئذ تفهم الحقيقة "، وقد ناقش هذه الصعوبات بتأمل ليظهر بأن موسى لم يؤلف أسفار التوراة الخمسة وأنها لا تعود إلى عصره .

٢ - تفسير سبينوزا لرموز ابن عزرا

ومن أجل تدعيم رأى ابن عزرا وتعزيزه أكثر ، استمر سبينوزا وأحصى أدلة جديدة من ثنايا أقوال العهد القديم التى يمكن أن تستخدم كحجر أساس "وشهادة معززة له ". فالتوراة لم تتحدث بشأن موسى فى أى موضع بلسان المخاطب ، بل تتحدث عنه كثيرًا بضمير الغائب، كما تسرد أحداث من المستبعد أن يقولها مؤلف عن نفسه "وكلم يهوه موسى"، "وكلم يهوه موسى وجهًا لوجه" (الخروج٣٣:١١)، "وأما الرجل موسى فكان حليمًا جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض " (العدد١٢:٣)، "فسخط موسى على وكلاء الجيش" (٣١:٤)، موسى رجل الله" (التثنية ٣١:١)، "ومات هناك موسى عبد الرب" (٣٤:٢٥) .

وعلى العكس من ذلك ورد في بداية سفر التثنية عند حديث النص المقدس عن أقوال الشريعة التي شرع موسى في توضيحها لبني إسرائيل ، تحدث الجميع بلسان المخاطب مؤيدين إياه "وكلمتكم ... فأجبتموني... فأخذت ... وجعلت ... وأمرت ... فتقدمتم إلي ... فحسن الكلام إلي ... وعصيتم قول الرب ... وقال يهوه إلي ... وتوسلت إلى الرب" (التثنية الإصحاح الأول والإصحاح الثاني وغيرهما)، إلى أن أتم موسى تفسير كل الشريعة ، عندئذ بدأ النص المقدس يتحدث بشأن موسى مرة ثانية بضمير الغائب . والأكثر تمييزًا من هذا ذلك القسم الأخير الذي يسرد كيف مات وكيف دفن وكيف ندب من قبل بني إسرائيل . وعلاوة على ذلك فإن النص يشبه موسى ببقية بني إسرائيل وليس بينهم من هو أفضل منه، ولم يقم كما يشهد النص المقدس "نبي بعد في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه يهوه وجهًا لوجه (التثنية ٣٤ :١٠) وأنه "حتى هذا اليوم" لم يعرف رجل قبره .

ويضيف سبينوزا أن "شهادات كهذه لا يمكن أن نشهد بأن قائلها واحد من تلاميذ موسى الذين جاءوا بعده، بل إنه شخص عاش بعده بمئات السنين " . وهو قصد بذلك ـ كما يبدو ـ حجب الرأي التلمودي الذي يرى أن يشوع هو الذي كتب القسم الأخير من التوراة . وعلاوة على ذلك، وجد سبينوزا في ثنايا التوراة أسماء متأخرة لم تكن موجودة زمن موسى ، وكذلك روايات تناقش عصورا متأخرة . فيقال في قصة إبراهيم "وتبعهم إلى دان " (التكوين ١٤:١٤)وكما نعرف من القضاة (٢٩:١٨) أن اسم هذه المدينة لم يكن معروفاً من قبل، بل عرف فقط بعد أن استولى عليها بنو دان وبنوها من جديد فأطلقوا عليها اسم دان . ويقال في قسم المن "وأكل بنو إسرائيل المن... حتى قدومهم إلى أرض مسكونة أكلوا المن حتى قدومهم إلى نهاية أرض كنعان". وأصر على ذلك فعلاً المفسرون العبريون في العصر الوسيط ، كما أصروا أيضًا على برهان آخر أبرزه كثيرًا سبينوزا وذلك بشأن عبارة : "هؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك لبني إسرائيل (التكوين ٣١:٢٢٦)، ويتضح من كل هذا وضوح الشمس ـ كما يقرر سبينوزا ـ أن موسى لم يكتب التوراة، لكن كتبها شخص آخر عاش مئات السنين بعد موسى . "

٢ - موسى مؤلفًا

غير أن سبينوزا لم يبتكر أن موسى لم يكتب الأسفار بصورة عامة . ولذلك يبحث في ثنايا التوراة ويجد في قسم العماليق "أكتب هذا تذكارًا في الكتاب " (الخروج١٧:١٤)، لذلك يسأل سويًا مع ابن عزرا، في أي الأسفار كتب موسى قسم

الحرب؟ فيجيب "فى سفر حروب يهوه "الذى يسرد عنه فى سفر العدد (١٤:٢١)" كما لو كان سفرا قديما ومعروفا" :على ذلك يقول فى سفر حروب يهوه واهب فى سوفه وأودية أرنون"، وعلى ما يبدو كتب فيه موسى تنظيم حملات بنى إسرائيل الخارجين من أرض مصر (العدد ٢:٣٣) ويتحدث سفر الخروج (٢٤:٤-٧)عن "سفر العهد" الذى قرأه موسى على مسامع الشعب وعلى ما يبدو كتب فيه موسى "كل أقوال يهوه وكل الأحكام "التى ترد فى سفر الخروج (٢٠-٢٣) .

وبما أن موسى كتب كل هذه الأقوال المتضمنة فيه فى يوم (وبكر فى صباح الغد من هذا اليوم وبنى المذبح ، وغير ذلك ، وقرأها كلها مرة واحدة ، وسمع الشعب كل الأقوال وقالوا نعمل ونسمع". يبدو أن سفراً كهذا لم يتضمن فى وسطه سوى هذه الأحكام التى ذكرت هنا ولا أكثر من ذلك .

ومرة ثانية نعرف من سفر التثنية أن موسى أراد أن يفسر الشريعة فى عبر الأردن (التثنية ١:٥) وقطع هنا عهداً أيضاً "بل مع الذى هو هاهنا معنا واقف اليوم ...ومع الذى ليس هنا معنا اليوم (١٤:٢٩) : وبعد ذلك كتب موسى كل هذه الشريعة التى فسرها على مسامع الشعب ومنحها الكهنة وكتب فيها أيضاً الأنشودة ليعلم بنى إسرائيل، ووضع "سفر توراة الرب "فى التابوت، واستمر بعد ذلك يشوع يكتب فيه أقوال العهد الذى قطعه لشعب إسرائيل (يشوع٢٤:٢٥ وغير ذلك) . وبما أننا لا نعرف سفراً مثل هذا السفر الذى يتضمن فى داخله تلك العهود، ينجم عن ذلك أن هذا السفر فُقِدَ من عندنا كما فُقدت العديد من الأسفار الأخرى فى عصر العهد القديم.

ويقول سبينوزا فى "رسالة فى اللاهوت والسياسة "، الفصل الثامن: "وبما أننا لا نعرف ما يتعلق بالأسفار الأخرى التى كتبها موسى ، وبما أن موسى أراد فقط أن يضع سفر العهد مع الأنشودة التى أضافها فى تابوت العهد لتعلن إلى الأبد ، وبما أن العديد من المواضع فى التوراة لا يمكن أن تكون كتبت بواسطة موسى ، يفهم بدون تردد افتراض أن موسى ألف كل أسفار التوراة ينقصه الدليل ومناقض للعقل ."

٤ - أسفار الأنبياء مصدرًا تاريخيًا

وهكذا وضع سبينوزا أن سفر يشوع لا يمكن أن يكون قد كتب بواسطة يشوع حيث توجد فيه فقرات مشابهة لتلك الموجودة فى التوراة : "وكان الرب مع يشوع وكان خبره مع جميع الأرض" (يشوع ٦:٢٧) ، "لم يهمل - يشوع - شيئاً من كل ما أمر به موسى" (١١:١٥) . وعلاوة على ذلك مكتوب فى السفر بالتفصيل "ومات يشوع بن

نون عبد يهوه ..ويدفنوه في حدود إرثه"، "وعبدت إسرائيل يهوه كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع " (٢٩:٢٤ وما بعدها) .

و فيما يتعلق بنظام تقسيم الأرض يعلن السفر أن بنى إفرايم لم يرثوا الكنعانى ويضيف الكاتب "وسكن الكنعانى فى وسط إفرايم حتى هذا اليوم " (يشوع ١٠:١٦)، وفى الرواية المكتوبة بشأن الشمس فى جبعون ها هو يوضح : "ولم يكن مثل هذا اليوم قبله وبعده " (يشوع١ :١٤) . كل هذا يظهر لسبينوزا بوضوح أن السفر لم يكتب بواسطة يشوع ولا فى عصره .

وكما يتضح أيضاً فإن سفر القضاة لم يكتب بواسطة القضاة . بل إنه ألف كله بواسطة مؤلف واحد، وهو ما استنتجه بوضوح من أقوال السفر "فى تلك الأيام لم يكن هناك ملك فى إسرائيل .كل واحد عمل ما حسن فى عينيه " (القضاة ٢٨:٢١؛ وانظر أيضاً ١:١٨ ؛ ١:١٩)

ووجد ما يشابه ذلك فى أسفار صموئيل والملوك التى تشمل فى داخلها روايات عديدة تتعلق بشاؤول وداود حدثت بعد موت صموئيل بزمن طويل، ويظهر من النص "سابقًا فى إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله .هلم نذهب إلى الرائي .لأن النبي اليوم كان يدعى سابقًا (فى عصر صموئيل) الرائى " (صموئيل الأول ٩:٩) إلى أي مدي كان مؤلف هذا السفر بعيداً عن عصر صموئيل ؟ وسفرا الملوك طبقاً لشهادة السفرين ذاتهما هما أجزاء واختصارات لأقوال مأخوذة من أسفار أخرى مثل "سفر أخبار الأيام لملوك إسرائيل" (الملوك الأول ١٩:١٤)، و "سفر أخبار الأيام لملوك يهوذا " (٢٩:١٤) . ويستنتج سبينوزا من خلال كل هذه الأقوال الافتراض التالي : أنها كلها كتبت فى عصر متأخر وأن كل الأحداث المروية فيها بمثابة أحداث حدثت من قبل فى إسرائيل .

٥ - سر الإقرار

وبعد أن تعمق سبينوزا فى تتبع تسلسل الروايات وترتيب أسفار الكتابات المقدسة اكتشف سر الشريعة .وقرر سبينوزا أن الأسفار المتفرقة والفريدة لم تجمع فى مجموع واحد، غير أن يداً واحدة تظهر فى كل الأسفار ، من أولها إلى آخرها ، وهذه اليد الواحدة هى التى رتبت ودمجت ، وجعلت تلك الأسفار الفريدة مترابطة فى سلسلة واحدة، وحدث ذلك بعد أن تم فعلاً كتابة كل الأسفار المقدسة .وتظهر الأقوال أن الجامع أراد أن يعلن للأبد تاريخا كاملا وشاملا منذ تكون بنو إسرائيل كشعب

وحتى السبى البابلي وفى سفر واحد ينهي إحصاء الروايات المتعلقة بموسى ، وأثناء انتقاله إلى يشوع يضيف المقدمة الرابطة "وكان بعد موت موسى عبد يهوه فقال يهوه إلى يشوع ، وينهى يشوع ويبدأ سفر القضاة ويضيف "وكان بعد موت يشوع وطلب بنو إسرائيل من يهوه قائلين : من يصعد علينا ؟ "وبعد ذلك يضم إلى هذا السفر سفر روث الذى يبدأ بالحديث "وكان فى أيام حكم القضاة ، فكان جوع فى الأرض: ويشبه ذلك بداية سفر صموئيل الذى ينتهى بموت شاؤول ولذلك يبدأ الحديث فى صموئيل الثانى فيقول : وكان بعد موت شاؤول وعاد داود من ضرب العماليق " وينتهى سفر صموئيل الثانى بأيام داود الأخيرة ، وبها يبدأ أيضاً سفر الملوك الأول ، وينتهى سفر الملوك الأول بأحزيا ، ويبدأ به سفر الملوك الثاني .

والمظهر الخارجي لهذه الأسفار لم يكن دليلاً على تميزها فحسب ، بل يدل على ذلك - أيضاً - الفكرة العامة والمميزة السائدة فيها، والهدف العام الشامل المشترك فيها . وكتب المؤلف الأحداث حسب ترتيبها . كيف ومتى وأين عرض موسى التوراة على بنى إسرائيل ، وأظهر للجماعة الطريق الذى تسلكه والأحداث التى تحدث لها ؟ وقد تحققت وعود موسى وورث بنو إسرائيل أرض كنعان ، غير أنه فى أعقاب عدم حفظهم الأحكام والقوانين التى أمر بها يهوه موسى ، أخفى يهوه وجهه عنهم .وبعد ذلك طلب بنو إسرائيل أن يكون لهم ملك، ويضيف ليصف عصر الملوك وحكمهم سواء سلبًا أو إيجابًا ، مقارنة بأعمالهم سواء حفظ الملوك توراة موسى أو عملوا الشر أمام يهوه ، أو أخطأ الشعب أمام يهوه ونكث عهده، ولذلك تركهم يهوه فسبب لهم ضوائق عديدة وسيئة إلى أن سبوا من أرضهم، وقد حذر موسى بنى إسرائيل من كل هذا. وكان المؤلف يهمل بقية الأحداث التى ليس لها صلة أو علاقة بهذا المخطط العام ، لأنها غير مهمة بالنسبة له ثم يعرض متتبعا مصدرا أخر، وكان الهدف العام لرؤية المؤلف الذى أثاره لهذا العمل الكبير هو جمع هذه المادة، ودمجها وربطها سوياً من أجل إظهار إلى أى مدى كانت قوانين موسى هامة وصحيحة، وإلى أى مدى تتأكد بواسطة الحياة نفسها.

٦ - عزرا مؤلفا

غير أنه على يد من وكيف ومتى عمل هذا العمل الأدبى الضخم؟ أو على حد تعبير سبينوزا " : من هو مؤلف كل هذه الأسفار "؟ . لم يستطع سبينوزا الإجابة عن سؤاله بالضبط وبالتأكيد، لقد عرض أراءه فقط .وندهش لقوة حسه العبقرى الذى تجاوز كل العصور والأجيال، وكشف أسرار المستقبل ، لتظهر فقط بعد مئات السنين

من البحث والشرح، من خلال وسائل البحث وأساليب النقد الأخرى التي لم تكن معروفة في عصره كلية .

وبما أن الرواية الأخيرة في هذه الأسفار - يشوع حتى الملوك الثاني - تبحث ما يتعلق بيهوياكين في بابل، في عصر حماقة مرودخ بن نبوخذنصر ملك بابل ، وفيها يسرد "ووظيفته وظيفة دائمة تعطى له من عند الملك أو كل يوم بيومه كل أيام حياته " (الفقرة الأخيرة من سفر الملوك الثاني) – يستنتج من هذا أن المؤلف الذي كتب هذه الأقوال، من الواضح أنه هو أيضاً مؤلف كل الأسفار التي سبق ذكرها ، ولا يمكن أن يكون في عصر سابق لعصر عزرا .

ونحن لا نعرف من ذلك الجيل اسماً آخر يناسب هذه الشهادة سوى عزرا نفسه، وبما أنه يروى عن عزرا بالتفصيل أنه "هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء " (عزرا ٧ :١٠)، ويقال في نحميا " : وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى ..." (نحميا ٨:٨) ، يقول سبينوزا لذلك "فإنني أفترض أن عزرا هو مؤلف كل هذه الأسفار " (رسالة في اللاهوت والسياسة ، الفصل الثامن) .

٧ - قِدَم سفر التثنية

غير أنه كيف كان ترتيب أسفار العهد القديم المكتوبة بواسطة عزرا ؟ لم يجب سبينوزا على هذا السؤال إجابة أكيدة ، بل واصل أبحاثه التي بدأها، فيجد تعديلات وتفسيرات إضافية عديدة للغاية في سفر التثنية .فعلاوة على الإضافات التي كشفها من قبل ابن عزرا ، يجد سبينوزا إضافات وشروحا أخرى محدودة العدد .ففي التثنية (١٢:٢) يسرد النص بشأن الحوريين الذين قطنوا من قبل في سعير ما يلي : "وبنو عيسو طردوهم وأبادوهم من أمامهم وسكنوا مكانهم "، ويضيف الكاتب بهدف التوضيح والمقارنة ، ما يلي "كما صنع إسرائيل بأرض ميراثهم التي منحها يهوه إياهم" . وبهذه المقابلة يمكن أن تظهر بمثابة دليل للقول بأن كنعان هي أرض ميراث إسرائيل، على الرغم من أن الأرض كانت مسكونة بواسطة شعوب أخرى قبل قدوم العبريين، ألم يكن حقاً سكن الحوريين أيضاً في سعير وورثهم بنو عيسو "لأني لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثاً " (٢٧:٢) . ولذلك يقول سبينوزا: "إنني أخمن أن سفر التثنية هو نفسه "سفر توراة الرب" . الذي قرأه ووضحه وفسره وعدله عزرا (نفس المصدر السابق) .

وبما أن سفر التثنية يشمل في داخله القوانين الدنيوية الضرورية جداً للشعب، وبما أنه يعبر بصورة متضائلة عن كل قرار تاريخي للأسفار التي تم إقرارها ، وبما أن هذا السفر لم يعتمد على أي سفر آخر ولا يعتبر استمراراً لأي سفر ، بل إنه قائم بذاته، حيث يبدأ بـ: "هذا هو الكلام الذي كلم به موسى جميع إسرائيل ..." كأنما الكل من البداية، ولذلك يقول : "إني أعتقد - ينهي سبينوزا استنتاجاته - أن هذا هو السفر الأول الذي كتبه عزرا "، وبعد أن أنهى عزرا كتابه هذا ، وعلم الشعب توراة شريعة الرب ، اتجه إلى تأليف تاريخ كامل وشامل لحياة بني إسرائيل من خلق العالم حتى خراب أورشليم، وأدخل داخل هذا الكتاب الكبير كتابه الأول - أي سفر التثنية - في مكانه المناسب.

وعندما وصل عزرا بعد ذلك لتسمية الأجزاء المختلفة لكتابه الأساسي اختار أسماء على أساس الأبطال الرئيسيين وأباء بني إسرائيل ومنذ ذلك الحين سميت الأجزاء الخمسة الأولى التي تعالج الفترة المتعلقة بعصر موسى باسم "توراة موسى"، والسفر السادس الذي يحكي بشأن يشوع ، عرف باسم "سفر يشوع "، والسابع "القضاة "وهكذا .

٨ - زمن تأليف الأسفار المختلفة

وبنفس الطريقة تأمل سبينوزا أقوال الماسورا عن مؤلفي الأسفار وزمن كتابتها، وهكذا واصل أبحاثه بشأن بقية الأسفار المتضمنة داخل الكتابات المقدسة، وتوصل إلى رأي عام ، وهو أن المزامير جمعت سوياً في سفر المزامير زمن الهيكل الثاني، وطبقاً لشهادة فيلون السكندري بأن الإصحاح (٨٨) قيل بعد أن وضع يهوياكين في السجن وأجلب إلى بابل، وقيل الإصحاح (٨٩) بعد أن أعتق هذا الملك كذلك ينسب سبينوزا لنفس الفترة تأليف سفر الأمثال .

وكما يبدو فإن سبينوزا بعد أن تفحص أسفار الأنبياء وجد أن النبوءات التي وردت في هذه الأسفار مستمدة من أسفار أخرى، لأن كل النبوءات لم تصل إلينا، وأن تلك التي وصلت إلينا لم تصل كلها بنفس الترتيب الذي قيلت به وطبقاً للحقيقة، فإن أسفار الأنبياء الموجودة عندنا ليست سوى بقايا أسفار الأنبياء ففي سفر أخبار الأيام الثاني (٣٦:٢٢) يرد أن "بقية أقوال عزياهو ...كتب إشعيا بن أموص"، و لم يبق عندنا حقا من هذه أي شئ مطلقاً وطبقاً لرأي سبينوزا فإن المادة التاريخية المتنوعة والموجودة في سفر إرميا مأخوذة من مصادر تاريخية مختلفة وأن الجزء النبوي فيه مستمد من نفس لفيفة السفر التي كتب عليها باروخ بن نيري من فيه إرميا كل نبوءات

إرميا (أنظر إرميا ٣٦: ٤) ويروى يوسف فلافيوس (الآثار ، الكتاب "١"، الفصل ٩) عن نبوءات حزقيال، بأن الملك صدقياهو لم ير بابل، وفى سفر حزقيال الموجود عندنا لا نجد نبوءة مثل هذه .ويوافق سبينوزا تخمين ابن عزرا فيما يتعلق بأيوب بأن السفر مترجم من لغة أخرى، غير أنه لم يكن مديناً له فى رأيه بأن السفر ألفه وثني.

٩ - تثبيت العهد القديم فى عصر التلمود

وهكذا نجد سبينوزا يوضح أن الأجزاء العبرية فى سفر دانيال نسخت من لغة أخرى أى الآرامية، وكان سفر دانيال وسفر عزرا فى البداية سفراً واحداً، وأن الكاتب الذى ألف سفرى عزرا ودانيال هو نفسه الذى ألف سفرى أستير ونحميا .وكما يبدو فقد ألفت هذه الأسفار الأربعة على أساس "أخبار الأيام "التى كتبها الكتبة زمن الهيكل الثانى (انظر نحميا ١٢ : ٢٣، والحشمونيين الأول ١٥:٢٤) كما أن أسفار الملوك وصموئيل قد ألفت على أساس من "أخبار الأيام "التى كانت مكتوبة بواسطة كتبة الملوك زمن الهيكل الأول .ولم يكن مؤلف هذه الأسفار عزرا أو نحميا بل كان المؤلف معاصرا ليهودا المكابي .ويستنتج سبينوزا على أساس هذه الأبحاث النتيجة التالية : "حتى عصر المكابيين لم تكن الأسفار المقدسة قد أقرت" ، وأن حكماء التلمود (الفريسيين) قد اختاروا هذه الأسفار من بين بقية الأسفار، وذلك زمن الهيكل الثانى ، ثم رتبوها ورفعوها لمرتبة الكتابات المقدسة " (رسالة فى اللاهوت والسياسة، الفصل الحادى عشر) .

هذا هو رأى سبينوزا باختصار بشأن تاريخ تكوين أسفار العهد القديم وجمعها داخل الكتابات المقدسة .وسوف نرى فيما بعد أن بعض استنتاجاته استمرت بعينها بعد مئات السنين من التطور العلمي .غير أنه بنفس الطريقة التى تفوق بها سبينوزا على معاصريه بفضل آرائه لم تترك أقواله الانطباع الملموس فى زمنها.ولم يكن جيله مؤهلا لتقبل آرائه بسبب ملاحظاته وتجديداته في نقد العهد القديم .ولم يكن صوت سبينوزا مسموعا وسط الجمهور العبري، وفي داخل الدوائر الكنسية لم يكن الموضوع مؤهلاً لمثل هذا البحث، وبقى سبينوزا وحيداً ومنعزلاً، وأقواله ذهبت أدراج الرياح .

١٠- معاصرو سبينوزا

وحاول القليل من معاصريه أن يقتفوا أثره، غير أنهم استمروا منعزلين فى مكانهم .ولم يقدر العديد من معاصريه، وكذلك أبناء الجيل الذى جاء بعده ، على أن

يسيروا فى أعقابه، ومرة ثانية توجد شواهد لتدهور بحث العهد القديم حتى عند الباحثين الأكثر تقدما فى تلك العصور.

وقد اهتم الفيلسوف الإنجليزى هوبز واللاهوتى الفرنسى دى - برير، المعاصران لسبينوزا بالبحث فى علم العهد القديم مصادفة، وكانت أبحاثهما قليلة بسبب أبحاثهما فى المجالات الأخرى ووجد هوبز أن التوراة لم تكتب بواسطة موسى، وأن سفر يشوع لم يصدر من قلم يشوع . وأن قسماً كبيراً من الكتابات المقدسة ، كتب زمن السبى البابلى أو بعد العودة إلى فلسطين (على سبيل المثال مثل الإصحاح (٧٩) الذى كتب زمن انطيوخوس)، وأما دى -ل برير فقد نقد التوراة من وجهة النظر الأدبية ، وتوصل إلى رأى عام وهو : أن التوراة لم تكن عملا واحدا وكاملا ، بل إنها عمل مركب ومؤلف من أجزاء مختلفة .

وقد ألف الباحث الفرنسى سيمون كتاباً مهما فى تاريخ بحث العهد القديم، وقد جاء سيمون بعد سبينوزا، وقرأ أقواله، وعرف تاريخ التفاسير منذ العصور القديمة كما عرف أيضا أقوال المفسرين العبريين . وعلى أساس البحث الفيلولوجى المسهب دحض التهمة الكاذبة التى تدعى أن اليهود "عدلوا" عمداً نسخة التوراة فى العصر الوسيط ، وبذل جهداً ليوضح أن نص الماسورا الموجود لدى اليهود أكثر صحة من النص السامرى أو الترجمة السبعينية وبعد ذلك نقد الترجوميم الكثيرة المتوافرة عندنا، واستعرض تاريخ التفاسير العبرية والنصرانية ، وأعلن للعالم النصرانى الكثير من تفاسير المفسرين العبريين ، غير أن سيمون فى فهمه العام لتاريخ الكتابات المقدسة وتكوينها لم يصل إلى نفس المستوى الذى وصل إليه سبينوزا بالفعل من قبل .كما يعترف بأن الصورة التى وصلت بها الكتابات المقدسة إلينا هى الصورة التى أعطاها لها عزرا والكتبة ويرى أن الأنبياء الذين بواسطتهم كتبت هذه الأقوال بصورة أساسية ، هم أنفسهم كتبة المملكة الرسميون ، الذين كان عملهم جمع قوائم المملكة ، سواء التى كتبت بواسطتهم أو التى كتبت بواسطة غيرهم وطبقاً لرأيه فإن عزرا والكتبة أقاموا بناءهم الأدبى على أساس تلك المادة التى كتبت بواسطة رجال عديدين وتم جمعها بواسطة الأنبياء.

غير أن هؤلاء الباحثين القليلين والمتفرقين ، لم يبلغوا كلية درجة فهم سبينوزا، ولم يستطيعوا الاستمرار فى بحث العهد القديم بعيدا عن الطريق المرسوم وبعد فترة طويلة من البحث الشاق حول أدق التفاصيل وحول التشكيل وشروح أجيال كاملة، أصبح من المحتمل الوصول رويداً رويداً إلى العديد من النتائج .

القسم الثانى

النقد العلمي

الفصل السابع

نظرية المصادر

١ - أستروك وتقسيم سفر التكوين

في منتصف القرن الثامن عشر نشر الطبيب الفرنسي أستروك كتاباً بالفرنسية باسم "النظرية بشأن المصادر التي استخدمها موسى ، كما يبدو، في تأليف سفر التكوين" . وأهمية الكتاب الأساسية ليست في طريقة تصورات المؤلف، ولا في النتائج التي توصل إليها، ولا في وجهة نظره العامة . فتلك إرث ذلك العصر ، ولم يرث منها العلم أي شئ مطلقًا . وقد كانت رغبة أستروك دحض آراء نقاد العهد القديم السابقين له ، غير أنه بالمصادفة كشف بداية جديدة، وبواسطته فتحت آفاق جديدة ، ومن هذه البداية استغل نقاد العهد القديم أنفسهم هذا البحث ووضعوا الأساس لنظرية المصادر التي يقوم عليها حاليًا علم العهد القديم ، وذلك على عكس رغبة أستروك في تنظيم الأحداث .

٢- المصدران اليهوي والألوهيمي

وقصد أستروك أن يبرهن أن التوراة في صورتها الحالية كتبت بواسطة موسى بخلاف رأي النقاد . غير أنه كان يقر أقوالهم، بأن موسى نفسه لم يكن شاهد عيان لكل قصص الروايات المروية بواسطته، طالما أن موسى عاش زمن الوجود العبري في مصر ولم يكن معاصراً لعصور الآباء وما قبلها . وإذا كان الأمر كذلك، فكيف كتب موسى أقواله بشأن خلق العالم والطوفان وتاريخ الآباء حتى عصره، أي كل ما يرد في سفر التكوين؟ ، يقول أستروك : إن مصادر قديمة كانت أمام موسى، ومنها استمد آراءه وأقحمها داخل سفره . ووجد أستروك عندما فحص جوهر الأحداث في سفر التكوين أن اسم الألوهية ورد في صورتين في سفر التكوين ، فمرة يكنى في النص باسم يهوه، ومرة باسم إلوهيم . وعندما عزل من داخل سفر التكوين النصوص التي تستخدم الصيغة "إلوهيم" وحدها، وتلك المستخدمة "يهوه" وحدها، ظهرت له روايتان مختلفتان، كل واحدة منهما تمثل رواية كاملة قائمة بذاتها . وعلى ذلك استنتج أستروك قاعدة ، هي أن هذين هما المصدران الرئيسيان، اللذان ألف منهما موسى التوراة.

وطبقاً لرأي أستروك يضم المصدر الأول (أ)ما يلي :

الإصحاحات ١؛ ٢:١-٣؛ ٥:٦-٩؛ -٢٢؛ ٧:٦-١٠، ٢٩، ٢٢، ٢٤؛ ٨:١-١٩؛ ٩:١-١٠، ١٢، ١٦، ١٧، ٢٨، ٢٩:١١-٢٠ ، ٣٦:١٧-٣ -٢٧؛ ٢٠:١-١٧؛ ٢١:٢-٣٢؛ ٢٢:١-١٠؛ ٢٣؛ ٢٥:١-١١؛ ٣٠:١-٢٣؛ ٣١: ٤ - ٤٧؛ ٥١-٥٤، ٣٢:١-٣، ٢٥-٣٣ ؛ ٣٣:١-١٦؛ ٣٥:١-٢٧؛ ٣٧؛ ٤٠-٤٨؛ ٤٩:٢٩-٣٣؛ ٥٠ من سفر التكوين ، والإصحاحان الأول والثاني من سفر الخروج.

ويضم المصدر الثانى (ب) ما يلى :

الإصحاحات٢:٤-٢٤؛ ٣؛ ٤؛ ٦:١ - ٨؛ ٧:١ = ٥ . ١١-١٨، ٢١، ٢٤؛ ٥:٢٠-٢٢؛ ٩:١١، ١٣-١٥، ١٨-٢٧ (٢٨، ٢٩) ؛ ١٠؛ ١١:١-٩ ، ٢٧ - ٣٢ ؛ ١٢؛ ١٣؛ ١٥؛ ١٦؛ ١٧:١=٢ ؛ ١٨؛ ١٩:١-٢٨؛ ٢٠:١٨؛ ٢١:١، ٣٣، ٣٤؛ ٢٢:١١-١٩؛ ٢٤؛ ٢٥:١٩-٣٤؛ ٢٦:١ - ٣٣؛ ٢٧؛ ٢٨:١-٥، ١٠-٢٢، ٢٩؛ ٣٠؛ ٢٤- ٤٣؛ ٣١:١ -٣، ٤٨-٥٠؛ ٣٢:٤-٢٤ ؛ ٣٣:١٧ -٢٠ ؛ ٣٨؛ ٣٩؛ ٤٩:١-٢٨، من سفر التكوين .

وبالإضافة إلى ذلك توجد بعض الأجزاء التى لا تدخل فى نطاق أحد هذين المصدرين، وتستخدم هذه الأجزاء أسفارا صغيرة قائمة بذاتها (مثل قصة لوط وبناته، قصة شكيم ودينا ، قصة نساء عيسو وغير ذلك)، وتعالج معظم هذه الأجزاء تاريخ شعوب أخرى .وطبقًا لرأى أستروك فقد كانت لهذه الأجزاء مصادر صغيرة وعديدة أحصاها فى عشرة وهى : جـ ٧؛ ٢٠ ٢٣ ٢٤ ؛ د٣٥؛ ٢٨-٢٩ ؛ هـ ١٤ ؛ و ١٩؛ ٢٩-٣٧ ؛ ز٢٢ ؛ ٢٠-٢٤ ؛ ح ٢٥:١٢ -١٨ ؛ ط ٣٤ ؛ ى ٢٦:٢٤-٣٥ ؛ ك٣٦:١ - ٢١، ٣١-٤٣؛ ل٣٦:٢٥-٣٠ وتلقاها موسى بلغة غير العبرية، من الشعوب الأخرى التى تجول بينها . وقد حاول أستروك أن يحدد مؤلف كل مصدر من المصادر، وعلى سبيل المثال يقترح التصور بأن عمرام أبى موسى مؤلف للمصدر (أ)، غير أنه لم يحدد أسسًا لهذا التصور . ومن حيث الأساس كان أستروك واثقًا أنه بتجديده هذا قد نجح فى تفسير التناقضات واستئصال الأسباب التى أدت إلى التصور بأن موسى لم يؤلف التوراة . منذ ذلك الحين وما بعده لن يكون هناك إنسان ذو عقل يشك فى حقيقة الماسورا . ولم يعلم أنه بكتابه هذا الذى هدف من خلاله إلى أن ينكر نقد العهد القديم لأجل الرب قد أضاف لنقد العهد القديم جرأة وقوة وأن مستقبل النقد دار فى هذه الدائرة ، ووصل بها للمجال العلمى . ويعد كتاب أستروك من الكتب النادرة فى الأدب العالمى والتى أدت إلى ظهور العديد من الآراء والكتب التى لا تزال تظهر منذ ذلك الوقت وحتى الآن .

٣ - أسلوب أيشهورن

وبالتأكيد لم يتم الترحيب بهذه الآراء .فقد أعلن ميخائيلس أعظم المتحدثين من بين عارفى العهد القديم فى ذلك العصر مصادرة كتاب أستروك، واستهزأ به الساخرون فى ذلك العصر، ولولا أن أيشهورن قد جاء بعد أستروك وأثنى عليه وسانده، لبقيت تصورات أستروك مجهولة .وقد كان أيشهورن واثقًا - أيضًا - أن موسى ألف التوراة فى صورتها الحالية، وإن لم تكن لديه القدرة لإظهار صدق دفاعه بوضوح ، فلا

يعود ذلك إلى أن الفترة التى تفصل بيننا وبين موسى كبيرة فقط ، بل لأنه لم يبق عندنا من ذلك الجيل أى شئ باستثناء أسفار التوراة .ويدين أيشهورن بالفضل لأستروك أيضًا بشأن المصادر القديمة الرئيسية "الألوهيمي "و "اليهوي "اللذين منهما ألف سفر التكوين، واختلف معه اختلافات بسيطة بشأن بعض العبارات التى ينسبها أستروك إلى مصدر وينسبها هو لمصدر آخر .ومرة أخرى استعرض سفر التكوين وقسمه قسمين : الأول يستخدم اسم الألوهية "إلوهيم "والثانى يستخدم اسم "الألوهية" "يهوه"، ووضح بإسهاب الاختلافات اللغوية ، والصورة والخاصية الأدبية لهذين المصدرين الرئيسيين فى سفر التكوين .ولم يكتف بذلك، بل واصل أبحاثه على بقية أسفار العهد القديم . وطبقًا لرأى أيشهورن فإن موسى تعامل بتقديس كبير مع أقوال المصادر القديمة ولم يغير أقوالها إلا عند الضرورة . وكما هو مألوف فإن موسى كان يختار ويدخل فى كتابه أجزاء من نفس المصدر وبلغة المصدر بدون أن ينمقها أو يغيرها مطلقًا . وبسبب عدم الوضوح كان يعرض من المصدرين قصة واحدة مرتين فى صياغتين . وأما أسفار التوراة الثلاثة الأخرى (الخروج ، اللاويين، والعدد) فهى ليست سوى تجميع لمصادر صغيرة وعديدة جاءت بنفس ترتيبها ، بدأ موسى كتابتها سويًا على جبل سيناء ، وانتهى منها فى صحراء مؤاب فى عبر الأردن .وأما سفر التثنية فقد كتبه موسى فى نهاية أيامه، ولخص فيه كل عمله وعمل عصره .

٤ – ملاحظات هيردر الأدبية

وهكذا بدأ سفر الأسفار يتحرر خطوة تلو خطوة من قيود الماسورا ، ويعصف بسحابة غيوم العصر الوسيط التى نسجت حوله .وكتب الباحث الانجليزى "لوت" "Lowth"كتابا بشأن شعر العهد القديم، وكشف لأول مرة عن طبيعة هذا الشعر بمطابقة الأجزاء التى تكون صورة شعرية (بيوطية) مألوفة كما أن الشاعر والمفكر الألمانى (الإشكينازي) هيردر تفحص فى ثنايا الكتابات المقدسة من خلال وجهة النظر الأدبية ، ونظر إليها على أنها نتاج فنى لبنى إسرائيل لا يضاهيه شئ فى سحره وحيويته .وتعمقت رؤيته من خلال بلاغة المواعظ والرموز الواردة فى سفر نشيد الأناشيد ، وقرر معالجتها على أنها مجموعة مختارة من صفوة أناشيد الحب فى الأدب الإنسانى كله .وتلخص هذه المجموعة روح جماعة بنى إسرائيل فى عهد الصبا الزاخرة بنور سرى .وقد أدرك أن الأدب العبرى القديم، هو "الشعر الإنسانى فى ميلاده "و "تتغلغل فيه روح الطبيعة والحرية والكمال والبراءة ". ولذلك يُسمع فيه

"صوت الرب السائر خلال الكتابات المقدسة" . فأزال هيردر بهذا قناع القداسة الذى غطى الكتابات المقدسة منذ القدم وأدخلها إلى العالم الدنيوى، ومع هذا لم تفسد ولم تتدهور عظمتها، بل على العكس برز السحر السرمدى لسفر الأسفار في ضوء جديد.

وظهر جوته في أعقاب هيردر وواصل جهوده وتشجع للوقوف على سر تأليف أقسام كاملة فى العهد القديم . فقد قدم الوصايا العشر فى سفر الخروج (٣٤:١٤-٢٥)على القسم التقليدى لجبل سيناء فى سفر الخروج (٢٠:١-١٧) ورأى أن الأولى هى "الوصايا العشر "الأولى والمقدسة.

وبالنظرية التى ألفها أستروك مع تلك الرؤى الأدبية تقدم وتطور أيضاً أسلوب بحث العهد القديم وبالفعل قد رأينا من قبل أن أستروك ومن بعده أيشهورن قد قسما التوراة إلى مصدرين أساسيين وعدد من المصادر الصغيرة المرتبطة بها وفى رأيهما كانت معالم الاختلاف بين المصدرين تعود إلى سببين :الأول خارجي يتمثل فى ألقاب الألوهية المختلفة ، والثانى داخلى ، يتمثل فى ازدواج الروايات وعندما وجد النقاد رواية مكررة للمرة الثالثة فى التوراة، نسبوا هذه الرواية لمجموعة جديدة الثالثة فى رقمها من المصادر الصغيرة والكاملة بذاتها، وبما أن السلطة أعطت للباحث أن يقسم المصادر ، فمرة ثانية لم يكتف بهذا التقسيم الأولي وواصل باحثو العهد القديم المتأخرون عمل الأوائل وكشفوا بنفس القوة مصادر جديدة لم تكن معروفة لأستروك وزملائه.

٥ – إلجن والمصادر: اليهوى والألوهيمى الأول والألوهيمى الثانى

يعد ك .د .إلجن الأول من بين الباحثين الكبار والأساسيين الذين ظهروا فى أعقاب أستروك .توصل إلجن إلى رأى عام وشامل أثناء نقده للمصدرين الأولين اللذين عزلهما أستروك من بين الكتابات المقدسة أى "الوثيقة الألوهيمية"و "الوثيقة اليهوية." ويتمثل هذا الرأى فى أن أسماء الألوهية ليست هى التى تميز هذين المصدرين المتوازيين فقط ، بل تختلف أيضا خصائصهما الأدبية وعالمهما الدينى هذا عن ذاك. لذلك أصبح من الضرورى ترسيخ نظرية المصدرين لتكون بمثابة قاعدة ، ويصبح من المستحيل الشك فيها .قام إلجن بفحص كل واحد من المصدرين على حدة ، وفى الواقع ، وجد أن "الوثيقة اليهوية "مجموعة أدبية واحدة وكاملة طبقا لاتجاهها وصورتها ، غير أن "الوثيقة الألوهيمية" (التى اعتبرها أستروك وزملاؤه سفراً واحداً بسبب عدم الازدواجية فيها، ولأنها تلقب "الألوهيمية باسم إلوهيم")،ليست "وثيقة واحدة "بل تتضمن داخلها مصدرين مختلفين ومتميزين، ليس بينهما تطابق إلا فى

اسم الألوهية فقط، ويوجد بينهما في الواقع اختلاف ديني وأدبي يميز بينهما .ويصف إلجن بمهارة فائقة وخبرة خبير الصور الأدبية لكل مصدر من المصادر الثلاثة التي وجدها، وأطلق على الأول منها اسم "الوثيقة اليهوية "، وهذا يعني السفر الذي يلقب الألوهية باللقب "يهوه"، والمصدران الآخران "الألوهيمي الأول "و "الألوهيمي الثاني"، حيث يستخدمان الاسم "إلوهيم "للدلالة على الألوهية.

٦ - مستوى المصادر

في الوقت الذي يبتعد فيه "الألوهيمي الأول "عن "اليهوي "في مضمونه وصورته ، فإن "الألوهيمي الثاني "قريب في اتجاهه جداً من "اليهوي "على الرغم من اختلاف أسماء الألوهية .وكانت نتائج تلك الملاحظات لإلجن مؤسسة على نماذج أولية رائعة .وقد أخذ إلجن من المصدر الألوهيمي عند أستروك الإصحاح الخامس "هذا سفر مواليد آدم "وقابله بقطعة موازاية له في المصدر اليهوى سفر التكوين(٤) "وعرف آدم حواء . "ولم تكن فقط أسماء الألوهية التي تميز هاتين القصتين . بل هناك بلا شك اختلاف داخلي قوي ثابت بينهما .طبقًا لأقوال المصدر اليهوى (الإصحاح الرابع) توجد ثمانية أجيال من آدم وحتي نوح، ودعى اسم أبي حنوك قايين، وبشأن علاقة حنوك بالإله لم يقص أي شئ مطلقًا ، واسم ابن حنوك عيراد، وكان أبو لامك متوشئيل، ووفقًا لأقوال المصدر الألوهيمي (الإصحاح الخامس) فقد كانت الأجيال من آدم وحتي نوح عشرة أجيال، وأن حنوك ولد يارد، وسار حنوك في طرق الرب وأخذه الرب ، ودعى اسم ابن حنوك متوشالح وولدمتوشالح لامك .ليس هذا فقط فحسب ، بل إن كل أسلوب الاحصاء مختلف .فالمصدر اليهوى يروى عن رجال أحياء أصحاب طبائع وأفعال، وأعمالهم مذكورة .فقايين قتل هابيل وخرج هائماً على وجه الأرض، وابنه حنوك مشيد مدينة، وكان للامك امرأتان ، وكان ابنه يابال أبي ساكني الخيام، ويوبال ابنه كان أبي كل عازف كمان، وتوبال – قايين كان مصقل النحاس .وتعكس هذه الروايات ثمار نتاج جيل زاخر بالحياة ونشيط في وجوده .أما في المصدر الألوهيمي توجد قائمة جافة تتكون من عشر مواد، كل واحدة تشبه الأخرى في كل شئ ومعدة على أساس نظام عمل واحد :وعاش فلان كذا وكذا سنة وولد فلان، وعاش فلان بعد ميلاد فلان كذا وكذا سنة وولد بنين وبنات، وكانت كل أيام حياة فلان كذا وكذا سنة .يتكرر هذا الترتيب في صيغة واحدة مرة تلو الأخرى دون أي تغيير .وحقًا توجد هوة أدبية شاسعة بين هذه القطعة في المصدر الألوهيمي وبين تلك القطعة الموازية لها في المصدر اليهوي .

ونختار لأنفسنا نموذجا آخر للموازنة .نختار على سبيل المثال من "المصدر الألوهيمي "لأستروك الرواية الخاصة بإبراهيم وأبيمالك في جرار (التكوين ٢٠) والقطعة الموازية لها فى "السفر اليهوي "بشأن إسحاق وأبيمالك فى جرار (التكوين ٢٦). فها هى تلك بعض أسماء الأبطال مختلفة. فأبيمالك هو نفسه، وكذلك جرار، غير أن هناك ذكر إبراهيم، وهنا ذكر إسحاق (ولا يوجد أى تطابق فى التفاصيل (فهناك تحدث الرب لأبيمالك في الحلم ، وهنا "وأشرف أبيمالك..من الكوة "، وهناك أجاب إبراهيم أبيمالك على أقواله، أما هنا فلم يجب إسحاق مطلقاً) . ومع ذلك لا يوجد بينهما أى اختلاف أدبى جوهرى وداخلى آخر ، باستثناء اختلاف اسم الألوهية .لذلك يقول إلجن : إن "المصدر الألوهيمي "قريب فى روحه للمصدر اليهوي .وأن المصدر الألوهيمى عند أستروك ليس مصدراً واحداً وتاماً ومستقلا بذاته بل يتضمن داخله مصدرين : أحدهما يعرف عند إلجن باسم "الألوهيمى الأول "وهو بعيد فى روحه عن المصدر "اليهوى "، والثاني يعرف باسم "الألوهيمى الثانى "وهو قريب لليهوى فى اتجاهه .

وبهذا احتل بحث العهد القديم موقفاً جديداً بعد النجاح الأول الذى تحقق فى عصر أستروك . ومنذ ذلك الحين لم يعد الحديث بالفعل عن مصدرين بل عن ثلاثة مصادر أى المصدر اليهوى والمصدر الألوهيمى الأول (أو المصدر القديم) والمصدر الألوهيمى الثانى (أو المصدر الأحدث) .

وباتجاه إلجن إلى تقسيم سفر التكوين حسب مصادره وتحديده الدقيق لمضمون كل مصدر من المصادر، وجد أن المصدر الألوهيمى القديم بقى بكامله إلى حد بعيد، وحُفظ بدرجة أقل منه المصدر الألوهيمى الأحدث، وأقل منهما المصدر اليهوي .وهكذا قسم إلجن سفر التكوين إلى سبع عشرة قطعة مختلفة، عشر قطع منها تدخل فى نطاق المصدر الألوهيمى الأول ، وخمس قطع فى نطاق المصدر الألوهيمى الثاني، وجزءان للمصدر اليهوى .وعند تركيب السفر وضع المصدر الألوهيمى الأول ، وعلى أساسه نشأت بعد ذلك وبمثابة طبقات مميزة بقية أجزاء المصدرين ، واقتصر عمل مؤلف سفر التكوين على تبويب تلك الأجزاء وضمها سوياً.

ولا يزال إلجن داخل نظرية المصادر وتوصل إلى أن السبع عشرة قطعة التى أحصاها لم ينظر إليها على أنها سبعة عشر مصدراً مختلفاً ، بل بمثابة أجزاء لثلاث مجموعات استخدمت بكاملها كمصادر لمؤلف التوراة .وطالما أنه كان من الضرورى – قبل أى شئ – تقسيم السفر إلى أجزاء من أجل الوقوف على ارتباطها بتلك المجموعة

أو بأخرى .فمرة ثانية اختفت وصارت غامضة نظرية الصورة الذاتية للمصادر الثلاثة الرئيسية لمجموعة الأجزاء .وبما أن علامات التمييز بين تلك القطع لم تكن واحدة بصورة أكيدة عند إلجن ، بل ميز بينهم على أساس الحجم وقوة ترجيح رأيه فحسب ، لذلك كان من السهل التنبأ بأن البحث في تطوره سوف يضيف إلى عدد الأجزاء، أضعافا أضعافا ، وأن نظرية المصادر الرئيسية تذهب بلا رجعة وتضعف أمام نظرية الأجزاء التي تولد في أحضانها .وبالتأكيد فقد أضاف أصحاب نظرية الأجزاء فكرة تفتيت المصادر.

٧ - جديس وفيتر

كان ألكسندر جديس الأسكتلندي باحثًا ومفكرًا شجاعًا ، كما كان كاهنًا كاثوليكياً، ووجد في نفسه الشجاعة على إعلان أن موسى لم يكتب التوراة، وأن العهد القديم المتوافر حالياً ليس سوى مجموع أقسام وأجزاء غير مرتبطة مع بعضها البعض، وأنه نتاج أجيال وأنوا ع مختلفة جمعت ونظمت سوياً من قبل محرر متأخر. فأعلنت الكنيسة الكاثوليكية مقاطعة ذلك الكاهن "الكافر "ونفته من وظيفته، كما قاطعت الكنيسة البروتستانتية كتابه .غير أن نظريته - نظرية الأجزاء - اكتسبت تشجيعًا من كل صوب ، وقام أصحاب تلك المدرسة وقسموا وفتتوا المصادر إلى درجة كبيرة جداً .وبالفعل رأينا من قبل أن أستروك قد وجد في سفر التكوين اثني عشر قسما ، وجاء إلجن وأوصلها إلى سبعة عشر .ثم جاء فيتر تلميذ جديس وأوصلها إلى تسعة وثلاثين قسما .وعلاوة على ذلك ، لم يكتف فيتر بسفر التكوين فحسب، بل انتقل ليفتت بقية أسفار التوراة الأربعة ، ومن يستطيع أن يحصى عدد الأجزاء التي يجدها فيها ؟ .يستنتج من بحث أصحاب "نظرية الأجزاء" : أن التوراة التي أمامنا ليست سوى مجموع أجزاء منعزلة وعديدة منها "الأجزاء الطويلة ومنها القصيرة ومنها الضئيل جداً "، بدون أن يكون هذا المجموع منسجما ، أو يكون مرتبًا تاريخيًا. وطبقاً لرأى جديس وفيتر وهرتمان فإن الجامع المتأخر الذى عاش زمن السبى البابلى قد خاف أن يضيع من جماعة بني إسرائيل أى جزء قديم من بقايا النتاج القديم ، لذلك جمعها كلها كما هى وأدخلها بصورتها داخل مؤلفه .

فروايات العهد القديم التى سحرت القلوب بجمالها ، ولم تتوقف طوال آلاف السنين عن إخضا ع الأنفس بكمالها وبساطتها ، تحولت إلى كومة أقسام ، وأجزاء مختلفة ومتنوعة جمعت سوياً من مصادر عديدة، وعصور مختلفة ، وتلك الأقسام كل جزء منها قسم مميز قائم بذاته ، بدون قرابة داخلية أو علاقة جوهرية لجزء مع الآخر.

هل كان من الممكن لمثل هذه النظرية، التي فتتت التوراة تفتيتاً، أن تصمد وتثمر عن نتائج ؟! فقد كان من الواضح أن هناك تعثرا في أسلوب النقد لا يؤدي إلى ضمان صحة النتائج، وأن تقسيم الأجزاء على أساس الحجم فقط وبدون قاعدة تاريخية ثابتة ، ونسبته لأي مصدر من المصادر لا يمكن أن يقود إلى "النجاح العلمي."

٨ - دي - فته

حاول دي - فته الخروج من تلك الأزمة ، وعلى الرغم من أنه كان في بداية حياته تلميذاً لفيتر ووفياً لنظرية الأجزاء . فقد بدأ أبحاثه من جديد ولم يؤسسها على أساس سفر التكوين الذي عمل عليه النقاد منذ أستروك وأدى ذلك إلى نظرية تعدد الأجزاء في بحث العهد القديم .وبدلاً من البحث عن الاختلافات والتناقضات بين أحداث التوراة : فقد سعى دي - فته لإيجاد مصدر ما كامل وثابت في العهد القديم ، لا يترك مجالاً للشك في وحدته الداخلية .فظهر له سفر التثنية كوحدة واحدة كبيرة متميزة ، تتشابه أقسامه وتتناسب كل قسم مع الآخر، كما أن الطابع الأدبي للسفر يختلف عن بقية أسفار التوراة الخمسة ، ويميزه ليكون بمثابة عالم قائم بذاته .فلغة السفر متميزة ، وأساليب التعبير فيه مختلفة عن تلك المقابلة لها في الأسفار الأربعة الأولى، كما أن المناخ الفكري في أقواله مختلف بصورة مطلقة .فالاختلاف الجوهري بين المصادر الثلاثة الأولى في الأسفار الأربعة قد زال واختفى وفُقد في سفر التثنية ، باستثناء الإصحاحات الأخيرة التي تتحدث عن موت موسى .وبالفعل أدرك القدماء وحدة سفر التثنية وتميزه ، ويكفي أن نذكر من ذلك ملاحظات وافتراضات أيشهورن وسبينوزا، كما نجد إشارات إلى مثل هذه الملاحظات في التلمود .علاوة على ذلك فإن الماسورا ذاتها تميز "تثنية التوراة "عن الأسفار الأربعة الأولى، كما أن التوراة حددت إعطاءه في موضع خاص ، وزمن متأخر ، أي في صحراء مؤاب ، وبالقرب من عصر موت موسى.

٩ - مصدر التثنية : خصائصه وزمنه

ولكي نوضح لأنفسنا مدى صحة الرأي الذي يُخرج سفر التثنية من داخل حدود العهد القديم ، ويجعله مصدراً خاصاً قائماً بذاته - هذا الرأي الذي ظهر عند باحثين سابقين لـ :دي - فته ثم ظهر في صورة قوية في عصره وعلى يديه ، حتى صار إرثا ثابتا داخل نتائج علم العهد القديم .فيجب أن نشير إلى مضمون هذا السفر باختصار . فالسفر يبدأ بمقدمة موجزة بتحديد المكان والزمان (١:١-٥) أين ومتى

ابتدأ موسى يشرح هذه الشريعة قائلاً . "وفي أعقاب ذلك يأتي خطاب موسى" (٦:١ – ٤ : ٤٠) ويصف موسى باختصار شديد أمام سامعيه كل الذى حدث لهذا الشعب منذ أن تحدث يهوه "في حوريب "حتى قدومهم إلى عبر الأردن "في الجواء مقابل بيت فغور "، وتوجه بدعوته إلى الشعب ليسمع "الفرائض والأحكام " "لكى تحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض "وليعملوا "فرائضه ووصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم.

وتحدث وقفة قصيرة عبارة عن ثمان عبارات " (٤: ٤١–٤٩) ، تتحدث عن المدن الثلاث التي عزلها موسى ويعد مقدمة قصيرة لشريعة موسى "التي وضعها ...أمام بني إسرائيل " "في عبر الأردن في الجواء مقابل بيت فغور "، يبدأ الخطاب الثاني لموسى والذى يتضمن كل الفرائض والأحكام "التي أتكلم بها في مسامعكم اليوم" (الإصحاحات ٥–٢٦)، وذلك بعد ذكر أحداث تاريخية قصيرة .وقد لاحظ القدماء فعلاً الاختلاف بين (٦:١٠–٩) وبقية أقوال الشريعة ، فهذه الفقرات تؤدى إلى خلل في اكتمال الأقوال تدركه عينا الناقد، وبدونها تسير الرواية هنا بدون ازدواج أو تناقض ، فالفقرة مرتبطة بالفقرة .وتمس القوانين نفسها بعض أسس الحياة والحاجات المختلفة لشعب استقر على أرضه ، وعلى أساسها كلها ترفرف الروح ، لأن إسرائيل "شعب مختار . "وتتركز الحياة ذاتها حول" الموضع الذي يختار يهوه إلهك ليسكن اسمه هناك "وبعد أن أنهى موسى خطابه الطويل أعلن قائلاً :" قد واعدت الرب اليوم أن يكون لك إلهاً ... وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً" .

ثم يقُص السفر ما يتعلق بوظيفة موسى ، وهي أن يكتب : "كل أقوال الشريعة هذه" على حجارة كبيرة وأن ينصب هذه الحجارة في جبل عيبال (٢٧:١–٥) ويبنى هناك مذبحاً ليهوه وأن يقيم بعد ذلك ستة أسباط من إسرائيل على جبل عيبال ، وستة على جبل جرزيم ، ليبارك الشعب إذا سمع لقول يهوه ، ولعنه إن لم يسمع لقول يهوه " احفظوا جميع الوصايا التى أنا أوصيكم بها اليوم "، وينهى قائلاً :" تلك أقوال العهد التى أمر يهوه موسى أن يقطعه لبنى إسرائيل فى أرض مؤاب، غير العهد الذى قطعه معهم فى حوريب" .

وبذلك ينتهى التيار الأدبى المتواصل والطبيعي والمتواصل من بداية السفر .أما الإصحاحات (٢٩، ٣٠) فتعود إلى أقوال الخطاب الثاني، والإصحاحات(٣١–٣٢) تحكى عن وفاة موسى وإعلان القيادة ليوشع وأنشودة موسى وبركته قبل موته .وفي هذه الإصحاحات الأخيرة نجد مرة ثانية ازدواجيات كثيرة وأصداء تناقضات .فالرواية الخاصة بموت موسى تكررت مرة ثانية وثالثة في تلك الإصحاحات .هذا يجعلنا نلاحظ مرة ثانية فكر وطابع المصادر الثلاثة الأولى التي وجدت في أسفار العهد القديم . يفهم

من ذلك بصورة مباشرة ، بأنه لم يستطع أي مصدر من المصادر تجاهل حدث كبير مثل حدث موت موسى.

هذا السفر لم يكتمل ويثبت على أساس مضمونه فقط ، بل مستقل - أيضا - على مستوى بيئته التاريخية عن بقية الأسفار الأربعة .فالقوانين الكثيرة الخاصة بالقرابين والكهنة وخدمة اللاويين وعمل الهيكل، والتي يزخر بها سفر اللاويين لا وجود لها في سفر التثنية .والأقوال المتناثرة عن "الكهنة واللاويين "في السفر ليست ذات قيمة بالنسبة للمضمون الأساسي للسفر .فالقوانين في سفر التثنية ليست موجهة للكهنة أو أبناء هارون، كما يوجد في بقية الأسفار، بل موجهة للشعب نفسه ، ومرتبة بصورة واضحة وقطعية كأمر رسمي .ولذلك يقول دي - فته أن سفر "تثنية التوراة " مصدر كامل ومتميز في حد ذاته باستثناء الإصحاحات الأخيرة وبعض الفقرات في مادة السفر.
وهكذا نجح دي - فته في أن يجد داخل تعدد الأجزاء في التوراة مصدراً واحداً كاملاً متميزا في حجمه ، ومهما في مضمونه مستخدما بيئة قائمة بذاتها .وعلى إثر ذلك تحرر دي - فته من تعقيدات الأجزاء فاتحا بذلك طريقًا جديداً في تطور مستقبل علم العهد القديم.

١٠- إصلاح يوشياهو .واكتشاف "سفر العهد "

متى إذن ، وبواسطة من ألف هذا المصدر الكامل؟ .ربما ننجح في إيجاد أساس راسخ في تاريخ إسرائيل عن زمن تأليف هذا السفر، وعلى هذا الأساس الثابت، ربما تصبح هناك إمكانية لاستمرار عمل هذا العلم إلى أبعد من ذلك ، وذلك بمقارنة بقية الأجزاء بهذا المصدر، لتحديد أيها أقدم ولمعرفة علاقتها الداخلية المشتركة التي تربط بينها وبينه ؟ .ووجد دي - فته لهذا السؤال إجابة وافية بعد سلسلة من المحاولات العلمية المختلفة التي حددت أساسا ثابتا لتوضيح ترتيب زمن كتابة مصادر العهد القديم.

ففي سفر الملوك الثاني (٢٢-٢٣) وصف تفصيلي عن عصر يوشياهو ملك إسرائيل .في السنة الثامنة عشرة من حكمه ، جاء حلقياهو الكاهن إلى داخل هيكل يهوه لتقوية دعائم الهيكل وجد هناك "سفر الشريعة "فمزق ملابسه "لأن عظيم غضب يهوه ...أنه لم يسمع آباؤنا أقوال هذا السفر ويعملوا كما هو مكتوب علينا" .
وذهبوا ليسألوا خلدة النبية فقالت : "هكذا قال يهوه ها أنا جالب شر على هذا المكان وعلى سكانه كل أقوال السفر الذي قرأه ملك يهوذا " . فخاف الملك وخضع أمام يهوه

وأرسل وجمع : "كل شيوخ يهوذا وأورشليم" ، "وقرأ على مسامعهم أقوال العهد المكتوب في هذا السفر ودخل كل الشعب في العهد" ، "وقطع عهداً أمام يهوه ليذهبوا وراء يهوه ويحفظوا وصاياه وشهاداته وقوانينه ...لإقامة أقوال هذا العهد المكتوبة في هذا السفر ودخل كل الشعب في هذا العهد وأبعد عن الهيكل ." كل الأدوات المعمولة للبعل والسارية" ، "وحرقها خارج أورشليم" ، وجعلها غباراً وهدم بيوت المأبونين التي عند بيت يهوه ونجس المرتفعات، وهدم مرتفعات الأبواب وكسر التماثيل وقطع السواري ونجس المذابح ، وأباد السحرة والعرافين والترافيم والأصنام وجميع الرجاسات التي ظهرت في البلاد، وأمر بعمل الفصح في أورشليم "ليقيم كلام الشريعة المكتوب في السفر الذي وجده حلقيا الكاهن في بيت يهوه" .

إذن ما هذا السفر المبهم المعروف بـ "سفر الشريعة "الذي وجده حلقياهو في هيكل يهوه والذي على أساسه نظم الملك تلك الثورة الجوهرية في الحياة الدينية والعقدية للشعب ؟.

من البديهي أن النص هنا لا يتحدث عن أسفار التوراة الخمسة .لأنه من المستحيل أن كل أسفار التوراة المشتملة على قرابة ستة آلاف فقرة تقرأ من أولها وحتى نهايتها "كل أقوال سفر العهد "مرتين في يوم واحد - مرة بواسطة شافان أمام الملك ، ومرة من قبل الملك على مسامع الشعب .لكن من المستحيل أيضاً تصور أن سفر العهد هذا سفر آخر وُجد آنذاك مصادفة ، وفقد مرة ثانية ولم يصل إلينا .ألم "يدعى" "سفر العهد" وعلى أساسه قطع الشعب عهداً أمام يهوه ، وقرأه كل الشعب" من الصغير وحتى الكبير ". لذلك من المستحيل أن الأمر الذي تتمسك به جماعة إسرائيل تتناساه بعد ذلك ، في الوقت الذي اقتربت فيه من جمع كتاباتها المقدسة .ومنذ ذلك الحين يعتقد أن هذا السفر ليس سوى أحد أجزاء التوراة المتضمن داخل أسفار التوراة الخمسة .

إلا أن هناك تساؤلات عن :ما هذا السفر؟ وعن أين موضع "سفر العهد "الذي وجد في زمن يوشياهو - داخل الأسفار الخمسة ؟ وعن أي أجزاء التوراة يتحدث النص ؟.

١١- سفر الشريعة وتوراة الكهنة

يتضح من ثنايا الرواية أن السفر يتضمن في داخله لعنة قاسية على المكان وسكانه إن لم يحفظ الشعب الأحكام المذكورة فيه، لذلك ارتجف الملك ومزق ملابسه،

كما كانت أقوال خلدة النبية قاسية إلى حد كبير .ونعرف من خلال أعمال يوشياهو أن "سفر العهد "أمر بإزالة المرتفعات والمذابح المنتشرة في يهوذا والسامرة، وتركيز العبادة في هيكل يهوه في أورشليم وعمل فصح ليهوه .تلك هي الأسس الثلاثة التي اتبعت في عصر يوشياهو "من أجل إقامة الشريعة المكتوبة في السفر الذي وجده حلقياهو ."وفي أي أقسام التوراة توجد تلك الإشارات؟ .فسفر العهد القديم (الخروج ٢٠-٢٣) يؤكد بصريح العبارة أن "في هذا المكان الذي يذكر اسمي أتى إليك وأباركك". والروايات الموجودة داخل المصدرين "اليهوي "و"الالوهيمي "تُحدد وتكرر : بأن الشعب سلك في تقديم القرابين خارج أورشليم وبنى مذابح وأقام نصبا ، ولم يعتبر هذا الأمر فيهما خطيئته .

وعندما بدأ دي - فته فحص المصدر الجديد الذي ظهر داخل أسفار التوراة - سفر التثنية - وجد فيه كل تلك الإشارات التي أحصاها العهد القديم في "سفر الشريعة "الذي وجده حلقياهو .وبمثابة حجر الأساس لكل القوانين التي قررها عند قدومه ليقرأ أمام الشعب "الأحكام والقوانين التي تحفظونها لتعملوها ". يؤكد موسى ويشدد "إلى المكان الذي يختار يهوه لكم من كل أسباطكم ليجعل اسمه فيه سكناه تطلبون وإلى هناك تجيئون" (التثنية ١٢:٥، ١١، ١٤)، وتباد تماما الأماكن المقدسة الموجودة باستثناء الهيكل المركزي .ويقص بالتفصيل "وتهدمون مذابحكم وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار وتكسرون تماثيل آلهتهم وتمحون اسمهم من ذلك المكان " (٣:١٢) .

وأقام يوشياهو تلك الوصايا حرفيا (الملوك الثاني٢٣:٤-١٥) ويرد هنا بإسهاب وتفصيل ما يتعلق بشأن بقية القانون "لعمل فصح ليهوه". وتتبع ذبيحة الفصح في الموضع "الذي يختار يهوه إلهك ليسكن اسمه هناك " (التثنية١٦:٦) ووصية ذبح الفصح في الهيكل المركزي ، لم يرد عنها أي خبر مطلقاً في أحداث الفصح سواء في سفر العدد (٢٨:١٦-٢٥) أو في سفر الخروج (١٢:١٤-٢٠).

وفي سفر الملوك الثاني يرد بإسهاب في الرواية عن يوشياهو "لأنه لم يُعمل فصح كهذا للرب منذ عصر القضاة ...لكن في السنة الثامنة عشرة للملك يوشياهو عمل هذا الفصح ليهوه في أورشليم" (الملوك الثاني ٢٣:٢٢ - ٢٣)ولم يكن مجانا ارتجاف الملك يوشياهو من أجل "غضب يهوه الذي اشتعل علينا ". بل إن سفر التثنية يتضمن في داخله تأنيبا وتهديداً شديداً "إن لم تسمع كلام يهوه إلهك" (التثنية ٢٧-٢٨)، ولم يكن مصادفة أيضاً أن السفر الذي وجده حلقيا يكنى باسم "سفر العهد"

(٢:٢٣ ، ٢١) لأن يتكرر فى سفر التثنية بإسهاب أن يهوه قطع عهداً " معنا نحن الذين هنا اليوم جميعاً أحياء "(التثنية ٥:٣) انظر أيضاً (١٧:٢٦-١٨) .

وتدعم الأدلة الجانبية المستمدة من أدب ذلك العصر الرأى بأن سفر التثنية نُشر فى عصر يوشياهو .فنقرأ فى سفر إرميا "هكذا قال يهوه إله إسرائيل أنا قطعت عهداً مع آبائكم ...قائلاً فى نهاية سبع سنين تطلقون كل واحد أخاه العبرانى الذى بيع لك وخدمك ست سنين فتطلقه حراً من عندك " (إرميا ١٣:٣٤-١٤) فمن يدرى أن أقوال إرميا هذه معدة لتؤكد القانون فى سفر التثنية " : إذا بيع لك أخوك العبرى أو العبرانية وخدمك ست سنين ، ففى السنة السابعة تطلقه حراً من عندك " (التثنية ١٢:١٥)، وليس لتأكيد القانون الموازى فى سفر الخروج والذى ينص ":إذا اشتريت عبداً عبرانياً " (الخروج٢:٢١) .

وفى الرواية عن أمصيا الذى عمل المستقيم فى عينى يهوه يصف سفر الملوك الثانى (١٤) مفصلاً : "ولكنه لم يقتل أبناء القاتلين حسب ما هو مكتوب فى سفر شريعة موسى "حيث أمر يهوه قائلاً:" لا يقتل الآباء من أجل البنين، والبنون لا يقتلون من أجل الآباء، إنما كل إنسان يقتل بخطيئته (يموت) موتاً". ويعنى ذلك اقتباساً دقيقاً مأخوذاً حرفياً من سفر التثنية (١٦:٢٤) .

ونستنتج من هذه الأقوال أن "تثنية التوراة "التى لاحظنا أنه مصدر منفصل ومتميز ومستقل هى نفسها سفر العهد الذى وردت الإشارة عنه فى سفر الملوك الثاني، وأنه ظهر فى السنة الثامنة عشرة لملك يوشياهو ، أى تقريباً حوالي (٦٢٢ ق.م) .

١٢- تدهور نظرية تعدد الوحدات

وعندما نجح دى – فته فى استخلاص وحدة أحد أسفار التوراة ، وتحديد مجاله وزمن تأليفه بدأ الانتصار على نظرية تعدد الأجزاء فى بقية أسفار التوراة وإيجاد نظام يربط بين الأجزاء والأقسام العديدة التى أحصاها من قبل أصحاب نظرية تعدد الوحدات .

القسم الثانى

النقد العلمي

الفصل الثامن

تحديد المصادر الأربعة

١ - دي ــ فته ومدرسته

بما أن دي - فته قد توصل للاعتراف بشأن سفر "التثنية "داخل تاريخ نُظم العبادة في إسرائيل ، فقد سعى مرة ثانية لأن يجد في مسيرة الحياة الدينية مادة لبقية أبحاثه بشأن تاريخ العهد القديم ، وتشجع في أن يوضح بنفسه أسلوب تطور العبادة ونظام الطقوس ، ودعم ذلك على أساس الصورة التاريخية في نقده للعهد القديم .ولذلك كشف دي - فته الاختلافات الداخلية بين سفرى أخبار الأيام وأسفار صموئيل والملوك، مشيرا إلى أن هذا الاختلاف لا يظهر في فقدان التطابق بين تفاصيل الروايات فحسب، والذى توصل إليه بالفعل العديد من الباحثين السابقين، بل إن صور الطقوس متأخرة بكل ما تحمل الكلمة من معنى كما هي موصوفة أمامنا ، وناجمة عن أقوال مصدرين مختلفين ، وبعيدين هذا عن ذلك في الزمن والهدف .

والمعالجة التي عالج بها دي - فته سفر التثنية على أنه كله ذو أسلوب واحد، وتسود في أقواله لغة الأنبياء الثرية والمتعددة ، لذلك استمر بإحساسه النقدي في ثنايا الكتابات المقدسة ولم يهتم فقط بالتناقضات والتكرار وفقدان المطابقة فحسب، بل ليجد في العديد منها الوحدة الأدبية الفنية الموجودة بالفعل ، مع التسليم والقبول بالنقص الموجود أحيانا .وقد ثار بصفته ناقداً ثقة وخبيراً على علم أساتذته وابتعد عن نظرية الأجزاء العقلانية في مجموعها، والمتطرفة، والباحثة عن أدق التفاصيل .وانضم لدعمه سريعًا مجموعة من الباحثين الشبان .ومرة ثانية دار الحديث عن أقوال مؤلفات كبيرة في حجمها، أي المصدر الألوهيمي القديم والمصدر اليهوي المتأخر.

وعلاوة على ذلك فقد فاق دي - فته وتلاميذه بالوحدة الأدبية الكاملة أصحاب نظرية المصادر الأوائل (استروك ، إلجن، وغيرهما) السابقين على أصحاب نظرية الأجزاء .وقد لاحظ الأوائل أن التوراة كما هي مؤلفة من مصدرين ـ وقالوا بعد ذلك من ثلاثة مصادر ـ خاصين ومنعزلين الواحد عن الآخر ، ليس بينهما أى صلة ، ودمجا سويًا بصورة متكلفة .أما أصحاب مجموعة دي - فته فقد قرروا :أن التأليف "اليهوي "ليس تأليفًا مستقلا ، بل إن "اليهوي "جاء للارتباط بأقوال "الألوهيمى" السابق له وليكملها .وبذلك ابتدعت نظرية المصدر التكميلي .

٢ - إيفالد وتوخ

اهتم ايفالد الذى انضم إلى مدرسة دي - فته بإظهار أن سفر التكوين ، للذى

فتنه أصحاب نظرية الأجزاء ، لا يمكن أن يكون تأليفا ميكانيكيا من مصادر متعددة فحسب، لأنه رغم كل ذلك نشعر بوحدة أدبية في مجموعه ، وأن كل المادة العديدة والوفيرة المجموعة فيه ، تتخذ صورة أدبية واحدة.

أما توخ الذى ظهر بعد إيفالد فقد قرر فى تفسيره لسفر التكوين قاعدة :أنه يوجد بالفعل أمامنا مؤلفان متميزان . غير أن المتأخر منهما زاد وتمم أقوال المؤلف السابق له .ومن أجل ذلك فإنه يلقب "المصدر الالوهيمي "باسم "المصدر الأساسي" و"المصدر اليهوي "باسم "المصدر المتمم."

٣ - اكتمال سفر التثنية

وطبقًا لرأى أصحاب هذه النظرية . فإن المُؤلف الأول "للمصدر الأساسي" كان أحد الذين عاشوا فى عصر شاؤول . وأما "المصدر المتمم "المتأخر فقد عاش كما يبدو، فى عصر سليمان .ويعد أن رسخ أصحاب تلك النظرية وحدة سفر التثنية والوحدة الأدبية لسفر التكوين، لم يكتفوا مرة ثانية بهذين السفرين فحسب، بل حاولوا توسيع سيادة تلك النظرية على كل أسفار العهد القديم ويجدوا فيها كلها يدا واحدة ، أعدت وأكملت ونظمت المادة الأساسية القديمة بناءً على أسلوب دينى معروف وثابت.

وبذلك خرج علم العهد القديم مرة ثانية بعيداً عن عصر الأجزاء المبتدع مزودا بوسائل بحث جديدة ومكاسب إضافية .

وليس من اهتمامنا عرض كل سبل صرا ع تطور علم العهد القديم . وتفصيل تفاصيل ارتقائه وهبوطه .لكن الهام هنا تلك الحركات العلمية التى قادت علم العهد القديم حتى ساد ونمت ثروته .لذلك نتجاهل طرق البحث التى بذلت جهداً فى التأمل النظرى بين نظرية المصدر المكمل القائمة . بين ملحق نظرية الأجزاء وازدهار النظرية الجديدة للمصادر، لنصل إلى العصر الذى ظهر فيه هوبفلد والذى ارتقى بعلم العهد القديم لدرجة جديدة .

٤ - المصدر الأساسى والمصدر المكمل

لم يحقق الفكر النقدى الطمأنينة بسبب العثرات الموجودة فى "الألوهيمي "عند نظرية المصدر المكمل .وعلى أساس نظرية المصدر المكمل تضاءلت قيمة اليهوى بصفته مؤلفاً، ونسبت إلى المصدر المكمل وظيفتان جديدتان ومميزتان ، هما : مهمة المحرر

ومهمة المكمل ، وضخموا الوظيفة الأولى وطوروا فى الثانية .وعلاوة على ذلك ابتعد أصحاب نظرية المصدر المكمل برأيهم عن أقوال الباحثين السابقين ، الذين اضطروا لتقسيم المصدر الألوهيمى لمصدرين (إلجن)، وتحدثوا عن "المصدر الأساسي"، بمثابة مؤلف واحد وكامل ، كما لو كان كله "قطعة متجانسة" .

٥ - خلل نظرية المكمل

وعندما بدأ هوبفلد فى إظهار نظرية أصحاب المصدر المكمل إلى حيز التنفيذ، والتمييز بين الطبقة الإضافية لليهوى المكمل وبين المصدر الأساسى للإلوهيمى توصل على الفور لعيوبهما سوياً .فقد وجد داخل الجزء المكمل مادة جديدة ليس لها أى إشارة داخل المصدر الأساسى ، لذلك من المستحيل الحديث عنها ، لأنها ليست مكملة فقط وليست مؤلفًا قائمًا بذاته .وإلى هذا الحد لا يمكن تصور أن اليهوى مكمل فحسب . ويظهر ذلك النموذج بوضوح فى قسم الطوفان فى سفر التكوين(٦-٨) . فقد كان أصحاب نظرية المصدر المكمل يتبعون فى هذا القسم التمييز بين المصدر الأساسى والمصدر المكمل على هذه الصورة، بأن هذا الحدث وجد فى المصدر الأساسي، وأن المكمل اليهوى أضاف عليها فقط٦ : ١-٨ ؛ ٧:١-١٠؛ ١٦ب؛٨: ٢٠-٢١.

٦ - هوبفلد وتجديداته

إلا أنه عندما جاء هوبفلد وبدأ فحص ذلك وجد أن أقوال اليهوى تشمل فى داخلها رواية كاملة ومميزة وغير مرتبطة كلية بالمصدر الألوهيمي، ولذلك قرر :

للمصدر الألوهيمي	للمصدر اليهوي
الإصحاح السادس	٥- ورأى الرب أن شر الإنسان قد
٩- هذه مواليد نوح .كان نوح رجلا	كثر في الأرض .وأن تصور كل افكار قلبه
بارا كاملا فى أجياله .وسار نوح مع الله .	انما هو شرير كل يوم. ٦-فحزن الرب أنه
١٠-وولد نوح ثلاثة بنين ساما وحاما	عمل الإنسان في الأرض .وتأسف في قلبه
ويافثا. ١١- وفسدت الأرض أمام الله	٧- فقال الرب أمحو عن وجه الأرض
وامتلأت الأرض ظلما . ١٢- ورأى الله	الإنسان الذي خلقته مع بهائم ودبابات
الأرض فإذا هي قد فسدت .إذ كان كل	وطيور السماء .لأني حزنت أني عملتهم

بشر قد أفسد طريقه على الأرض.

١٣-فقال الله لنوح نهاية كل بشر قد أتت أمامي .لأن الأرض امتلأت ظلما منهم فها أنا مهلكهم مع الأرض. ١٤- اصنع لنفسك فلكا من خشب جفر . تجعل الفلك مساكن وتطليه من داخل ومن خارج بالقار . ١٥- وهكذا تصنعه ثلاث مئة ذراع يكون طول الفلك وخمسين ذراعا عرضه وثلاثين ذراعا ارتفاعه . ١٦- وتصنع الفلك وتكمله إلى حد ذراع من فوق .وتضع باب الفلك في جانبه .مساكن سفلية ومتوسطة وعلوية تجعله. ١٧ -فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت. ١٨ -ولكن أقيم عهدي معك فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك. ١٩ -ومن كل حي من كل ذي جسد اثنين من كل تدخل إلى الفلك لاستبقائها معك .تكون ذكراً وأنثى. ٢٠ -من الطيور كأجناسها ومن البهائم كأجناسها . ومن كل دبابات الأرض كأجناسها . اثنين من كل تدخل إلى الفلك . ٢١ -وأنت فخذ لنفسك من كل طعام يؤكل واجمعه عندك . فيكون

٨-وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب .

الإصحاح السابع :

١- وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك .لأني إياك رأيت باراً لدي في هذا الجيل . ٢ - من جميع البهائم الطاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ذكرا وأنثى .ومن البهائم التي ليست بطاهرة اثنين ذكرا وأنثى. ٣ -ومن طيور السماء أيضا سبعة سبعة ذكرا وأنثى . لاستبقاء نسل على وجه الأرض . ٤-لأني بعد سبعة أيام أيضا أمطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة . وأمحو عن وجه الأرض كل قائم عملته . ٥ - ففعل نوح حسب كل ما أمره به الرب . ١٠-أ وحدث بعد السبعة أيام . ١٢-وكان المطر على الأرض أربعين يوما وأربعين ليلة .١٦ب وأغلق الرب عليه . ٢٣- فمحا الله كل قائم كان على وجه الأرض ، الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء .فانمحت من الأرض .وبقي نوح والذين معه في الفلك فقط .

الإصحاح الثامن :

٦أ - وحدث من بعد أربعين يوما . ٧ - وأرسل الغراب فخرج مترددا حتى نشفت المياه عن الأرض. ٢٠ -وبنى نوح مذبحا للرب .وأخذ من كل البهائم

لك ولها طعاما . ٢٢ - ففعل نوح حسب كل ما أمره به الله .هكذا فعل.

الإصحاح السابع

٦ - ولما كان نوح ابن ست مئة سنة صار طوفان الماء على الأرض. فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان. ٨-ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة ومن الطيور ومن كل ما يدب على الأرض. ٩-دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى .كما أمر الله نوحا .١١-في سنة ست مئة من حياة نوح في الشهر الثاني في اليوم السابع عشر من الشهر في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء. ١٣-في ذلك اليوم عينه دخل نوح وحام وسام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معه إلى الفلك . ١٤-هم وكل الوحوش كأجناسها وكل البهائم كأجناسها وكل الدبابات التي تدب على الأرض وكل الطيور كأجناسها كل عصفور ذي جناح. ١٥-ودخلت على نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح حياة . ١٦أ - والداخلات دخلت ذكرا وأنثى من كل ذي جسد كما أمره الله. ١٨-وتعاظمت المياه وتكاثرت

الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة .وأصعد محرقات على المذبح ٢١.-فتنسم الرب رائحة الرضا .وقال الرب في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضا من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته . ولا أعود أيضا أميت كل حي كما فعلت . مدة كل أيام الأرض من زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل لا تزال .

جدا على الأرض .فكان الفلك يسير على وجه المياه. ١٩ -وتعاظمت المياه كثيرا جدا على الأرض . فتغطت جميع الجبال الشامخة التى تحت كل السماء. ٢٠ -خمسة عشر ذراعا فى الارتفاع تعاظمت المياه .فتغطت الجبال. ٢١ - فمات كل ذى جسد كان يدب على الأرض . من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزحافات التى كانت تزحف على الأرض وجميع الناس. ٢٢ - كل ما فى أنفه نسمة روح حياة من كل ما فى اليابسة مات .

الإصحاح الثامن :

١-ثم ذكر الله نوحا وكل الوحوش وكل البهائم التى معه فى الفلك وأجاز الله ريحا على الأرض فهدأت المياه .٢-وانسدت ينابيع الغمر وطاقات السماء. فامتنع المطر من السماء. ٣- ورجعت المياه عن الأرض رجوعا متواليا . وبعد مئة وخمسين يوما نقصت المياه. ٤-واستقر الفلك فى الشهر السابع فى اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط. ٥-وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر .وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال. ٦- وفتح نوح طاقة الفلك التى كان قد عملها. ٨- ثم أرسل الحمامة من عنده

ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض.
٩-فلم تجد الحمامة مقرا لرجلها.
فرجعت إليه إلى الفلك.١٠-فلبث أيضا
سبعة أيام أخر وعاد فأرسل الحمامة من
الفلك. ١١-فأتت إليه الحمامة عند
المساء وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها.
فعلم نوح أن المياه قد قلت عن
الأرض.١٢- فلبث أيضا سبعة أيام أخر
وأرسل الحمامة فلم تعد ترجع إليه أيضا.
١٣- وكان في السنة الواحدة والست مئة
في الشهر الأول في أول الشهر أن المياه
نشفت عن الأرض .فكشف نوح الغطاء
عن الفلك ونظر فإذا وجه الأرض قد
نشف.١٤-وفي الشهر الثاني في اليوم
السابع والعشرين من الشهر جفت
الأرض. ١٥- وكلم الله نوحا قائلا : ١٦
- اخرج من الفلك أنت وامرأتك وبنوك
ونساء بنيك معك.١٧- وكل الحيوانات
التي معك من كل ذي جسد والطيور
والبهائم وكل الدبابات التي تدب على
الأرض أخرجها معك. ولتتوالد في الأرض
وتثمر وتكثر على الأرض.١٨-فخرج نوح
وبنوه وامرأته ونساء بنيه معه.١٩-وكل
الحيوانات كل الدبابات وكل الطيور كل ما
يدب على الأرض كأنواعها خرجت من
الفلك .

أمامنا روايتان كاملتان غير مرتبطتين الواحدة بالأخرى مطلقًا، وتفاصيلهما ولغة أقوالهما مختلفة : ففي الرواية الأولى أدخل اثنين اثنين من الأحياء والبهائم والطيور ، وفي الثانية سبعة سبعة من الطاهرة واثنين من غير الطاهرة .وفي الأولى نزل الطوفان مئة وخمسون يومًا ، وفي الثانية نزل المطر أربعون يومًا .وفي الأولى أرسل الحمامة وفي الثانية الغراب . وفي الرواية الأولى الأعداد والسنوات دقيقة ومسهبة، متى بدأ الطوفان يهبط؟ ومتى تزايدت المياه؟ وكيف تزايدت؟ ومتى بدأت في الانحسار ؟ ومتى هبطت السفينة وأين؟ ومتى ظهرت رؤوس الجبال؟ ومتى انغمرت الأرض ؟ ومتى يبست ؟ والكل بالتحديد في اليوم والشهر والسنة .أما في الرواية الثانية فليس هناك أي إشارة لأسلوب هذا العمل، وبدلًا منه نجد تفصيلًا بشأن سبب تكون المطر وقرار يهوه "الإبادة الإنسان"، حيث تزايد شره ، وعن القرابين التي قدمها نوح وعن المذبح الذي بناه، وعن وعد يهوه لئلا يضرب بعد ذلك كل حي "لأن خلق قلب الإنسان شرير من شبابه . "هل يوجد بعد ذلك ضرورة في الأمر لإظهار إلى أي مدى تختلف بيئة هذين المؤلفين .لذلك لا يمكن الاعتقاد أن "اليهوي "مكمل فقط ، والذي لم يأت فقط لإعداد المصدر الأساسي وتعديله، بل علينا ، أن ننظر إليه كمؤلف متميز لا يرتبط كلية "بالألوهيمي "وأن أحداثه تستخدم مصدرًا قائمًا بذاته.

٧ - هوبفلد وإلجن

علاوة على ذلك ، فإن مادة "المصدر الأساسي "الذي طبقًا لرأي أصحاب نظرية المكمل جاء المحرر اليهوي ليكمله ، ليس كما اعتقدوا .قطعة واحدة، بل يشمل مصدرين مختلفين الواحد عن الآخر ، كما لاحظ إلجن ذلك في عصره .وبما أن جوهر اختلاف المصادر لم يحدث إلا لإظهار الروايات المزدوجة ، وبما أنه لا تزال في "المصدر الأساسي "أو " الألوهيمي "تكرارات عديدة باقية ، يفهم من ذلك أن هذا المصدر لا يزال يخضع للتقسيم .وهكذا واصل هوبفلد مستعرضًا أقوال إلجن وأحصى الروايات المتكررة داخل المصدر الألوهيمي في سفر التكوين فقط .وعلى سبيل المثال قابل الروايات هذه مقابل تلك وفقًا لاختلاف أسماء "لوز "بيت إيل" (التكوين ٢٨ : ٩ ؛ ٣٥ : ٧) ويعقوب" "الإسرائيل" (٣٢ : ٨ ؛ ٣٥ : ١٠) ؛ أو يقول في موضع واحد :أن إبراهيم طرد إسماعيل ابن الأمة(٢١:٩) وفي موضع آخر يجد :عند موت إبراهيم كان لا يزال إسماعيل معه (٢٥:٩) وغير ذلك .وإذا وجد في المصدر الواحد تكرار وغموض، فما هي فائدة التعديلات التي قام بها العلماء ؟ يجيب هوبفلد قائلًا : يوجد

هنا مصدران ، وصدق إلجن في حديثه بشأن "الألوهيمي القديم "و"الألوهيمي الأحدث . "استمر هوبفلد مواليًا للتمييز المذكور سابقًا الذى أطلقه إلجن لهذين المصدرين ، وواصل وقسم "المصدر الأساسى "إلى مصدرين.

٨ - المصادر الأربعة

وبعد مائة سنة من البحث والدراسة والمباحثات التى انقضت من عصر أستروك وحتى عصر هوبفلد، عاد مرة ثانية علم العهد القديم واقترب من نظرية المصادر، ولكن ماهى كان ثمار عمل تلك الدراسة لمدة مائة عام ؟مرة أخرى لم يتم البحث عن نظرية مصدرين فقط ، كانا أمام موسى كاتب التوراة، وزمنهما غير معروف والاختلافات بينهما على أساس أسماء الألوهيمية فحسب، بل أصبح الحديث بوضوح مطلق بشأن أربعة مصادر متميزة، يمثل المصدر التثنوى أحدها ونشر زمن الملك يوشيا ، أما الثلاثة الأخرى فهى "اليهوي "و "الألوهيمى أ "و"الألوهيمى ب"، ولم يحدد زمن تأليفهم بعد، غير أن الطابع الأدبى ظاهر ووحدتهم أكيدة .لكن لا تزال توجد شواهد عن تقدم وتدهور متنوع لعلم العهد القديم، غير أن هذه النتيجة بشأن المصادر الأربعة الأساسية باقية على ما هى عليه . فأسماؤها تتغير وحجمها يتبدل غير أن هذه النتيجة تبقى فى جوهرها بمثابة قاعدة ثابتة فى بحث العهد القديم حتى عصرنا.

وبدأ علم العهد القديم يكشف الغطاء لإنجاز الهدف الأكثر صعوبة ، بتوضيح زمن تأليف المصادر الثلاثة وبما أن زمن تأليف المصدر التثنوى قد اتضح بالفعل فقد منحت الفرصة مرة ثانية للتمسك به بمثابة أساس ثابت ، والانطلاق منه بواسطة المقارنة والمطابقة والبحث بشأن تشكل بقية المصادر وتحديد زمنها.

٩ - فاتكى وجيورج ورويس

وعلاوة على الاعتراف بأنه باستثناء سفر التثنية توجد مادة باقية فى التوراة للمصادر الثلاثة المتميزة التى ألفت فى عصور مختلفة .هذه الحقيقة لم يتم التعرف عليها فى علم العهد القديم من خلال مقارنة الروايات المزدوجة أو من خلال البحث الواقعى ، بل إن البينات المختلفة والبعيدة الواحدة عن الأخرى قد برزت أمام الدارسين المتعمقين الذين تحرروا من الآراء التقليدية وتعمقوا فى ثنايا الكتابات المقدسة .وتوصل هؤلاء الباحثون من خلال بحثهم التاريخى لمعرفة صدى الفترة التاريخية التى يتناولها كل مصدر من المصادر .

ولم يكن مصادفة أن توصل فى فترة واحدة ثلاثة من الباحثين إلى نفس الرأى رغم تباعد كل واحد منهم عن الآخر فى المكان والهدف، وهؤلاء الثلاثة هم "فاتكي"، و "جيورج"، و "رويس".

تخرج الاثنان الأولان من مدرسة هيجل، وتأثرت كتبهما بنظريته الفلسفية وأساليبه المنطقية ، ولم تترك أقوالهما فى حينهما الانطباع المناسب بسبب لغتهما المحلية . وكانت النتيجة الجوهرية لأقوالهما أن توراة الكهنة)المصدر الكهنوتي (تحتل مكانة هامة إلى حد كبير فى أسفار التوراة الخمسة ، وتتضمن فى داخلها قوانين القرابين ، وقواعد العبادة ، وترتيب الكهنة .يستنتج من هذا أنه من المستحيل أن تكون قد كتبت فى زمن موسى أو حتى زمن الهيكل الأول ، بل تم تأليفها زمن السبى البابلى، وربما بعد العودة من بابل .وتوصل رويس لنفس النتيجة قبل عام من ذلك .

١٠- منهج رويس فى النقد

وضع رويس اثنتى عشرة قاعدة لتلاميذه لخص فيها منهجه فى علم العهد القديم، وهى :

١ – عدم خلط القسم الروائى فى التوراة مع القسم القانونى فيها، فكل واحد منها يحتاج إلى بحث قائم بذاته.

٢ – كل واحد من هذين النمطين الأدبيين كان موجوداً عند اليهود قبل تدوينه فى كتاب . والروايات التى تشهد بالشريعة التى أمر بها موسى ، وأعلنت من جيل إلى جيل لا تبرهن على أن الأسفار الخمسة التى لدينا كانت موجودة فى ذلك الزمن. فوجود أنماط القوانين المعلنة من جيل إلى جيل أمر احتمالى عند جماعة ليس لها شريعة مكتوبة بالمرة.

٣ – الماسورا الروائية عند اليهود أقدم من الماسورا القانونية، كما أن الصياغة الأدبية للأولى أقدم من الصياغة الأدبية للثانية.

٤ – الوظيفة الأساسية للمؤرخ هى توضيح زمن تكون القوانين، وهذه المهمة تمكن من التعرف على الحقيقة الأكيدة، وللبدء فى هذا البحث من الضرورى للمؤرخ أن يستفيد من آراء أبناء العصر.

٥ – تتناقض الروايات التاريخية الواردة فى أسفار القضاة وصموئيل وبعض

روايات سفرى الملوك تناقضًا مطلقًا مع القوانين الموجودة فى التوراة ، وينتج عن ذلك أن هذه القوانين لم تكن معروفة زمن تدوين تلك الأسفار التاريخية المذكورة أنفًا ، وبالتأكيد لم تكن معروفة فى تلك العصور التى ترد روايات عنها فى تلك الأسفار.

٦ – الأنبياء الذين عاشوا فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد لم يعرفوا مطلقًا أى شئ بشأن توراة مكتوبة.

٧ – إرميا أول نبى يتحدث بشأن القوانين المكتوبة، وأقواله مرتبطة بسفر التثنية.

٨ – القسم الوسيط فى سفر التثنية هو نفسه "سفر الشريعة "الذى وجده الكهنة طبقًا لأقوالهم فى هيكل يهوه فى عصر الملك يوشياهو .وهذا القسم من القوانين أقدم أقسام القوانين المكتوبة فى التوراة.

٩ – يُقسم التاريخ العبرى القديم من وجهة نظر تاريخ الثقافة القومية إلى مرحلتين أساسيتين :قبل عصر يشياهو .وبعد عصر يوشياهو.

١٠- النبى حزقيال سابق على عملية الانتهاء من تحرير تعاليم العبادة وظهور القوانين المنظمة لسلطات الكهنة.

١١- سفر يشوع ليس أحدث من أسفار التوراة الخمسة وكما يحتمل فإنه يشبهها ظاهريًا.

١٢- موسى أبو الأنبياء ليس هو محرر أسفار التوراة الخمسة .

وعلى كل حال، قرر رويس أن القوانين بشأن العبادة وترتيب الكهنة ألفت بعد عصر حزقيال (القاعدة رقم ١٠) أى فى نهاية سبى بابل، أو فى بداية عصر العودة.

١١- جراف

وهاتان النتيجتان :أى النتيجة التى توصل إليها إلجن وهوبفلد بشأن تقسيم المصدر "الألوهيمى "إلى مصدرين ، والنتيجة الأخرى التى توصل إليها فاتكى وجورج ورويس بشأن وحدة واستقلال سفر القوانين الذى يبحث أمور الكهنة ونظام العبادة، ضمهما سويا لدهـ جراف أحد أهم الباحثين فى علم العهد القديم .وقرر جراف أن "المصدر الألوهيمى "الذى عرف عند أصحاب النظرية التكميلية باسم "المصدر الأساسي "بلا شك مركب من مصدرين متميزين، غير أن أحدهما يشمل فى وسطه

روايات موازية لروايات "المصدر اليهوي "وهو نفسه "الألوهيمي الأحدث "عند هوبفلد.

١٢- القسم الروائي والقسم القانوني في التوراة

يعتبر بحث جراف مهما وقد نال قبولًا داخل علم العهد القديم في عصرنا كقاعدة ثابتة .ولأن جراف كان تلميذًا لرويس فقد اتخذ أساسًا لأبحاثه سفر الأحكام الموجود في سفر التثنية الذي يعتبر زمن تأليفه معروفًا وواضحًا بدرجة كافية (القاعدة ٨)، وبواسطة مقابلة بقية الأسفار بسفر الأحكام أراد أن يصل إلى أي من الأسفار الأخرى الموجودة في العهد القديم عرفها صاحب سفر التثنية ، وأي منها لم يعرفه مطلقًا ؟ .

توصل جراف بعد بحث طويل وموازنة دقيقة إلى رأي عام هو :أن قوانين يهوه التي ذكرت في سفر الخروج(١٣: ٢٠- ٢٣: ٣٣: ٣٤) هي القوانين الوحيدة المعروفة لصاحب سفر التثنية . أما بقية القوانين الموجودة في "المصدر الألوهيمي "الكبير لم يعرفها ولم يلاحظها .وينجم عن هذا . أن القوانين في المصدر "الألوهيمي "متأخرة وتنسب إلى العصر البابلي أو عصر العودة .ومرة ثانية نعلم من ذلك . أنه من الضروري التمييز بين القسم الروائي والقسم القانوني في المصدر "الألوهيمي ". وربما القسم الأول سابق على سفرالتثنية (على كل حال . ليس هناك ما يمنع السبق) والقسم الثاني متأخر عنه.

١٣- نقد ريهم لنظرية جراف

وهذا التقسيم الذي وضعه جراف بين القسم الروائي والقسم التشريعي في مصدر واحد أثار ضده معارضات شديدة بين زملائه الباحثين . وقد تمكن "ريهم" المحافظ من الرد على هذه الاعتراضات .فأثبت "ريهم "بأدلة واضحة أن نفس الروايات التاريخية التي عزل منها جراف قوانين الكهانة، تسيطر عليها روح هذه القوانين وليس هناك أي احتمال للفصل بينهما .فالقوانين تكوّن سويًا مع الروايات وحدة واحدة، ولذلك لا يمكن قبول نظرية جراف الذي يؤخر زمن إعطاء تلك القوانين حتى عصر العودة.

١٤- مصدر توراة الكهنة

كانت أدلة "ريهم "وزملائه قوية وحاسمة بما فيه الكفاية ، حتى أن جراف رأى أنه من الواجب الالتزام بها والموافقة عليها .غير أن النتيجة التى تم الوصول إليها من هذه الأدلة كانت مختلفة كلية عن تلك التى قصد "ريهم "إلى استنتاجها ، وحقًا فإن القسم الروائي والقسم التشريعي- فى المصدر "الألوهيمى القديم "الذى عرف باسم "الأساسي "عند أصحاب النظرية التكميلية ، أصبح يطلق عليه "توراة الكهنة "فى شكل وحدة يمكن الفصل بينها، إذ أن القسم القانوني فيه قد ألف ، كما يبدو ، زمن السبى البابلى ، ويفهم تلقائيا أن الجزء الروائى لهذا المصدر قد ألف زمن السبى البابلى .

١٥- المصادر :اليهوى والألوهيمى وتوراة الكهنة

والنظرية التى وضعها هوبفلد بشأن المصادر الثلاثة للأسفار الخمسة- باستثناء سفر التثنية الذى هو مصدر قائم بذاته ، اتخذت حاليًا أساسًا جديدًا عند جراف ، حيث ساد الحديث عن المصادر "اليهوي"، و "الألوهيمي"و "توراة الكهنة . "وعلى أساس استنتاج دى – فته بأن سفر التثنية ألف فى عصر يوشياهو ، أقام جراف نظريته بأن "اليهوي "و "الألوهيمى "سابقان لعصر يوشياهو، وأن مصدر "توراة الكهنة "ألف بعدهما .

علاوة على ذلك فقد حُدد فى عصره وبواسطته مضمون وحجم كل مصدر من المصادر التى ركبت منها الأسفار الخمسة للتوراة -وتزيّد الباحثون ، فأضافوا وحذفوا وأدخلوا من عندهم -ويصف الجدول التالي تلك المصادر التى أسسها جراف مصدرًا مصدرًا، وكما هى مقبولة- كثيرًا أو قليلًا - فى العلم حاليًا، وذلك باستثناء المصدر التثنوى الذى بقى بمثابة وحدة واحدة.

غير أن هذه الرؤية بشأن تاريخ أسفار التوراة ونظام نشأتها الذى قُبل حاليًا بوصفه قانونا بعد اختلافات "ريهم – جراف"، ليس سوى ثمار ملاحظات نظرية داخل العهد القديم -وقد وجدنا من خلال مضمون وصورة السفر نفسه مكانه فى تاريخ الأدب ، وعلاقته بسفر التثنية الذى كان زمنه محددًا -غير أن التطابق المتبادل بين السفر والحياة لا يزال بعيدا عن البحث -فأدب العهد القديم كان يرفرف على نظم الدولة وثقافة الجماعة، وعلم العهد القديم لم يدركها بعد فى اتصالها بالموضوعات الاجتماعية والدينية لموضوع الحياة.

جدول للمصادر

اليهوي	الإلوهيمي	الكهنوتي
التكوين		
		١: ١-٣١
٢ : ٤ب -٢٥		٢: ١-٤أ
٣		
٤		
٥ : ٢٩		٥: ١-٢٨، ٣٠-٣٢
٦ : ١-٨		٦: ٩-٢٢
٧ : ١-٥، ٧-١٠، ١٢، ١٦ب، ١٧ب، ٢٢، ٢٣		٧: ٦، ١١، ١٣، ١٦أ، ١٧أ، ١٨-٢١، ٢٤
٨ : ٦-١٢ ٢٠-٢٢		٨: ١-٥، ١٣-١٩
٩ : ١٨-٢٧		٩: ١-١٧، ٢٨-٢٩
١٠: ٨-١٩ ٢١-٢٤-٣٠		١٠: ١-٧، ٢٠، ٢٢-٢٣، ٣١-٣٢،
١١: ١-٩، ٢٨-٣٠		١١: ١٠-٢٧، ٣١-٣٢
١٢: ١-٤أ، ٦-٢٠		١٢: ٤ب، ٥
١٣: ١-٥، ٧-١١أ، ١٣-١٨		١٣: ٦، ١١ب -١٢
		١٤
	١٥	
١٦: ١ب -٢، ٤-١٤		١٦: ١أ، ٣، ١٥-١٦
		١٧
١٨		
١٩ : ١-٢٨، ٣٠-٣٨		١٩: ٢٩
	٢٠	
٢١: ١-٢أ، ٣٣	٢١: ٦-٣٢، ٣٤	٢١: ٢ب - ٥
٢٢: ١٥-١٨، ٢٠-٢٤	٢٢: ١-١٤، ١٩	
		٢٣
٢٤		
٢٥: ١-٦، ١١ب، ١٨، ٢١-٢٦أ، ٢٧-٣٤	٢٥-٢٨أ، ٣٠	٢٥: ٧-١١أ، ١٢-١٧، ١٩، ٢٠، ٢٦ب
٢٦: ١-٣٣		٢٦: ٣٤-٣٥

٢٧: ١أ، ٢-٤أ، ٥-١٠، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨أ، ٢٠، ٢٤-٢٧، ٢٩-٣٢، ٣٥-٤٥.	٢٧: ١ب، ٤ب، ١١- ١٣، ١٦، ١٨ب، ١٩، ٢١- ٢٣، ٢٨، ٣٣- ٣٤	
٢٨: ١٠، ١٣- ١٦، ١٩.	٢٨: ١١، ١٢، ١٨، ٢٠- ٢٢.	٢٨: ١- ٩
٢٩: ٢-٤، ٣١- ٣٥	٢٩: ١، ١٥- ٢٣	٢٩: ٢٤، ٢٨ب، ٢٩
٣٠: ٣ب-٥، ٧، ٩-١٦، ٢٠ب، ٢١، ٢٤-٤٣	٣٠: ١-٣أ، ٦، ٨، ١٧- ٢٠أ، ٢٢أ، ٢٣	٣٠: ٢٢أ
٣١: ١، ٣، ٢٥، ٢٧، ٤٦، ٤٨، ٥١-٥٣أ	٣١: ٢، ٤-١٧، ١٩-٢٤، ٢٦، ٢٨-٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٣ب	٣١: ١٨
٣٢: ٤-١٤أ، ٢٣، ٢٥-٣٣	٣٢: ١-٣، ١٤ب- ٢٢، ٢٤	
٣٣: ١-١٠، ١١ب-١٧	٣٣: ١١أ، ١٨ب-٢٠ ٣٤	٣٣: ١٨أ
٣٥: ١٩، ٢١، ٢٢	٣٥: ١-٨، ١٦- ١٨، ٢٠	٣٥: ٩-١٥، ٢٣-٢٩
	٣٦: ٣١-٣٩	٣٦: ١-٣٠، ٤٠-٤٣
٣٧: ١١-١٣أ، ١٤ب-١٧، ١٩-٢١، ٢٢-٢٧، ٣١-٣٥ ٣٨	٣٧: ٢ب-١٠، ١٣ب، ١٤أ، ١٨، ٢٢، ٢٨-٣٠، ٣٦	٣٧: ١-٢أ،
٣٩: ١-٥، ٧ب- ٢٣.	٣٩: ٦، ٧أ	
٤٠: ١ب، ٣ب، ٥ب	٤٠: ١أ-٣أ، ٤، ٥أ، ٦-٢٣	

<table dir="rtl">
<tr><td></td><td>٤١: ١-٤٥، ٤٧- ٥٧</td><td>٤١: ٤٦</td></tr>
<tr><td>٤٢: ٢٧، ٢٨، ٣٨</td><td>٤٢: ١-٢٦، ٢٩-٣٧</td><td></td></tr>
<tr><td>٤٣: ١-١٤أ، ١٥-٢٣أ،
٢٤-٣٤</td><td>٤٣: ١٤ب، ٢٣ب</td><td></td></tr>
<tr><td>٤٤</td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>٤٥: ١أ، ٤ب، ١٣، ١٤،
٢٨</td><td>٤٥: ١ب: ٤أ، ٥-١٢،
١٥-٢٧</td><td></td></tr>
<tr><td>٤٦: ١أ، ٢٨-٣٤</td><td>٤٦: ١ب-٥أ</td><td>٤٦: ٥ب - ٢٧</td></tr>
<tr><td>٤٧: ١-٤، ٦ب، ١٣، ٢٧أ،
٢٩-٣١</td><td>٤٧: ١٢</td><td>٤٧: ٥، ٦أ، ٧-١١، ٢٧ب،
٢٨</td></tr>
<tr><td></td><td>٤٨: ١، ٢، ٨-٢٢</td><td>٤٨: ٣-٧</td></tr>
<tr><td>٤٩: ١ب -٢٧</td><td></td><td>٤٩: ١أ، ٢٨-٣٣</td></tr>
<tr><td>٥٠: ١-١١، ١٤</td><td>٥٠: ١٥-٢٦</td><td>٥٠: ١٢-١٣</td></tr>
<tr><td>الخروج</td><td>الخروج</td><td>الخروج</td></tr>
<tr><td>١: ٦، ٨-١٠، ٢٠ب، ٢٢</td><td>١: ١١-١٢، ١٥-٢٠أ،
٢١</td><td>١: ١-٥، ٧، ١٧، ١٤</td></tr>
<tr><td>٢: ١٠-٢٣أ</td><td>٢: ١-١٠</td><td>٢: ٢٣ب- ٢٥</td></tr>
<tr><td>٣: ١-٤أ، ٥، ٧، ٨، ١٦-٢٠</td><td>٣: ٤ب، ٦، ٩-١٥،
٢١، ٢٢</td><td></td></tr>
<tr><td></td><td>٤</td><td></td></tr>
<tr><td>٥</td><td></td><td></td></tr>
<tr><td>٦: ١</td><td></td><td>٦: ٢-٣٠</td></tr>
<tr><td>٧: ١٤-١٨، ٢٥-٢٩</td><td>٧: ٢٠ب، ٢١أ، ٢٤</td><td>٧: ١-١٣، ١٩-٢٠أ،
٢١ب-٢٣</td></tr>
</table>

٨: ٤-١١أ، ١٦-٢٥		٨: ١-٣، ١١ب-١٥
٩: ١-٧، ١٣-١٩	٩: ٢٠-٣٥	٩: ٨-١٢
١٠: ١-١٩، ٢٨، ٢٩	١٠: ٢٠-٢٧	
١١: ٤-٨	١١: ١-٣	١١: ٩-١٠
١٢: ٢١-٢٧، ٢٩، ٣٠، ٤٢	١٢: ٣١-٣٦، ٣٧ب-٣٩	١٢: ١-٢٠، ٢٨، ٣٧أ، ٤٠،
		٤١، ٤٣-٥١
١٣: ٢١-٢٢	١٣: ١٧-١٩	١٣: ١-٢، ٢٠
١٤: ٥، ١٠أ، ١١-١٤، ١٩ب	١٤: ٣-٤أ، ٦-٨أ،	١٤: ١-٢، ٤ب، ٨ب، ٩،
٢٠أ، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٧،	١٧-١٩أ، ٢٠ب،	١٠ب، ١٥
٣٠-٣١	٢٢-٢٣، ٢٦، ٢٨-٢٩	
	١٥: ٢٢-٢٧	
١٦: ٤، ٥، ١٣ب-١٦أ،		١٦: ١-٣، ٦-١٣أ، ١٦ب-
١٨ب-٢١، ٣٥ب		١٨أ
	١٧: ١ب-١٦	١٧: ١أ
١٨: ١-١٢	١٨: ١٣-٢٧	
١٩: ٢ب-٩، ٢٠-٢٥	١٩: ١٠-١٩	١٩: ١-٢أ
٢٠-٢٣		
٢٤: ١-١١، ٣٢	٢٤: ١٢-١٨	
		٢٥-٣٠
	٣١: ١٨	٣١: ١-١٧
٣٢		
٣٣: ١-٣أ، ١٢، ١٤	٣٣: ٣ب-١١، ١٧،	
	١٥-٢٣	
	٣٤: ١-٢٨	٣٤: ٢٩-٣٥
		٣٥-٤٠

اللاويين العدد	العدد	اللاويين ١-٢٧ العدد
		٩- ١
	٣٦-٢٩ : ١٠	
	١٢-١١	
	، ٢٤-٢٢، ٢٠-ب١٧:١٣	٢٦، ٢٥، ٢١، أ١٧-١ : ١٣
	٣٣ - ٣٢ب، ٣١-٢٧	٣٢أ ،
	،٢٥-٨، ٤- ٣:١٤	،١٠ ،٧-٥ ،٢ ،١ : ١٤
	٤٥-٣٩ .٣٣-٣٠	٣٨-٣٤ ، ٢٩-٢٦
		١٥
	، ١٥-١٢، ٧-١ : ١٦	٣٥، ٢٢- ١٦، ١١-٨ : ١٦
	٣٤-٢٣	
		١٩-١٧
١٤-١١ :٢٠		٢٩-٢٢، ١٣-١ :٢٠
٣١-٢١ : ٢١	٣٥-٣٢، ٩-١ : ٢١	١٠-١١ :٢١
	٢٤-٢٣	
	٥-١:٢٥	١٩-٦ : ٢٥
		٣١-٢٦
	،٢٠،٢٧، ١٥-١:٣٢	٣٣ ١٩١٨-١٦ :٣٢
	٤٢-٣٤	
		٣٦-٣٣

القسم الثانى

النقد العلمى

الفصل التاسع

فلهاوزن ومدرسته

١- ثلاث فترات في تاريخ الطقوس

لقد أتم يوليوس فلهاوزن - زعيم جماعة الباحثين في عصرنا - بقدرة فائقة أسلوب البحث التاريخي فبدأ بقانون التطور التدريجي الثابت والسائد في كل المناهج التاريخية .وقد كان واضحًا له من الأساس، بأنه من المستحيل للحياة الاجتماعية والدينية للأمة أن تكون متجمدة وثابتة بدون تغير أيًا كان.

ومن المستحيل أن يكون الانطباع عن تلك التغييرات محددًا داخل قوانين الفترة .والمطلوب أن تكون العين يقظة والأذن صاغية، من أجل توضيح وفحص وثائق كل نص من النصوص المقدسة .وقد اختار لمجال هذا البحث بداية الحياة الدينية ونظم الطقوس .وتلك الحياة أفسحت لـ :دى - فته الوصول لكشف زمن تأليف سفر التثنية، ومن هذا المجال نفسه وضع فلهاوزن ثقته في أن يستنتج أمورا بشأن التطور الأدبي للجماعة.

أي الأماكن عبد فيه بنو إسرائيل يهوه بناءً على شواهد النصوص المقدسة؟ . إن الروايات المتوافرة معنا منذ عصر القضاة وعصر صموئيل لا تحدد لنا مطلقًا موضعا محددا معترفا به، بل فقط هناك العبادة المطلقة .وعلى العكس، ليس هناك مدينة كبرى في فلسطين إلا وبها مذبح قائم، وقد قرب بنو إسرائيل القرابين ليهوه في : الجلجال وشيلوه وعفرة والرامة والنوب وبيت إيل .كما كانت العبادة مباحة خارج المدن الكبرى، عندما يحين الأمر ، يحدث في أي موضع وأي وقت .ولما انتهت الحرب مع الفلسطينيين وتعب الشعب بعد أن ضرب "من مخماس إلى إيلون "وقال شاؤول "دحرجوا إلى الآن حجرًا كبيرًا ..قدموا إلى كل واحد ثوره وكل واحد شاته واذبحوا هاهنا وكلوا ..وبنى شاؤول مذبحًا ليهوه " (صموئيل الأول ١٤: ٣٣-٣٥) .

وحقًا لم تكن كل المرتفعات متساوية في قيمتها، فالأكثر قدمًا والموجودة في المدن الكبرى المأهولة بأعداد كبيرة من السكان هي الأكثر شهرة، غير أن العبادة لم تكن مرتبطة بموضع ما .فإن توقف المكان المرتفع من أن يستخدم كمركز وانتقلت العبادة إلى مكان مرتفع آخر، فإن تغيير المكان لا يؤثر مطلقًا على الحياة الدينية، ولم تتغير نظم العبادة على هذا الأساس .فهاهي شيلوه قد استمرت بدرجة عالية، واشتهر كاهن شيلوه في البلاد واندفع الشعب إليها، غير أنه عندما سقطت شيلوه، انتقل كاهنها إلى نوب ولم يمس ذلك مطلقًا جوهر الديانة .فتغيير المكان لم يؤد إلى إثارة روحانية أيًا كانت .فعبادة يهوه كانت مطلقة وكل الأرض موضعها، وطبقًا لرأي النص

المقدس لم تكن عبادة إسرائيل في الأماكن المرتفعة فساداً ولا توجد أية إشارة لوجود قانون يحدد عبادة يهوه في أي موضع كان حتى أن صاحب الرواية في سفر الملوك الأول لم يعتبر مطلقاً عبادة الأماكن المرتفعة إثما وعلى العكس من ذلك يبرر بإسهاب الحكم ويوضح : "إلا أن الشعب كانوا يذبحون في المرتفعات لأنه لم يبن بيت لاسم يهوه إلى تلك الأيام" (الملوك الأول٣ :٢) ويعني ذلك أنه بعد أن بني الهيكل في عصر سليمان تركوا المرتفعات الموجودة في أنحاء المملكة وصعدوا إلى أورشليم، غير أنه قبل ذلك لم يكن هناك قانون معروف بتحديد العبادة في مكان واحد .

وبالفعل قد تركزت الملكية والحياة السياسية في أورشليم، ولذلك تدفق الجمهور إلى هذا الهيكل، إلى بيت يهوه المبارك .إلا أن العبادة في الأماكن المرتفعة لم تتوقف أيضاً . فالشعب ذبح ذبائحه في مدن بئر سبع والجلجال وبيت إيل ودان وشكيم والسامرة وفنوئيل والمصفاة، وذلك علانية وبترخيص حتى بعد أن شيد "بيت يهوه "في أورشليم ، ولم يُحَرِّمْ أحد من غيوري يهوه الحرب على ذلك بما في ذلك إلياهو وإليشع. وعلى العكس من ذلك، فإن إلياهو بنى مذبحاً ليهوه على جبل الكرمل (الملوك الأول١٨:٣٢) ، وذبح إليشع زوج بقر في الحقل حينما كان يحرث (١٩:٢١) . وإذا كان إلياهو وإليشع قد قربا قرابين في أي موضع ، فإن هذا يعني أن القانون الذي يُحَرِّم تلك القرابين – أو أن هذا القانون له ضرورة أخلاقية تعارض ذلك – لم يكن قد نشأ بعد في بني إسرائيل في تلك العصور.

غير أنه قد سادت الظلمة سماء السامرة .فاندفع العدو من أشور ووقع فزعه من بعيد وظهر داخل بني إسرائيل الأنبياء الكبار، وبدأت معهم فترة جديدة في تاريخ الديانة .وكان الشعب لا يزال يتوجه إلى بيت إيل ويأتي إلى الجلجال وينتقل إلى بئر سبع، غير أن الأنبياء سخروا من هذا العار وعبروا عن ذلك للشعب وتنبأوا شرا لكل المدن التي تبدو في نظر الشعب مقدسة ومرغوبة ليهوه .لكن من الخطأ تصور أن قصد كلام الأنبياء كان ضد المرتفعات ذاتها .فلم يشنوا حرباً ضد العبادة أو على الرؤية المألوفة بشأن العبادة .فالشعب يعتقد في براءته وبمصعداته وتقدماته وكثرة أناشيده وغناء قيثاره، ينجز واجباته لإلهه، ولذلك هدأ في صهيون وآمنَ في جبل السامرة ، وتلك هي الرؤية التي وجه النبي ضدها سهامه اللاذعة ويعلن باسم يهوه ذاته لارتباك قلب الشعب، لأني "بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم "، وواحدة هي إذا عيدتم أعيادكم سواء في الجلجال أو في أورشليم، فالخطيئة ليست مرتبطة بالمكان

بل فى نظام العبادة ، فالرب لا يطلب من شعبه "محرقات وتقدمات "ولكن يطلب منه "ليجر الحق كالمياه والبر كنهر دائم" (عاموس ٥ : ٢١-٢٤) . ولم يتخل الشعب بعد أن سمع كلام أنبيائه عن طريقه ، واستمر فى تقريب قرابينه وعَيّدَ أعياده فى الأماكن المحببة إليه منذ القدم.

وسقطت السامرة وأبيدت المرتفعات المقدسة المنتشرة فى مدن إسرائيل ، وتحددت حياة الجماعة فى يهوذا الصغيرة .ولم تستطع فعلاً فى هذه المنطقة من الأرض أن تنافس المرتفعات الصغيرة "هيكل يهوه "المبجل والمحترم فى أورشليم العاصمة ، ولذلك فضل الشعب أورشليم على بقية المدن ، غير أنه حتى ذلك الوقت لم تتوقف العبادة كلية فى المرتفعات .ولم ينكر إشعيا مطلقاً أن عبادة الإله فى أورشليم فقط وأن العبادة فى بقية المدن ممنوعة .وكان تأثير الأنبياء قليلا .

ولم يُمنح الشعب قوة لأن يبطل نهائيا العبادة القائمة، غير أن أقوال الأنبياء قد أبطلت بشكل ما من الأشكال، وهذا أيضاً لم يكن ممكناً .وكانت النتيجة الوحيدة والمباشرة لهذه المواجهة الدائمة تكمن فى الإصلاح، هذا يعنى تجديد طرق العبادة وإصلاح ترميم الهيكل .ولكى يظهر أمر هذا الإصلاح إلى الوجود .وتقدم له الأسس، كان من الضرورى قبل أى شئ ترك المقدسات فى كل المملكة، والتى وجدت لها حصناً سهلاً من قبل قادة الأمم الأجنبية المجاورة .وذلك بهدف تنظيم وتركيز العبادة فى مدينة مركزية واحدة .

ويفهم من ذلك ، أن مثل هذه المدينة لم تكن حبرون أو بيت إيل أو بيت شمش، التى كانت تمثل الأماكن المقدسة فى يهوذا ، بل أورشليم العاصمة، المدينة التى استقر فيها داود ، وبنى فيها سليمان هيكل يهوه المتألق فى روعة .وهكذا حدث الإصلاح الكبير فى عصر يوشياهو (تقريباً عام ٦٢٢ق.م) ، أى زمن إعلان القانون الذى يمنع العبادة خارج أسوار الهيكل فى أورشليم.

ولكن ما مدى قوة "المرتفعات العالية "و "الأشجار المزدهرة . "فحتى قبل موت يوشياهو كانت لا تزال هذه المرتفعات تظهر مرة ثانية .ومعلمو الشعب يعلمون بشأن القانون الذى يمنع العبادة خارج أورشليم ويحذرون الشعب من ذلك، غير أن الشعب لم يستطع التخلى عن طرقه المقدسة فى نظره منذ القدم .ويقف إرميا النبى مرة ثانية ويعلن : "لأنه على عدد مدنك صارت آلهتك يا يهوذا (إرميا٢:٢٨، ١١:١٣) .

وعلى كل حال ترك الشعب في النهاية تلك الأماكن المحببة إليه كنتيجة لتركه الأرض كلها .

وحدث سبى يهوذا إلى بابل، وولد جيل جديد في الغربة، وقد كان بعيداً بالفعل عن العادات الثابتة لجيل السبي وبمرور اليوبيل الذهبي (بمرور خمسين سنة)، أعطيت هذه الجماعة الصغيرة الفرصة لترك السبى والعودة إلى فلسطين وكانت تتجه جميعها نحو أورشليم فبدأوا ببناء الهيكل، ولم يخطر على بال أحد فكرة البحث عن الأماكن المقدسة في بئر سبع وبيت إيل وصارت وصية بيت واحد ويهوه واحد ، هي القضية المفهومة من ذلك الحين . والتي وضعت الأساس للرؤية الروحانية والتاريخية لهذا الجيل.

تلك هي الفترات الثلاث التي أحصاها فلهاوزن لتاريخ الديانة في إسرائيل في عصر العهد القديم والحدثان اللذان يفصلان بين تلك الفترات الثلاث هما :ظهور الأنبياء الكبار والسبى البابلي ولم تنشأ مطلقاً في جماعة بني إسرائيل وحتى ظهور الأنبياء الفكرة بشأن تمركز العبادة في مكان واحد ، وكانت كل البلاد موضعاً لها. وبتأثير من الأنبياء ظهر الطلب لتركيز العبادة في أورشليم، غير أن عامة الشعب لم يستطع الانتصار على سلوكياته الثابتة، واستمر يذبح في الأماكن المرتفعة خارج أورشليم، رغم حسرة الأنبياء وزعماء بني إسرائيل وبعد العودة من بابل، أي زمن الهيكل الثاني ، لم توجد الأماكن المرتفعة مطلقاً، وعبد كل الشعب إلهه في أورشليم، في هيكل بيت يهوه، كما لو لم تكن الأماكن المرتفعة قائمة منذ الأزل.

٢ – تاريخ القوانين : سفر العهد، سفر التثنية ، توراة الكهنة

من وجهة النظر السابقة توجه بعد ذلك فلهاوزن لفحص الأسفار القانونية الموجودة في التوراة، كما رتب جراف عصورهم وفي ضوء الأسس التي قامت بشأن عصور تطور الديانة، ظهر له أيضاً طبقات أدبية تلائم هذه المجالات، طبقة طبقة لكل فترة في تاريخ الديانة.

وأكثر أسفار القوانين قدَماً "سفر العهد "الموجود في المصدر اليهوي، الذي يقول "مذبحا من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك ..في كل الأماكن التي فيها اصنع لاسمي ذكراً آتي إليك وأباركك " (الخروج ٢٠ :٢١) فالنص لا يقصد هنا مذبح في مسكن، لأن هذا المذبح كان مصنوعاً من "خشب السنط "

(١:٢٧)، كما أن النص لا يتحدث أيضًا عن الهيكل فى أورشليم حيث كانت هناك درجات، ويقال صراحة "فى كل الأماكن" : إن وجدت تل تراب فيكون هذا لك مذبحًا ، تقرب هناك ذبائحك ومحرقاتك ، مذبح يوجد ليلة ويباد ليلة.

وتتناسب هذا القانون الروايات بشأن الآباء الموجودة فى المصدر اليهوى والمصدر الألوهيمي فابراهيم بني مذبحًا فى شكيم وفى حبرون، وبنى إسحاق مذبحه فى بئر سبع ، وأقام يعقوب نصبًا حجرًا فى بيت إيل، لأنه كان من الممكن عبادة يهوه فى أى موضع والفكرة بشأن تركيز العبادة فى مكان واحد لم تكن قد ظهرت بعد. والكل ـ كما رأينا ـ فى نُظم الحياة فى زمن الفترة الأولى السابقة لظهور الأنبياء.

غير أن الأوامر فى سفر التثنية مختلفة كلية فالقوانين بشأن نُظُم العبادة ليهوه تبدأ هنا بقضية المكان، كما لو كانت هذه القضية هى القضية المهمة القائمة فى مركز عالم الطقوس فى ذلك العصر فالقانون يكرر ويعيد ثم يقرر بشدة على الأماكن المقدسة التى عبد فيها الشعب إلهه بعيدًا عن "المكان الذى يختار يهوه إلهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه : احترز من أن تصعد محرقاتك فى كل مكان تراه بل فى المكان... (التثنية١٢: ٤ -١٤) .

وبيّن تلك التحذيرات والتحريمات نسمع بتفصيل الكلمات "لا تعملوا كل حسب ما نحن عاملون هنا اليوم" . (٨:١٢) فلقد نرى الشعب وهو يعبد فى الأماكن المرتفعة ويقرب قرابينه "على الجبال المرتفعة وعلى الجبعة وتحت كل شجرة مزدهرة". كما عمل أباؤه وآباء آبائهم منذ القدم ، وطبقًا للقانون المسلم به لدى الجماعة وفى مقابل ذلك يثور ويحارب المشرع الذى جاء لإبادة الثابت ويقتلع الطرق المتبعة ويغير وجه العصر وكان العصر عصر يوشياهو وهذا القانون هو من ثمار الأنبياء وجاء لتجديد الإصلاح الكبير جذريًا ، ويوجهها توجيهًا جديدًا داخل الحياة الدينية للأمة .وتختلف وجهة نظر الطقوس السائدة فى المصدر الثالث، أى توراة الكهنة عن تلك الرؤية فى المصدرين اليهوى والتثنوى سويًا .

فتوراة الكهنة لا تأمر بتمركز العبادة كما أنها لا تذكر شيئًا بشأن العبادة فى الأماكن المرتفعة خارج الهيكل الرئيسى ، كما لو كان ذلك غير قائم منذ الأزل ، ولا توجد ضرورة للحكم عليهما . فتوراة الكهنة ترى جماعة بنى إسرائيل تتجول فى الصحراء وتنتقل الخيمة أ ثناء المسيرة "لأن سحابة الرب كانت على المسكن نهارًا وكانت فيها نار ليلاً أمام عيون كل بيت إسرائيل فى جميع رحلاتهم"

(الخروج ٣٨: ٤٠) ، وكان الرجل عندما يقرب قربانه ليهوه فيأتى به أمام مدخل خيمة الاجتماع . وأمام خيمة الاجتماع تجتمع كل الجماعة ، وهناك يتكهن الكاهن الأكبر، وهناك يجتمع يهوه مع موسى فهذا الهدف الذى يصبو إليه مشروع توراة الكهنة موجود هنا بالفعل بمثابة وضع قديم جصفة أمر قومى منذ ذلك الوقت، ومن قبل ذلك، ولا توجد ضرورة للدفاع مطلقًا، ونهاية العمل فى العقيدة بدايتها .ففى البداية كان الطموح إلى هذه المركزية ، وبعد ذلك بمثابة نتيجة لها فحدثت المركزية وصارت حقيقة واقعية وسلوكًا مطبقا، حتى أنه محا من قلب تابعيه أى ذكر لطرق العبادة الأخرى، باستثناء أسوار البيت المقدس والمسلم به .لذلك يرى فلهاوزن أن توراة الكهنة مصدر متأخر عن مصدر التثنية ويسمع فيها صدى صوت الفترة الثالثة فى تاريخ الطقوس ، أى فترة العودة والهيكل الثانى .

وهذه الفترات الثلاث الأساسية التى كشفها فلهاوزن فى تاريخ تطور رؤية مكان العبادة، كشفت أيضًا بقية القضايا المرتبطة بالحياة الدينية، وعلى غرار هذه الفترات فى الحياة الدينية، يظهر أيضًا فى أدب القوانين ويعبر فلهاوزن بحسه التاريخى عن القرابين والأعياد والكهانة وهبة الكهانة، ويكشف لنا تطور كل واحد من هذه الأفكار الدينية ويبرز فيها التجديدات التى طرأت فى تطورها بواسطة الأنبياء الكبار فى نهاية تاريخ السامرة ، وبواسطة السبى البابلي ويبرز خلال هذه الأرضية للحياة الدينية المتغيرة وجود ثلاث طبقات لإعطاء القوانين أقدمها (سفر العهد) والذى فى جوهره طبقًا لرأى فلهاوزن يمثل مجموع السلوك فى الحياة وكان معترفا به ومنتشرًا شفويًا ، وهو ثمار نتاج بنى إسرائيل القديم، الذى لم يسمع فيه بعد أقوال غضب الأنبياء الكبار ولم يعرف المطالب الأخلاقية التى نشأت قبله .

أما الطبقة الثانية (مجموعة القوانين فى سفر التثنية) فهى أول مجموعة قوانين قضائية لجماعة بنى إسرائيل ، وفكرتها ونشأتها كانت فى يهوذا زمن سقوط السامرة وبعدها بتأثير من أقوال الأنبياء عندما اتجهوا لتجديد وجه الجماعة وإصلاح مجتمع بنى إسرائيل على أساس مطالب يهوه إله العدل .

أما قمة أدب الأسفار الخمسة فيمثل الطبقة القانونية الثالثة، فتلك القوانين والأحكام التى سردت كروايات تاريخية زمن الهيكل الثانى مع عودة الذين سبوا إلى بابل لتأسيس المملكة على الأسس القديمة للهيكل الأول .فعندما تغلغل الذين سبوا فى عصر عزرا داخل ظلمة الماضى، وعندما حاولوا أن ينتجوا لأنفسهم صورة من الحياة

الدينية والطقوس فى العصور القديمة، ظهرت لهم مظاهر صور لحياتهم هم :مثل بيت يهوه القائم شامخصا فى جبل يهوه فى أورشليم، وجماعة الكهنة المستمرة للخدمة فى الهيكل .وكانوا هم أنفسهم زعماء الجماعة ومعلميها، فالخوف على قداسة الهيكل والكهنة والذى كان سائدا وسط تلك الجماعة الجديدة التى تسللت للعودة إلى أورشليم ، أظهر بزوغ نور تنظيمات لتلك الحياة وتسلل فى أعمق الأعماق عبر طبقات الأجيال إلى الماضى البعيد .وأثرت منذ ذلك الحين على الأحداث التاريخية القديمة، فانبثق لهم الهيكل وخيمة الاجتماع و "جماعة الجمهور". وكل ذلك على أساس صيغة الهيكل الثانى .

أما الطبقة القانونية الأولى ـ سفر العهد ـ فقد أدخلت داخل المصدرين اليهوى والالوهيمى حيث إن اسم الألوهية مختلف فيهما، وأنهما قريبان فى الزمن والهدف، وأدخلت الثانية داخل سفر التثنية .والثالثة داخل توراة الكهنة، وذلك بعد أن جُمعت وامتزجت سوياً مع القسم الروائى لكل مصدر من المصادر.

وهكذا لاحظ فلهاوزن أسفار العهد القديم من وجهة نظر تطور حياة جماعة بنى إسرائيل وثقافتهم، وتشعبت تدريجيا بمرور العصور .وأسفار التوراة الخمسة الأولى فى ترتيب أسفار العهد القديم تبحث العصور الأولى للأمة ، ثم تأجل تأليفها للوقت المناسب فى العصور المتأخرة التى لم تذكرهم الأسفار الخمسة ، ووضعت القاعدة :

"إن أساس مسيرة التاريخ القديم التى تروى عنها الأسفار الخمسة لا تعتمد إلا على دعم الأسفار الخمسة" (المقدمة الطبعة الخامسة –ص٤) .

٣ – مدرسة فلهاوزن

وأسست نظرية جراف – فلهاوزن – جيلاً كاملاً من الباحثين والمؤسسين ، الذين اجتمعوا لتأييدها ومتابعتها .وتوسيعها ، وتطويرها .فالذين جاءوا بعدهما نشروا بقوتهم ؛ وبقوة قوتهم فصلوا علم العهد القديم لموضوعات بحث متنوعة ، وسار كل واحد منهم وارتقع إلى درجة نظرية علمية مميزة قائمة بذاتها .فالهولندى أبراهام كوينن الذى كان مشاركًا فى نتاج جراف ـ فلهاوزن فى إدراك توراة الكهنة، نصب نفسه داخل السلسلة الأولى لمعارضة المدرسة الجديدة .وبقدرة فائقة وبوضوح عقلى صقل أدوات بحث العهد القديم وميز بين الشك واليقين، وطور أسلوب النقد ورفعه إلى درجة نظرية عامة لها أساليب ثابتة ومبادئ أساسية.

وكما كان كوينن بالنسبة للهولنديين وفلهاوزن بالنسبة للألمان ، كان وليام روبرتسون سميث بالنسبة للإنجليز، فقد حارب معرضاً نفسه للخطر ضد قدسية قاعدة التطور الحديث في تاريخ الديانة ومحاضراته الأثنتا عشرة عن تاريخ الكتابات المقدسة أثارت ثورة روحانية بين باحثي الكنيسة في إنجلترا فهو في كتابه "ديانة الساميين". وبعده رودولف سميند وقبلهما دوهم في بحثه عن الأنبياء - يعتبرون من أوائل أعضاء تلك المدرسة الذين وضعوا حجر الأساس لتاريخ ديانة بني إسرائيل في عصر العهد القديم.

وقد وضع كل من الباحث الإنجليزي شموئيل رولس درايفر والباحث الهولندي ج فيلد بوير، وهما من مدرسة فلهاوزن الأساس لتاريخ أدب العهد القديم كنظرية علمية قائمة بذاتها .وأما برنهارد شتاده وهرمان جونه فقد توجها لتأسيس صورة تاريخية لبني إسرائيل في عصر العهد القديم، طبقًا لأسلوب جراف - فلهاوزن.

ولا شك لم يعتنق كل باحثي العهد القديم العلميين في ذلك العصر هذه النظرية فظهر خمسة معارضون لها وهم ريهم، شتراك ، وبيلمان وأخرون .كما لم يقبل كيتل وكونج كل أقوالها، وأصدر كلوتسرمان حولها شكوكًا وتزايدت الخلافات فالدكتور هوفمان خرج ليقوض افتراضاتها الأساسية، غير أن آراء العديد منهم كانت موجهة ضد تفاصيل الأحداث، والبعض اعترف لها بالفضل، بعد أن أدخلوا عليها تعديلاتهم، وتم قبول هذه النظرية كقاعدة في عناصرها الأساسية المحددة لأقسام التوراة ونظم تأليفها ، وهي التي سادت في عالم العهد القديم منذ الثمانينيات وما بعدها.

القسم الثانى

النقد العلمى

الفصل العاشر

تأثير الحفريات

١ - مدرسة فلهاوزن وقضية بداية التاريخ

استمر فلهاوزن وتلاميذه في كشف معالم تطور جماعة بني إسرائيل خلال عصرها الأدبي، وبخاصة مع اكتشاف لفائف النقوش وأقوال السجلات، وتم التعرف من خلال الكتابات عن كل جيل . وتحديد الأسس الحقيقية الواقعية للعصر نفسه، وهكذا اختفى لديهم الخيال الذي حدد موقفهم للعصور الأولى السابقة على الكتابات الموجودة لدينا .فتلك الفترة "السابقة على الأدب "اختفت من رؤاهم وأصبحت كما لو لم تكن .وأشار ب .شتاده ـ تلميذ فلهاوزن المتميز ، الذي ظهر في أعقاب معلمه، وعلى أساس نظريته لإزاحة قناع تاريخ جماعة بني إسرائيل ـ إلى قاعدة :أن تاريخ الشعب يبدأ في نفس اللحظة التي بدأ فيها الشعب نفسه يصنع التاريخ ، ويقول :إن تاريخ الجماعة العبرية يبدأ من يوم تمليك ملك في إسرائيل .ويرى أن أسباط بني إسرائيل استقروا في أرض كنعان بدون أي رابطة بينهم وبدون المشاركة في الثقافة ، ويختلفون عن بقية شعوب بني عابر الذين تجولوا حولهم ، وعلى هذا الأساس فقد استوعبوا داخل أرض كنعان وداخل ثقافة تلك الأرض المأهولة بالسكان وآمنوا بيهوه إلههم .ولم يرتبط سبط بسبط آخر، كما أن بيوت الآباء داخل كل سبط ليست مندمجة معًا سوى للضرورة المؤقتة فحسب .ولم تنتظمهم ماسورا واحدة ، ولم يكن في فكرهم ذكريات لمصير واحد ، ولم يتواجدوا في مصر ، ولم يقفوا على جبل سيناء .بل قدموا من عبر الأردن وتوغلوا في كنعان .وكان إتمام احتلال كنعان أحد الأسباب الرئيسية لاتحادهم. وعندما عرقل جيرانهم تقدمهم ، اضطرت أسباط بني إسرائيل إلى الانتقال من الدفاع إلى الصراع ، وقالوا :ننصب علينا ملكًا يخرج على جيوشنا، وقضية الملك هذه ، هي التي قلبت هذه الأسباط المبعثرة إلى مملكة وشعب .ويرد إلينا صدى قديم لأول محاولة لتوحيد بعض الأسباط في أسماء باراك ودبورا بشأن إرث فيشون .وتحكي أنشودة دبورا عن هذا الحدث الأول في تاريخ بني إسرائيل .والتي تمثل أقدم وثيقة للأدب الإسرائيلي.

وخرج لمساعدة يهوه ضد الجبابرة سبعة أسباط فقط من أسباط إسرائيل، حتى إن هذه الأسباط تشتتت مرة ثانية مع انتهاء الحرب .فلم تنجح التجربة .حيث كانت الذرية قبل الجمل (الناقة قبل الجمل) . وخرجت المحاولة الثانية من بيت منسي .ففي عصر يربعال من عفرة رفعت الراية من جديد ضد جنود مدين، ويموت ابنه أنزلت مرة ثانية .ويعد الإصحاح التاسع من سفر القضاة وثيقة قديمة وحقيقية لصدى هذه

الحادثة .وبرزت للمرة الثالثة حركة ملك من بيت بنيامين ، وذلك زمن تغلغل أسباط عمون لجلعاد ، وزاد الفلسطينيون من ظلمهم .وهذه الحرب الضارية ضد ظلم الفلسطينيين هي التي أصعدت كرسي مملكة شاؤول ، وهي التي أجبرت الأسباط على الوحدة وتكوين شعب . من هنا بدأ تاريخ إسرائيل . وقبل ذلك لم يكن لها موضع ؛ لأنه قبل عصر كنعان لم يكن ذلك في فكر أي شخص .وهذا التأخير المبالغ فيه لبداية التاريخ العبري هو الذي أدى إلى مهاجمة النظرية وكشف عيوب عديدة فيها.

٢ - الحفريات في مصر وبابل

وفي غضون ذلك ظهرت فجوة كاملة بسبب إهمال تلك الكنوز حيث انتقل البحث إلى مجال كليات اللاهوت التي تضاءل داخلها علم العهد القديم .غير أن مجال المعارف التاريخية اتسع وتقدم .فقد كشفت الحفريات ونتائجها في بلاد المشرق أمامنا فترات تاريخية قديمة لم تكن متصورة من قبل .وما قد اعتبرناه إرثًا للأسطورة اكتمل مضمونًا حيويًا وواقعيًا بوجود وثائق تلك العصور التي أدت إلى فهم جديد لبداية تاريخ بني إسرائيل.

فقد بدأت في مصر الأبحاث الأثرية زمن انتصار نابليون الذي جلب معه مجموعة من الباحثين والأثريين .ومع نهاية الربع الثاني من القرن التاسع عشر تم بحث وفحص معابد وقبور قدماء المصريين بزعامة شامبليون وروزليني .ولم تتوقف الحكومة الفرنسية خلال خمسين سنة. وبعد ذلك الحكومة الألمانية .عن الدعم السخي للباحثين الذين وصلوا إلى مصر ونقبوا حقول الماضي .فتأسست الجمعية الإنجليزية للمصريات عام (١٨٨٣) وانضم إليها الأمريكيون . وفي عصر واحد تزايدت آثار الماضي القديم وتم الكشف عن الأشياء المطمورة التي ألقت ضوءا جديداً على قِدَم أرض مصر وتاريخها وديانتها وتأثيرها.

وفي ذلك العصر ظهرت أيضًا اكتشافات البحث التاريخي لبابل وأشور .وفي البداية تركز اهتمام الباحثين حول هيكل نينوى .واكتشف هناك يارد وزملاؤه المكتبة المسمارية للملك أشوربنيبال التي تضمنت ثلاثين ألف لوح صلصال .وفي نفس الفترة تعمق باحثون فرنسيون وإنجليز وفي مقدمتهم الإنجليزي رولينسون وبعثته في جنوب بابل والذين كشفوا قِدَم أورك .ووجدت قوائم سندات بالآلاف في هيكل الشمس وخرائب الجنوب، ونشر الفرنسيون من بين خرائب لاجاش بقايا معابد وقصور .

وقد صار فك غموض كنوز تلك الكتابات المسمارية فرعًا علميًا جديداً ،احتشد حوله جماعة من الباحثين البارزين .وبنفس القدر الذى تعمق فيه هؤلاء الباحثون للتغلغل داخل النصوص القديمة، فتطورت معرفتنا تطورا كبيرا واستمر تقدم معرفتنا للحياة السياسية والدينية للشعب والفرد فى بابل القديمة، وتاريخ قوانينها وعقائدها ونتاجها، وتقدم عقائدها ونظم حياتها، وطرق تأثيرها على الشعوب المجاورة لآلاف السنين قبل الميلاد.

٣ - شيردر

وهكذا حان الوقت لباحثى العهد القديم "الإطلاق المنجل لحصاد القمح "،أى مقارنة نتائج هذه الأبحاث بأقوال العهد القديم وفحصها سويًا .وكان إبرهارد شيردر أول من صاغ مهمة باحث العهد القديم، وهو أيضًا الذى توجه لإتمامها .فمع الأسفار الأربعة والعشرين التى فى حوزته راجع نتائج الحفائر الخاصة بهياكل كلح ونينوى ومدينة سرجون، وخرائب بابل ومقابر أورك .ومن خلال الكتابات المسمارية التى على ألواح الطين والصلصال استخرج كل الأقوال الموازية لأقوال التوراة وجمعها سويًا ، وقابل هذه السطور بفقرات من التوراة ، وذلك على أساس من ترتيب العهد القديم.

وكان شيردر لا يزال حذراً فى بحثه بقدرة فائقة ، وقبل أن يسأل مَنْ أقدم منْ مَنْ؟ وكيف أخذ هذا من ذاك؟ وبماذا عدل الذى أخذ؟ فلم تكن مهمته سوى إقامة جسور بين فرعى البحث القريبين هذا من ذاك على أساس مادة بحثهما، واللذين لم يرتبطا هذا بذاك حتى عصره .وسلك شيردر كل السبل وأحصى كل العلاقات بين الكتابات المسمارية وأقوال العهد القديم، وأصدر كتابًا ضخمًا أثار غضبًا فى حينه. وابتدأ من خلق الكون، والإنسان، وقصة جنة عدن بكل تفاصيلها (الأنهار الأربعة، الحية والكروبيم ، والحنين للطوفان) . والمدهش فى موازنته تلك الأسطورة البابلية التى وجدها جورج سميث فى خرائب نينوى القديمة (١٨٧٣) وتحتوى على اثنى عشر لوح صلصال، وقصة البرج الذى يشير له قسم بناء البرج ذى سبعة أذرع والذى كشفه رولينسون (١٨٥٢) حتى أسماء الشعوب والمدن فى قائمة بنى نوح (جومر، مداى، يوان، تيبال، ماشك، كثيم كوش، مصرايم، بابل، أورك، أكد ،كلنه، رصين، كلح، نينوى، صيدون، عرقى، أرودى، صمرى، حمتى، غزه، عيلام، وآرام) وأسماء الأبطال المتعددين فى روايات العهد القديم (أريوك ملك ألاسار، كدر لعومر، فرعون، يوز، حزو، هدد، لوط) وأسماء الأنهار والجبال (النيل ، نهر مصرايم، سنير ، سريون)، وكذلك الأحداث

التاريخية لعصر الملوك كما يسرد العهد القديم نفسه عن المصادمات مع بابل وآشور، وتشمل الكتابات المسمارية مادة موازية كاملة، بعضها يناسب كل تفاصيل الرواية وبعضها يضيف ويعدل (ياهو بن نمشي، أحاب ، حرب حزئيل، عزريا ملك يهودا، مناحم ملك إسرائيل،دخول فول إلى فلسطين، سوا ملك مصر) وتنتهي بتفصيل كبير لسلسلة أحداث سفر الملوك الثاني عن تجلات بلاسر، سنحريب، مردوك بلادن بن بلادن ونبوخذنصر ملك بابل.

كما وجدت أيضًا صور موازية وتفاصيل مشابهة في الكتابات المسمارية لتفاصيل متنوعة لتاريخ ثقافة بني إسرائيل زمن العهد القديم (نقوش صلصال لصورة القَسَم تشبه أقوال النص "ضع يدك "أسفل الخصل (التكوين ٢:٢٤)،ألقاب الأبطال وتقديس الأعمدة بالقرب من الهيكل مثل ياكين وبوعز، التي هي أسماء أعمدة رواق الهيكل (الملوك الأول ٧:٢١)ورؤية مصر بمثابة أرض الفرسان المختارة (التثنية١٧:١٥)،كما وجدت كلمات مشتركة بكثرة في اللغة العبرية والكتابات المسمارية، والمتشابهة على أساس جذورها، وكذلك جمل مشابهة وطرق أسلوبية وتعبيرات مشابهة، وتشهد مئات الشواهد بوجود قرابة بين تلك الشعوب والثقافات وعلى أي حال لا يمكن لأسلوب بحث الكتابات المقدسة والكتابات المسمارية أن تكون فيها هذه غريبة عن تلك أو تكون هذه عالة على تلك.

ولم يقصد هيردر أكثر من ذلك، فكان يعرف بلا شك أن "البحث النظري والشامل لهذه القضايا يعتبر مفضلاً جدًا "،غير أنه اكتفى آنذاك بما يعطي الثقة للبناء عليه ، وبذلك قام بواجبه مخلصًا منبهًا باحثي العهد القديم - من مبدأ السلامة - بضرورة ربط بحث العهد القديم بالاتجاه الجديد والغريب، وبناءً على ذلك سهل أمام بحث العهد القديم الفحص الدائم للمصادر وأجزاء المصادر داخل العهد القديم وفتح آفاقًا جديدة.

وبدأ التشكيك في صحة النظرية التي تؤخر بداية تكوين النتاج العبري ، ومع تطور نظرية المقارنات ، زال القناع الذي ساد في الفترة السابقة ، وشيئًا فشيئًا اندثرت هذه الفرضية ، وبرز الشك في قيامها مدعوما من قبل فلهاوزن ومدرسته، بل من المؤكد أنها لم تنشأ، كما ابتعدت عن آراء شتاده .فأشارت تلك البراهين الأثرية إلى حياة جماعة بني إسرائيل وثقافتهم خلال مئات السنين قبل أن يملك "ملك في إسرائيل".

٤ - حفائر تل العمارنة

وبنفس القدر الذى استمرت فيه الحفريات ونجحت ، واستخرج من باطن الأرض مغانم كثيرة، استمر البحث فى التاريخ العبرى واحتل مكانة مهمة .

وفى عام (١٨٨٧) حدث أول انتصار فى مجال الحفريات فى مصر رسخ أيضاً الحقيقة فى بحث التاريخ العبرى القديم، حيث تم الكشف فى تل العمارنة عن أرشيف أمينوفيس الثالث والرابع الذى يعود إلى القرن ١٤ ق.م، وفى هذا الأرشيف توجد ألواح صلصال عديدة مكتوبة بالأشورية ، ومن بينها رسائل متبادلة بين ملوك بابل وأشور وبين ملك مصر، وكذلك رسائل أرسلت من حكام فلسطين لحاكمهم فى مصر. وفى بعض هذه الرسائل يروى حاكم أورشليم - عبد حيبه - عن أسباط سام المتجولة، المعروفة باسم "الخبيرو "والمهاجرين من الصحراء إلى كنعان، ويناشده حاكمه الحضور لمساعدة رعاياه المقهورين.

وفى عام (١٨٩٦) كشف بترى رسالة أخرى فى خرائب هيكل الموت لمرنبتاح فى نوأمون ، وتعود هذه الرسالة إلى عام (١٢٢٠ق.م) وينشد فى هذه الرسالة أنشودة نصر لمرنبتاح ملك مصر على الانتصارات التى انتصرها فى بلاد مختلفة، ويحصى من بين تلك الشعوب المحتلة أيضًا إسرائيل سويًا مع عسقلان وجازر (إسرائيل هجر - ليس له نسل)، مما يؤكد أنه كان آنذاك يوجد بالفعل فى الأرض جوهر لجماعة خاصة اسمها جماعة بنى إسرائيل.

وبما أن علماء العهد القديم اعتادوا الانتباه لانتصارات علماء الاستشراق وفحصوا حقائقهم على أساس من اكتشافاتهم ، فلم يكتفوا مرة ثانية بتجميع الأحجار فحسب بل أثبتوا أنه توجد بالفعل أدلة لأقوال التوراة فى الكتابات المسمارية، فما حكم ما الجانب هذا التشابه؟ ما هو الجانب المتشابه فيها؟ وكيف حدث ؟ وعلى ماذا يشير؟ وإذا كانت هناك بالفعل حياة لبنى إسرائيل فى فلسطين القديمة، فما مضمون تلك الحياة ؟ وأين آثارها؟

٥ - جونكل

لقد وضع شيردر الطريق وتقدم به جونكل إلى الأمام مزوداً بكل وسائل النقد. فرأى جونكل فى قصة الخلق (سفر التكوين ١) لم يسلم مطلقًا برأى فلهاوزن الذى اعتبر القصة مجرد نتاج إنشائى بسيط وحر لمؤلف المصدر الكهنوتي .أما جونكل فقد

بحث هذه القصة وبرهن على أن هذا القسم بكل صورته الحسابية والعددية يشمل خرافة قديمة ليس مصدرها بنى إسرائيل وعندما وازن المادة الأسطورية فى قصة الخلق مع أسطورة الخلق البابلية، كما هى محفوظة فى أقوال الكتاب اليونانيين وفى النسخة القديمة على خرائب هيكل آشور بنيبال، اتضح له أين ظهرت وازدهرت هذه الخرافة ولكى يقف على العلاقة بين وصف قصتى الخلق البابلية والعبرية البعيدتين هذه عن تلك والموازيتين هذه لتلك :لم يكتف بمقارنة القصتين فحسب بل قارن كل أقوال أدب العهد القديم سواء الموجود داخل أسفار العهد القديم ، أو الذى بقى خارجا عنه ، واستخرج من داخلها أشعاراً ومزامير وسجلات وصوراً للمادة المتعلقة بنشأة الكون والتى أدمجت فيها وذابت داخلها.

وها هوذا عَالَم كامل لخرافة أصلها فى بابل ومصدرها فى أساطير الخلق نشأ فى محيط إسرائيل : رهب (إشعيا ٣٠:٧ ؛ ٥١:٩ ؛ المزامير ٤٠:٥؛ ٨٧:٤ ؛ ٨٩:١١؛ أيوب ٩:١٣؛ ٢٦:١٢) لوياث (إشعيا ٢٧:١؛ المزامير ٧٤:١٢-١٩؛ ١٠٤:٢٥؛ أيوب ٣:٨؛ ٤٠:٢٥؛ ٤١:٢٦)؛ بهانم (إشعيا ٣٠:٦؛ أيوب ٤٠:١٥؛ انظر أيضًا حنوخ ٦٠:٧ – ٩؛ عزرا ٤:٦ ، ٤٩) ؛ التنين (إشعيا ٥١:٩؛ إرميا ٥١:٣٤؛ حزقيال ٢٩:٣؛ المزامير ٤٤:٢٠؛ أيوب ٧:١٢؛ انظر أيضًا مزامير سليمان ٢:٢٨)؛ الحية (عاموس ٩:٣) ؛ الحية الهارية (إشعيا ٢٧:١؛ أيوب ٢٦:١٣) وحش القصب (المزامير ٦٨:٣١)؛ بنى الكبرياء (أيوب ٤١:٢٦) ؛ أعوان رهب (أيوب ٩:١٣) – والتى تجمع فى العبارة التالية : "ليست حصن سلطان يهوه محتجر رهب، صانع تنين تحطم لويثان ، قهر مثل قتيل رهب وحطم رؤوس التنين فى المياه."

وتتكرر فى أدب الأنبياء وأصحاب المزامير هذه الأسطورة البابلية القديمة عن حرب الإله ضد الوحوش الضخمة على عتبة الخلق ، وذلك بأسماء مختلفة وصيغ متنوعة ولأهداف متباينة استمرت فى أعماق بنى إسرائيل وحلقت فى خيالها ، وذلك على الرغم من أنها لم تنبثق من داخل الرؤية اليهودية .

٦ – قصة الخلق

بعد أن جمع جونكل من ثنايا نتاج مُؤلف العهد القديم كل المادة الأسطورية ، المطبوعة كلها بطابع الميثولوجيا القديمة وقارنها بقصة الخلق فى سفر التكوين (الإصحاح الأول)، وأدرك أن هذا القسم متأخر عن كل المادة المتنوعة السابقة عليه فى

إسرائيل ، وأنه ليس سوى صدى هزيل له ومتصل به ،والرؤية التنبؤية المقدسة حلت محلها الصفات القديمة وصور الخرافة المنتشرة . وقد ضم صاحب المصدر الكهنوتي نظرية الخلق القديمة إلى قصة الخلق الموجودة عندنا ،وعندما وصل جونكل إلى السؤال :متى تسربت وجهة النظر البابلية إلى ثقافة بنى إسرائيل ؟ ،اتضح له بعد أن فحص كل عصور اتصال هاتين الثقافتين ،أن عمر هذه العلاقة قديم جداً والأسطورة البابلية القديمة عن مردوك ذلك الإله الذى حطم الغمر وسيطر على المحيط البدائى وعمل من نصفه سماء ونصفه مياه انتقلت إلى أرض كنعان قبل أن يظهر بنو إسرائيل .والفترة القديمة التى ذكرت فى الرسائل التى وجدت فى تل العمارنة عن زمن نشر الثقافة البابلية سلطانها على بلاد كنعان قد جلبت فى أحضانها الأساطير الدينية البابلية . وبخاصة أسطورة الخلق التى استخدمت فى تكوين قصة الخلق فى العهد القديم .

ومن خلال هذا المصدر الكنعاني وبواسطة الشعب المستقر فى فلسطين استحدث إسرائيل فيما بعد هذه الميثولوجيا القديمة أيضاً وبقدر ما استمدت هذه الجماعة من تلك الوسائل الكنعانية قامت بتحرير ثقافة بابلية أخرى عديدة وصاغتها طبقًا لهدفها، واستمدت منها تشبيهاتها ومؤلفاتها وتأثرت بها وتصارعت وتكيفت معها. ولم يحتل يهوه فيها فقط مكان مردوك،بل خلصها من كل الميثولوجيا القديمة وسلسلة الأحداث الغريبة عن دين الأنبياء ، وامتلأت روحًا ومضمونًا جديداً لولا أصداء قليلة وقديمة مطبوعة بالطابع البابلى ، الذى لا يزال مخيماً عليها مثل الظلمة القديمة ،خربة وخالية ، الغمر بمثابة اسم ، انقسام المياه، تنين المياه، جند السماء، "نصنع" الإنسان، ورأى أنه حسن و لم يكن مصدرها البابلي ملموسًا ، لأن روحًا أخرى وازنتها، تلك هى روح الإله الواحد خالق السماء والأرض والمسيطر على الكل.

وإذا كان شيردر قد أشار إلى قرابة مفاجئة، فإن جونكل غاص فى أعماق المؤلف وحدد قاعدة هى :أن هذا الاشتراك لم يكن متأخراً ولم يكن مصادفة، بل كان موجودا فى الطبقة الأساسية للثقافة الإسرائيلية . وأن روح بابل تسللت إلى داخل كنعان ، وتاهت في وسطها خلال عصور عديدة قبل احتلال الأرض بواسطة العبريين، وبعد أن جاء الإسرائيليون إلى الأرض ، وساروا فى طرق شعب الأرض تشربوا الثقافة البابلية من هذا الوسيط الثاني.

ومنذ ذلك الحين ، أى بداية من عصر سنوات التكوين وانتهاء بسنوات التصادم الجديدة مع بابل ـ خلال عصر سلطان أشور فى القرن السابع قبل الميلاد عندما كانت

يهوذا تدفع الجزية لآشور، وكذلك في عصر السبي في القرن السادس قبل الميلاد - لم تتوقف الثقافة الإسرائيلية طوال تلك العصور عن الصراع مع الثقافة البابلية، وذلك بمحاربتها والاقتباس من داخلها.

٧ - رواية الطوفان

منذ ذلك الحين صارت المهمة الرئيسية لعلماء العهد القديم الوقوف على زيف ذلك الصراع واستخراج العناصر البابلية في العهد القديم .وأسطورة الطوفان هي الأكثر ارتباطًا مع قصة الخلق في الميثولوجيا القديمة .وكانت لا تزال بعض أجزاء سفر بيروسوس كاهن بيل البابلي الذي كتب باليونانية في القرن الثالث ق.م، محفوظة عند آباء الكنيسة، وقد اشتهر بسبب أساطير الطوفان البابلية .ومع اكتشاف الكتابات المسمارية تم الكشف أيضًا عن ملحمة جلجاميش ، تلك الملحمة البابلية القومية، المتضمنة في داخلها فصلاً عن الطوفان .وعندما سار بطل الملحمة لينشد الحياة تقابل مع السرمدي أتنوبشتم جد آبائه (كسيزوروس في نسخة بيروسوس) الذي يسير مع الآلهة في أقصى الغرب ، وسمع منه قصة حياته ، وكيف أنه حاز تلك العظمة؟. وبمشورة إله الأرض قرر مجلس الآلهة قرارًا نهائيًا لإبادة مدينة شوريبك التي على ضفة نهر الفرات بالمياه .ثم جاء أيا إله الحكمة في الحلم ليلاً إلى أوتنوبشتم حبيبه وكشف له عن قرار الآلهة ، وتحدث له بأن يصنع لنفسه سفينة ، ويدخل فيها هو وأسرته .وكل ماله ويُدخل فيها من كل الحيوانات .وعندما كان يسأله أهل المدينة عن عمله هذا ، فيخبرهم عن الغضب الشديد للإله عليه ولذلك فهو يفر من أمامه إلى طرف البحر .وصنع أوتنبشتم كل الذي أمره به أيا، وشيد السفينة طولها مائة وعشرون ذراعاً ، وجعل ارتفاعها ستة طوابق ، وطلاها بالأسفلت ويدخل هو ورجاله ونساؤه وحيوانات الحقل ، وأدخل معه كل ماله وذهبه وأغلق فتحة السفينة، ووصل إلى البحر الميت .وكانت المياه ستة أيام وست ليال على الأرض .وعندما جفت المياه هبطت السفينة على الجبل .وفي اليوم السابع أرسل أوتنبشتم الحمامة ولم تجد موضعًا للبقاء فعادت إلى السفينة ، ثم أرسل العصفور وعاد أيضًا، فأرسل الغراب ولم يرجع، فخرج أوتنبشتم من السفينة هو ورجاله ونساؤه وكل من معه .وقرب قربانًا ، فاجتمعت كالذباب حول الذبيحة واشتمت الآلهة رائحة الرضا .وكان آيا خائفا وغاضبا لئلا تتحقق رؤيته وأن يبقى هاربًا عند الإنسان ، غير أن حكمته عادت إليه وبارك أوتنبشتم بزوجته ووضعه مع الآلهة، وأسكنه جنة عدن في منحدر النهرين.

وبلا شك توجد فجوة واسعة بين هذه النسخة البابلية وبين صيغتى الطوفان المحفوظتين في التوراة، ففي الأولى تقرر الآلهة إبادة الأرض بلا سبب بدون أى علاقة مع أعمال البشر، أما فى الثانية فقد حلت المصيبة فى أعقاب أعمال البشر بفساد طرقهم وامتلاء الأرض ظلماً ،وفى الأولى أنقذ أوتنبشتم لأن أيا يحبه، أما فى الثانية فأنقذ نوح لأنه كان باراً فى أجياله ،وفى الأولى إله يحطم وآخر ينقذ، أما فى الثانية فوحدة الألوهية كاملة في كل تفاصيل الحدث ،وفى الأولى ارتجفت الآلهة ذاتها من عمل أيديها وندمت بشدة لإبادة مدينتهم، أما فى الثانية فإن الإله الأعلى مسيطر ومتكبر وينفذ أمره ويفتقد الظلم الشديد ،وفى الأولى تنتهى القصة بضم أوتنبشتم إلى مَجْمَع الآلهة، وفى الثانية تنتهى القصة بعهد ثابت للإله بألا يبيد أى بشر إلى الأبد لأن قلب الإنسان شرير من شبابه، وحدد قوانين للأرض والطبيعة بألا تصيبه مرة ثانية .

ومع ذلك فإن جوهر القرابة بين أساليب الروايتين لا تحمل أدنى شك .وكذلك اختلاف التفاصيل مثل :فلك بدلاً من سفينة؛ وغراب ،حمامة ثم حمامة ، بدلاً من حمامة ثم عصفور فغراب؛ وثلاثة مائة ذراع طولها بدلاً من مائة وعشرين ذراعًا ،وكان الطوفان أربعين يومًا بدلاً من ستة أيام .غير أن هذا لا يضعف احتمال الانطباع بأن هذه صيغ مختلفة لرواية واحدة أمامنا ، ومثل هذه الاختلافات توجد أيضا بين نسخ القصة داخل التوراة ذاتها . غير أن جوهر القضية يكمن في إبادة الأغلبية وإنقاذ الفرد ، خاصية الإبادة وخاصية الإنقاذ ،إرسال الطير ،رسو السفينة على الجبل ، وتقريب القرابين ، وكذلك نسمة الرضا التى اشتمها الإله (الآلهة) ومباركة المنقذ ،كل ذلك يؤكد من حيث الجوهر بأنه ليس أمامنا سوى رواية واحدة في صياغتين .وعلاوة على ذلك فإن الرواية التوراتية تركيب متأخر ،رُكِّبَ على أساس النسيج القديم الذى جاء من بابل .

٨ - قوانين حمورابى

ولم يستوعب علماء العهد القديم كما ينبغى الوثائق المطابقة للكتابات المقدسة التى ظهرت من خلال الحفريات فى مصر والاكتشافات الأثرية ،وفجأة اندفع من مخابئ الماضى فى بابل مصدر جديد ، مدهش فى قدمه ومطابقته لمصادر الكتابات المقدسة .

ففى نهاية عام(١٩٠١) وجدت البعثة الفرنسية تحت إدارة "مورجن وشيل "

في أعماق الأرض في سوسن العاصمة نصبا حجريا ، والذى كما يبدو أخذه ملك عيلام غنيمة من بابل وعليه نحت سفر القوانين الذى منحه الإله شمش للملك حمورابى الذى ملك على بابل عام (٢١٠٠ق.م). وفي هذا السفر قوانين وأحكام عديدة تشهد على درجة عالية من التطور في هذا العصر القديم، وذلك سواء بين الفقرات المتشابهة تشابهًا كاملاً لفقرات سفر العهد أو بين الفقرات المختلفة عنها والتى تظهر بوضوح أن هذه القوانين والأحكام كانت معروفة للمشرعين في بنى إسرائيل وترجم شيل بنفسه هذه القوانين إلي الفرنسية وأذاعها على الملأ وكان الباحث العبرى "دافيد هينرش موللر "أول من ترجمها للعبرية وطابق قوانين حمورابى بقوانين سفر العهد ، كل قانون مقابل قانون وقد أحصى يوهانس يرمياس أربعة وعشرين حكمًا في سفر قوانين حمورابى التى تُلزم الاعتراف بوجود علاقة قوية قائمة بين الرؤى القانونية في بابل وبين تلك الموجودة في سفر العهد (قوانين العبودية والأسرة، ظلم الإنسان وسرقة البقر، الثور الناطح، والسرقة في السر، أحكام الوديعة وأحكام سرقتها، أحكام المضاجعة واحترام الأب) . ونشأت أيضًا تشابهات في صورة القوانين والصياغة، وتشابهات في بعض الأقوال التى تنسخ هذه وتلك .

وبلا شك اكتشف مع هذه القرابة الاختلاف العميق بينهما ولم تميز الحياة الاقتصادية والسياسية والطقوس بين هذين السفرين القانونين المتطابقين فحسب، بل تختلف أيضا رؤاهما الأساسية والروح السائدة فيهما فالعقوبات في سفر حمورابى قاسية للغاية مقابل العقوبات في التوراة .أما حماية الضعيف والفقير في التوراة فتفوق كثيرًا في تماسكها وتفاصيلها قوانين حمورابي، كما أن قوانين حمورابى لا تعرف مطلقاً حب الصديق وحماية الأجنبي، والاختلاف الجوهرى بينهما هو أن نقض القانون لا يعتبر في قوانين حمورابى إثمًا تجاه الإله وحقًا فإن الإله شمش هو الذى منح القوانين لحمورابي، كما أن يهوه هو الذى منح ألواح العهد لموسى غير أنه أعطى واختفي فلم يخطئ عنده شخص لإلهه إن لم يقم النص المكتوب، والإله لا يعتبر ذلك شرًا فالديانة تستخدم خلفية وأساسًا لكل أقوال القوانين في سفر العهد، وهذا ليس مقحمًا في مخطوطة قوانين حمورابيوأحكامها ، وليس مزودا بها .غير أنه مع كل هذه الاختلافات العميقة - اختلاف الزمن واختلاف الثقافة واختلاف السمات القومية - فإن قضية القرابة الأساسية التى بينهما هى قرابة مادة وشكل لا تحتمل أى شك، وواضحة للجميع وطالما أنه اتضح أن مجموعة القوانين المدونة مركبة ومفصلة بالفعل في الواقع

حوالى (٢٠٠٠) ، وأن هذه المدونات كانت أمام المشرع فى بنى إسرائيل ، فقد انهار الرأى الذى أخر الوثائق الأولى للأدب العبرى إلى القرن الثامن ق.م .

٩ - المزامير

وقد قام "ياسترو وتسيمرن "بتحقيق المؤلفات الأدبية وتنقيتها فى الكتابات المسمارية ونظروا فى ترانيم المزامير، والتضرعات وأناشيد التسابيح المجموعة فى داخلها .فقد كان هدف باحثى العهد القديم أن يجدوا فى لغتها وأسلوبها - وتتابع هدفها وصورها - مجموعة غنائية مطابقة للعديد من مزامير سفر المزامير فى العهد القديم، على الرغم من أن هذه سابقة على تلك بمئات بل آلاف السنين.

وبما أن الحاجز الذى كان يفصل بين علم العهد القديم وعلم بابل قد سقط، وبدأ بينهما التأثير المتبادل ، لم يكتف الباحثون بتحديد المطابقات فحسب بل تغلغل هؤلاء الباحثون مزودين بوسائل البحث عن الألوهية والطقوس وما شابه ذلك إلى داخل الكتابات المسمارية وأعماق الماضى، وتسابقوا فى أن يجدوا أيضًا داخل بابل القديمة عالمها الروحانى ودعمت محاولاتهم الكبيرة أيضًا هذه المرة .فقد نسجوا قناعًا كاملاً لرؤية العالم القديم عن طريق ترتيبهم واحدة بواحدة ورمزًا برمز وتظهر هذه الرؤية العالم ومصير الشعوب ورجاله ، وما هو قد خلق على صورة السماء فتحققت الآلهة فى جند السماء وبرزت إرادتهم فى ترتيب السماء ونظم الأحداث فترمز الكواكب فى سبلها لطرق العالم ، وعالمنا فى مجموعه عالم صغير داخل العالم الكبير، كما أن كل فرد من البشر على الأرض عالم صغير قائم بذاته ، ومصيره فى السماء العليا .وفقط يمكن بحث تاريخ الشعوب ومصير العالم على أساس بحث خطة السماء فالتقويم وترتيب العصور تلك علامات السماء وأعدادها، تلك هى لغة الآلهة، فالأعداد التى على أساسها يقسم الزمن هى الأسس المقدسة، والقوة والمفتاح فيها لكشف الغامض. ولأنها ترمز إلى النظام فى العالم والتوافق فى الأحداث الموافق للتناغم السائد فى الدوائر العليا والتوراة هى العربة، وجند السماء مفسروها، والرائون المنجمون هم الحكماء عارفو الدين والمصير وفاهمو إرادة الآلهة والحكمة هى بحث إحصاء السنين ، وخاصية السنين وترتيب الأعداد، وعلى أساسها يصمت العالم، لأن صورة العالم ليست سوى صورة دقيقة لصورة السماء.

وعندما انتقل الباحثون لتوضيح تفاصيل هذه الرؤية وطرق تأثيرها على الشعوب

أدركوا أنها قد تغلغلت تغلغلاً عميقًا داخل الثقافات الإنسانية وتأصلت فيها آلاف السنين ، وأن الشراكة البابلية غنية بالقيم ومتعددة الصور، مفسرة على أساس تتابع التآليف المرتبطة بالعهد القديم ، ولغتها جميعها متضمنة في داخلها.

١٠- فينكلر

لم يكتف هوجو فينكلر مبتدع الأسلوب البابلي الشمولي في بحث العهد القديم بتلك القرابة للأعداد المقدسة وصور الأوامر بإحصاء الأزمنة وأسماء الشهور ،تلك القرابة التي توصل إليها بالفعل القدماء ،ولم يكتف أيضًا بتلك المقابلات الثقافية والمؤلفات التي أحصيناها والموجودة داخل أدب الكتابات المسمارية ، وكذلك في العهد القديم ، بل خرج ليقرر أن كل الأساطير والروايات الموجودة في العهد القديم بداية من روايات الآباء ،وانتهاءً بانقسام المملكة بعد سليمان ،كل ذلك مؤسس على أساس الميثولوجيا البابلية، وحتى الأحداث التاريخية للأبطال الذين عاشوا حقيقة نُمقت على إطار المؤلفات في روايات الخرافة البابلية التي أساسها في علم التنجيم القديم، فإبراهيم من أور الكلدانيين هو ابن إله القمر، وأساسه في الخرافة البابلية تموز أخي زوجته عشتروت،ومكان سكنه قرية أربع، وبعد تمليك داود في حبرون نسبه صاحب الأسطورة لهذا المكان ،ويعقوب أبو الأسباط الإسرائيلية في الشمال، هو أيضًا ابن إله القمر في بيت إيل ،وإبراهيم هو إله الاتجاهات الأربعة (قرية أربع)والأيام السبعة(بئر سبع) ،ويعقوب أبو الاثنى عشر شهراً (الأبناء - الأسباط) . فالأول يرمز للقمر بنسبه للشهر ،والأخير بنسبه لفصل السنة ،وأبناء يعقوب الاثنان وسبعون ولداً لخمسة نساء (أيضًا تحسب زوجة يوسف عند الإحصاء لأنها أم سبطين) مثل عدد أيام السنة (٧٢× ٥ × ٣٦٠) وذلك على أساس إحصاء الفصول في الكتابات المسمارية .

ويرى أثر خرافة إله القمر في بابل على كل الروايات بشأن عشيرة يعقوب. اسم حماه لابان (قمر) وليئة التي "عيناها لطيفة "ما هي إلا القمر في انبعاثها (لطف بدون لمعان) وراحيل "حسن الصفة "هي القمر في اكتماله، وأعطت جارية لكل واحدة منهن، إذن هي الفصول الأربعة للقمر ،التي منهن ولد الاثنا عشر ابنا - الشهور . فولدت ليئة ليعقوب ستة أبناء وبنت واحدة ،هذا يعني آلهة السبعة أيام في بابل الذي أحدها (إله اليوم السادس) امرأة ،دينه هي المولود الأخير لليئة ، لأن اليوم السادس هو الأخير في الأسبوع ،وها هو ذا رأوبين يقابل إله اليوم الأول ،وفيما يتعلق بـ :زحل

قيل" :لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنست" (التكوين٤٩:٤) وهو ما يطابق الأسطورة عن زحل وأبناء ليئة سبعة وعشرون (٤٦:١٢-١٦) وهو ما يطابق عدد أيام الشهر البابلي الناقص (٢٧يوماً ، وسبع ساعات وأربع وثلاثون دقيقة وخمس ثوان) أبناء زلفة جارية ليئة أربعة عشر (التكوين ٤٦:١٦، ٢٧)وأبناء بنيامين عشرة وأبناء بلهة خمسة وهما سويا تسعة وعشرون ، وهو يطابق عدد أيام الشهر الكامل (تسع وعشرون يوماً، واثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة) وبنيامين أصغر أخوته "بن أونى "هو الشهر الأخير من السنة .أما "ثلاث مائة فضة "التى أعطيت لبنيامين فهى الثلاثون يوماً لشهر شيلو" ، و"خمس حلل (التكوين ٤٥:٢٢)هى الأيام الخمسة المحرمة فيه ، والمكملة السنة على أساس التقويم البابلي .ويوسف هو إله الشمس (لذلك يقال عنه :وهيأوا الهدية إلى أن يجئ يوسف عند الظهر" (التكوين ٤٣:٢٤) وهو نفسه ابن يعقوب إله القمر ، وكما أن يعقوب اتخذ لنفسه بنات لابان (لبنه) نسوة من بلاد آرام ، أرض القمر .كذلك هبط يوسف إله الشمس إلى مصر، أرض إله الشمس واتخذ لنفسه زوجة من بيت كاهن الشمس فى سلطان هليوبوليس .وليوسف ابنان، هما نصف السنة (الصيف والخريف) . ويعقوب صالب بيديه، لأن فى تقويمات الشرق انقسمت النظم بواحد من قسمى السنة بداية بالصيف أو الخريف .كما أن تفسير الكلمة تشرى فى بابل (بداية) هذا يعنى بداية السنة على الرغم من أن التقويم البابلي تبدأ السنة فيه بشهر نيسان . عيسو (آدوم) هو إله الربيع وهو صائد مثل تموز .ويهوه إله موسى فى حوريب هو إله البرق والرعد مثل حلية – هدد فى الميثولوجيا الكنعانية .ويقال عن موسى ، "ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته" (التثنية٣٤:٧) ، مثل تموز الذى يموت مثل حرارة اليوم فى الصيف .ويكوا سبعة أيام على يعقوب إله القمر ، لكن يقال عن موسى فبكى بنو إسرائيل موسى فى عربات مؤاب ثلاثين يوماً .فكملت أيام بكاء مناحة موسى (٣٤:٨) وهكذا كانوا يبكون تموز ثلاثين يوماً وسموا الشهر باسمه .وميلاد موسى يشير لأسطورة سرجون ، والذى أيضاً عند ميلاده وضع وسط النهر فى سفط من البردى مطلى من الداخل والخارج .والتيه أربعون سنة فى الصحراء إشارة إلى تجوال جلجاميش فى الصحراء ليجد الحياة لأجل صديقه الذى توفى ، ويسمع صداها أيضاً فى تجوال إلياهو فى الصحراء أربعين يوماً.

وهكذا يواصل ويحصى علامات خرافة المنجمين فى الرواية عن يشوع (اشتراك

الشمس والقمر في حربه، مثل اشتراك نور الفجر في حرب الجبارين ضد بابل ، والاثنا عشر حجراً التي أقامها على شاطئ الأردن هي مثل الاثنتي عشرة صورة للحيوانات المقدسة القائمة على أساس أسطورة بابل على شاطئ مياه العالم في السماء)؛ وفي الرواية عن جدعون (غراباً وذئباً أميرى مدين (القضاة٢٥:٧) ، تطابق موضوعات حكام شرقيين كثيرين؛ وأخرج جدعون ضد أهل سكوت سبعة وسبعين من عظمائها - (١٤:٨) ؛ وهو ما يطابق اثنين وسبعين يوماً ، خمس السنة في بابل بضم الخمسة أخماس نفسها؛ وكان لجدعون سبعون ابناً وهم سوياً مع أبيمالك ويوثام اللذين أنقذا، فإن ذلك مرة ثانية يمثل الاثنين وسبعين يوماً (الخماسية) ، وفي عمل شاؤول (الرواية عن زيارته في عين دور عند العرافة الساحرة - صموئيل الأول ٢٨، تقابل الرواية عن أوديسيوس الذي يسأل فيها تيرزيس الرائي، وزيارة جلجاميش لهيكل نرجل إلهة العالم السفلي من أجل إبعاد شر الموت، ويطلب مشورته ،والرواية عن موت شاؤول مملوءة تفاصيل خرافية عن القمر :فيحكي عن شاؤول أنه مات على سهمه ، وقطع الفلسطينيون رأسه ،أيضاً إله القمر موصوف على أشكال طبرية، بيت شان وكيرسميا وغيرها مع سيف ورأس مقطوعة ،في قصة يوناثان (قوسه إشارة لإله الشمس مثل السيف لإله القم) . وفي الروايات عن حرب داود وجليات (جليات الضخم يرمز للسنة سريعة الزوال وداود الصغير رمز للسنة وشبكة القدوم، والخمسة أذرع والشبر لجليات هي الخمسة أيام والربع المتبقية من الاثنى عشر شهراً ذات الواحد والثلاثين يوماً في نهاية السنة؛ وجليات العملاق يطابق أوريون سيء الحظ؛ سيف جليات "مثل منوال النساج "يطابق عمود أوريون ،والحجارة الخمسة التي رماها داود تطابق الخمسة أيام الكبيسة التي فيها ينتصر) .

وفي أسطورة أمنون وثامار (ثامار ـ عشتورت خبازة الخبز (العجين)نصفها شابة ونصفها امرأة أخيها ـ أرض الصيف والخريف؛ وأمنون ـ تموز نصفه شاب ونصفه زوج وأخ في نفس الوقت، بالمطابقة لشمس الصيف والخريف)؛ وفي أوصاف (صفات) داود (اسمه منبثق من دود ، ألوهية التموز، وهو أشقر مثل مزج خصلات شعره ترمز إلى قرون الشمس ، ومثله يرمز أيضاً أبشالوم في شعره لبطل الشمس)؛ وفي صفات سليمان (يرمز إلى الشمس الغائبة في نصف السنة الثاني، صورته في بابل – نبو ، إله الخريف، من هنا حكمة سليمان لأن نبو إله الحكمة والكتاب) .

والأمر باختصار ليس فقط التفاصيل تطابق روايات الخرافة البابلية بل بمثابة أساس لكل روايات الأسفار التاريخية في العهد القديم الموجهة بأسلوب محدد وثابت ، هو أسلوب علم التنجيم البابلي المرتب نظام العالم وطرق الأحداث على أساس قوانين خطة السماء ، وترى فيه فقط علامات وتعبيرات للأحداث السماوية.

١١- يرمياس

ولأن فينكلر وتلميذه يرمياس - الذى لم يبتعد عن أسلوب أستاذه - لم ينكرا وجود جوهر حقيقي لأحداث الأسفار التاريخية في العهد القديم، وكشفا القناع الذى على أساسه حاكى العبرى القديم علم التنجيم البابلي، ووضعها في نطاق الفلسفة التى توضح الأحداث وتنظمها وسط رؤية العالم المقبولة له من الثقافة البابلية ؛فقد ذهب ينسن إلى أبعد من ذلك .ففى كتابه "أسطورة جلجاميش فى الأدب العالمى "رأى أن كل روايات العهد القديم ليست سوى نسخ مختلفة ومتغيرة لأساطير الملحمة البابلية، وأن كل أبطال التاريخ العبرى القديم لم يوجدوا ولم يخلقوا، بل هم نتاج الميثولوجيا وهم أبطالها بأساليب مختلفة ، حيث تختلف هذه عن تلك على أساس السبط والمكان.

١٢- دليتسش

إلى هذا الحد وصل الاتجاه البابلى الشمولى فى نقد العهد القديم .فقد اتجه إلى البحث فى الكتابات المسمارية دعمًا وتوضيحًا للكتابات المقدسة .وندهش لكثرة وجوه التشابه إلى حد التطابق الكامل وأدى إلى فقدان الإحساس بقوة الكتابات المقدسة .وأصابت هذه التداعيات الفكرية الجديدة الباحثين الجدد بالانبهار .وأثرت سلبا على الوضع المميز للكتابات الأدبية لجماعة بنى إسرائيل وإحياء الرغبة القديمة لدى بعض الدوائر فى نسبة قيمة العهد القديم إلى شعوب أخرى خارج جماعة بنى إسرائيل ، بل ربما خارج الساميين الأمر الذى شجع أيضا على الابتعاد عن مجالات العالم العلمية وطرح الأسئلة حول العلاقة التاريخية بين العهد القديم وبابل والتى تحولت بسرعة إلى قضية بين هاتين الثقافتين.

وقد تحول فريدريك دليتسش فى خطبه العلنية إلى طرح قضية "مَنْ أقدم مِنْ مَنْ ؟ "إلى قضية مَنْ انتصر على مَنْ ؟ وقد كانت الإجابة طبقًا لفهم السامعين أصحاب التأثير فى العالم النصرانى وغير المتحمسين لإسرائيل .فقد وجد دليتسش فى قوانين

حمورابي درجة أخلاقية متسامية أكثر من تلك الموجودة في سفر العهد ، وفي رأيه تفوق قصائد المزامير البابلية قصائد مزامير العهد القديم ، وأنبياء يهوه هم عنده أنبياء العزلة والاستعلاء الذين ماتوا حقداً على الشعوب الأجنبية وبذلك حطوا من قدر القوة الأخلاقية في إرث بابل. كما أن بابل كانت مصدر فكرة وحدة العالم والأخلاق العالمية ، حتى إن أصل الاسم يهوه من هناك .وكانت هذه إحدى السقطات الكبيرة لبحث العهد القديم الرافض للمنهج العلمي .

١٣- بنو إسرائيل بين شعوب الشرق

ومع ذلك استمرت مسيرة البحث ، ولم تتأثر بهذا الحدث العارض في تاريخه . وقد أفاد الجدل الشديد الذي نشأ بمناسبة كشف الاتجاه البابلي الشمولي في الوقوف على أهمية الثقافة العبرية وأدبها داخل ثقافة الشرق. كما أفادت الاكتشافات البابلية سوياً مع الحفائر المصرية كثيراً في كشف العلاقة بين بني إسرائيل والشعوب التي عاشت بينها .وقد كتب بينتش ومارتي وسيلين أبحاثهم المختلفة عن تاريخ بني إسرائيل وديانة العهد القديم في ضوء ثقافة شعوب الشرق وكلوا عن رؤية عالم العهد القديم في شكل مستقل ومنفصل عن كل ما حوله .وتم الكشف عن وجه الشرق القديم وانبعثت منه الأشعة المضيئة لتنير تاريخ بني إسرائيل في عصر العهد القديم، الذي كان مادة متفاعلة وخلاقة ، تتغذى على معطيات شعوب الشرق وتغذيها .

القسم الثانى

النقد العلمى

الفصل الحادى عشر

الاتجاهات الحديثة

١ - تشعب المصادر

انحصرت مدرسة فلهاوزن في بحث أسفار العهد القديم والتعرف من خلالها على تسلسل أحداثه ، حيث لم تتوقف عند حدود التعرف على طبيعته فقط وكما ذكرنا فقد انتهى البحث بعد عدة أجيال على يد علماء نظرية تقسيم المصادر ، وعلاوة على هذا التقسيم للمصادر فقد أضافوا تشعيب المصادر التى اعتبرت كاملة وتامة .وبدأ العلماء يقررون بصورة تدريجية أن كل مصدر من المصادر الأربعة الأساسية مركب من مصادر مختلفة ومن أجزاء مميزة ، وبخاصة فيما يتعلق بالمصدرين اليهوى والألوهيمى ، اللذين هما طبقا لرأى هذه المدرسة نتاج مؤلفات شعبية ، ولأجل هذا تكثر فيهما القيم والأساليب، والإشارات للمكان والزمان، وتنقصهما الوحدة الداخلية المميزة أكثر للمصدرين التثنوى والكهنوتى .وبدلاً من المصدر اليهوى الكامل بدأ الحديث عن اليهوى أ ، واليهوى ب، واليهوى جـ إلى أخره (واستخدمت كإشارات لطبقات مختلفة داخل هذا المصدر) وأيضاً بدلاً من المصدر الألوهيمى الكامل افترضوا الألوهيمى أ ، والألوهيمى ب ، والألوهيمى جـ وغير ذلك .فنظرية المصادر تطورت مرة ثانية من جديد من نظرية وحدة المصدر إلى نظرية الأجزاء المنفصلة ، حيث اختفى هذا الاتجاه التقليدى وقلت قيمته العلمية.

٢ - زمن الحصاد

وقد وصل علم العهد القديم بذلك إلى جنى الثمار حيث قام جيل من العلماء بتلخيص النتائج وتحديد الغث من الثمين، لتمهيد الطريق العلمى أمام الاتجاهات المعاصرة وجمع نتاج البحث العلمى لتستفيد منه الأجيال على مر العصور.

٣ - ألوان قوس قزح والعهد القديم

وحاول بويل هويفت جمع نتائج نقد النقد بتوجهه مع جماعة من الباحثين لإصدار العهد القديم وتحديد المصادر بالألوان المختلفة مستخدما ألوان قوس قزح المتعددة ، حيث طبع كل مصدر من المصادر بلون والمصادر المنبثقة عن المصادر بلون آخر ليظهر للعين .أما ر .كيتل فقد جمع النقد النصى وتعديلات النصوص التي تم التحقق منها والتعرف عليها، وذلك في طبعته العلمية لنسخة العهد القديم .

٤ - تفسيرات نوفاك ومارتي ودرايفر

أما فيما يتعلق بنتائج الحفريات وتوافر الوثائق الأدبية والفنية الموازية للكتابات المقدسة والمساعدة في فهمها، والتي اكتشفت في بابل وأشور ومصر . فقد قام بجمعها ومعالجتها وترتيبها ومقابلتها، كل من هـ .جيرسمان مع زميليه أ .أونجناد وهـ .رانكه. وأما نتائج علم العهد القديم الكاملة فقد جمعها المفسرون الجدد للعهد القديم، الذين اعتمدوا على أعمال نوفاك ومارتي باللغة الألمانية، ودرايفر . وبلومر وبريجز باللغة الإنجليزية.

وقد تمت التفاسير الرئيسية لكل سفر من أسفار العهد القديم، وتم شرح كل نص بواسطة مفسر من شيوخ النقد التاريخي، وجمعت كل نتائج البحث التي تحققت بواسطة العلم ، وتم التسليم بها كقانون، وأصبح قانون التطور التاريخي الحجر الأساسي لكل معلمي مدرسة فلهاوزن في نقد العهد القديم ولكل الأعمال التابعة لمناهجهم ومدارسهم.

ومع هذا التطور العلمي والفكري أصبح من السهل للبحث العلمي التغلب على جدل تعدد المصادر الذي ساد نقد العهد القديم في بداية هذا القرن، وأدى إلى تغيير هذا النمط .وقد رأينا بالفعل من خلال الاختلافات بين "الكتابات المسمارية والكتابات المقدسة "التصورات الجديدة التي استمرت وفتحت طريقاً جديدا للبحث . فمن خلال الموازنات والمقارنات التي تمت بين كتابات بني إسرائيل ووثائق بقية شعوب الشرق اتضح أن ثقافة بني إسرائيل لم تنبعث من وحدتها . بل مرتبطة وملتصقة بالحياة الدينية والاجتماعية لشعوب الشرق . ومتأثرة بتراثهم، ومع ذلك فإنها لم تشوه جوهرها . بل حافظت على قيمتها وقوتها .وفيما يتعلق بأسلوب النقد الذي ساد في الأدب العالمي على مشارف القرن العشرين، والذي توجه إلى البحث النفسي والجمالي (علم الجمال) في الأعمال الأدبية فقد أصبح على الناقد الحصول على المعرفة اللغوية والتعرف على البحث الفيلولوجي . كما تطلب أيضا معرفة الحالة النفسية المباشرة للمُؤلِّف والروح المسيطرة عليه، وهذا ساعد أيضًا في تطوير هدف جديد لنقد أدب العهد القديم .كما تطور أيضا بحث الوثائق الجديدة التي كشفت بواسطة علماء المصريات وعلماء الدراسات البابلية، مثل القصائد الغنائية في المزامير وأشعار المديح، التي كانت في البداية تبدو لا قيمة لها عند النقاد . وتسببت فقط في تدهور قيمة الكتابات المقدسة .

وقد ساعدت هذه الوثائق في تمييز صورة هذه المؤلفات وأساليبها وأنواعها. وبصورة تدريجية نجح نقاد العهد القديم في الكشف عن الوحدة الأدبية والتعرف عليها من بين غبار العصور كاملة وسليمة ، وبمجها في مادة واحدة.

٥ - جونكل وكتابه "تاريخ الأدب"

وبالنظر إلى عمل إبرينئيل ، والوقوف على أسلوبه، ومعرفة ما تنبأ بن هيردر ولم تصغ له أذن، وما حاول أن يكمله د .كاسل ولم تمنعه قوة، يمكن القول بأن البحث العلمي الحديث قد شق له طريقا واضحا ، وخطا به جونكل خطوة للأمام .فقد عرف من خلال تاريخ أدب شعوب الشرق أن الأدب لم يكن من بدايته مدونًا .وقد ابتدأ الأدب بقصائد وأمثال، وفرحة الانتصار، ورثاء الموتى، ومؤلفات قصيرة، وقواعد قانونية وطبية، وصدى أحداث ورفقاء ، واضطرابات الشعب .كل هذا تم إعلانه مشافهة عن طريق مغنين أو رواة جيلا بعد جيل .وقد تعقب هذه الأمور داخل نصوص العهد القديم، فوجدها سواء في صورتها القديمة أو في شكل صدى يتم ترديده وكما هي مطمورة داخل المؤلفات الأدبية للأنبياء .فرأى لابان يرافق يعقوب وبناته "بالفرح والأغاني بالدف والعود" (التكوين ٣١: ٢٧) ووجد النبي يتفاخر لسقوط صور التي يجعلها قيثارة، ويغني لها " "كأغنية الزانية :خذى عود طوفي في المدينة ، أيتها الزانية المنسية ، أكثرى الغناء لكي تذكرى " (إشعيا ٢٣: ١٥-١٦) وكذلك أبطال الخمر، فمن بعد وليمة كانوا يغنون أغانيهم على كأس ملآنة ، وفي سبعة أيام الشرب كان الفتيان يحاجون ألغازهم (القضاة ١٤: ١٢) وعند موت شخص يجتمع حوله النادبون والنادبات ليواصلوا عليه النواح بالغناء، وقامت دبورا بالغناء لدعوة الشعب للحرب (القضاة ٥: ١٢) ، وعن طريق الأغنية هاجم الجيش أعداءه (الخروج١٧: ١٥؛ العدد ١: ٣٥-٣٦)، وبالأغنية كان البطل يمنح صوته بحديثه لأعدائه بدلا منه (التكوين ٤: ٢٣) ، وقابلت بنات إسرائيل البطل بالأغنية عند عودته منتصرًا من ساحة المعركة (الخروج١٦: ٢١، صموئيل الأول ١٧: ٧) وبعض هذه الأغاني القديمة ،أو كلها قليل في كمه، ذو تعبيرات محدودة ولا تزال باقية داخل العهد القديم، وبهذا طعن في بداية أدب بني إسرائيل،ولأن أسباط بني إسرائيل القديمة توسلت للمياه أثناء حفرهم بئرًا في أرض صحراوية، رفعوا صوتهم مغنين:

"اصعدى أيتها البئر! " : أجيبوا لها.

بئر حفرها رؤساء،

حفرها شرفاء الشعب .

بصولجان بعصيهم . (العدد٢١:١٧-١٨)

وبسبب أخذ تابوت العهد مع الجيش لكي يقف إلى جانب إسرائيل فى خروجهم لمواجهة العدو، ابتهل الجيش:

قم ، يهوه ،

فليتبدد أعداؤك،

ويهرب مبغضوك من أمام. (العدد١٠:٣٥)

وعندما أعيد التابوت إلى الهيكل صرخ الشعب صرخة الفرح فى مقابلته :

ارفعن ، أيتها الأرتاج ، رؤوسكن،

وارتفعن أيتها البوابات الدهرية،

فيدخل ملك المجد. (المزامير ٢٤:٧)

وفى رؤية النبى فى نبوءة شعوب الأرض فى سيرهم في نهاية الأيام للسجود على جبل بيت يهوه، وها هو يسمع أغنية العائدين مقتحمين أيضاً بأصواتهم:

هلم نصعد إلى جبل يهوه،

إلى بيت إله يعقوب. (إشعيا٢:٣؛ ميخا ٤:٢) .

وَقدمُ الأساطير القديمة والموروثات التاريخية التى كانت منتشرة فى بنى إسرائيل مثل أقوال الأناشيد، والأقوال المأثورة للقضاة وتعاليم الكهنة، وأمثال الشيوخ الراسخة فى الأذهان تلك هى الأساطير القديمة عن الخلق وجنة عدن وأبناء الله الذين جاءوا لبنات البشر والطوفان وجيل الانقسام تلك الأساطير القديمة قصيرة وكل أسطورة قائمة بذاتها.

وبعد ذلك ترد الأساطير الطويلة والمرتكزة حول شخصيات (موسى، يشوع، جدعون، عالى وصموئيل داود وسليمان إيلياهو والأنبياء)، واتصفت الشخصيات نفسها بقوة عظمتها، والتفاصيل مشوشة، والمعجزات متزايدة ، ومع ذلك استمرت وتطورت عنها الرواية التاريخية.

أيضاً كانت أقوال يهوه ووصاياه لبني إسرائيل في حالتها القديمة أقوالا مأثورة قصيرة وواضحة وحادة ومألوفة في أفواه الكهنة معلمي الشريعة (ربما حفظ منها ما ورد في الخروج٣٤:١٤-٢٦) وبعد ذلك ضمت للوصايا العشر (الخروج٢٠، التثنية ٥) . وكذلك فإن قوانين سفر العهد قديمة في صورتها وقصرها (الخروج ٢١-٢٢)، وبعد ذلك تطورت عنها التعاليم حتى أظهرها رجال الأدب في القرن الثامن قبل الميلاد وأخرجوا الأدب من نطاقه الشعبي و بدأ الأنبياء خطباء فحسب ونقلوا أقوالهم أمام الشعب، وتنبؤا في البداية نبوءات قصيرة وقاطعة، وبمرور الزمن فقدت أجزاء هذه النبوءات وتطورت إلى مواعظ حتى ظهرت اللفائف والأسفار.

٦ - بحث الأجناس الأدبية

وقد انتهى جـــونكل من دراسة كل هذه الأجناس الأدبية، الشعرية (المثل ، أقوال النبوءة، والأنشودة الغنائية) والنثرية (الخرافة، الأسطورة، الحكاية، والرواية التاريخية)، ثم شرح هذه الأجناس واحداً واحداً حسب أنواعها، سواء القصائد الدنيوية (أغاني السخرية، أغاني الخمر، أغاني الحب ،أغاني الزواج، أغاني النصر ، أغاني الملك) أو القصائد المقدسة "الدينية" (التمجيد والتسابيح مراثي الجماعة، والمراثي الشـخصية ، المزامير والتضرعات) وبتعمقه فيها وفي عالمها الفريد في كل نوع وجنس، وجد الصور الثابتة لكل جنس من هذه الأجناس، وكذلك طرق تطورها من درجة إلى درجة.

وانتهت مدرسته من وضع قاعدة أن الأدب القديم والبدائي كان أكثر ارتباطاً بالأصل الثابت ، والأسلوب المألوف، وحذر جداً فيما يتعلق بتجديد صورته والحرية الأدبية وساعد تحديد هذه الأنماط كثيراً في تطور طرق نقد بحث العهد القديم وتطوير طرق جديدة للتمييز بين المؤلفات الأدبية المختلفة في العهد القديم واستخراج الصور منها .

وقد عمقت الكنوز الأدبية من الأساطير والتمجيدات التي قدمها علماء بابل ومصر أثناء تنقيباتهم المعرفة بأنماط الكتابات، ووجهت بحث التاريخ الأدبي لبني إسرائيل تجاه فهم تاريخ الأسلوب والصورة وبدا السؤال عن المؤلف وعصره بمثابة خطوة هامشية بسبب تمركز الأسئلة حول الجنس الأدبي والعصر الذي ينتمي إليه الأسلوب والبيئة الاجتماعية التي انتشرت فيها جذور هذه الكتابات.

٧- بوده وجيرسمان

لم يكتف زملاء جونكل وتلاميذه بتقسيم المادة إلى أجناسها فحسب، إنما انشغلوا أيضاً ببحث الأنواع الأدبية ذاتها .وقبل جونكل عالج بوده قصائد الرثاء في العهد القديم وأساليب تطورها (من المرثية الجماعية إلى المرثية الفردية، ومنها أيضاً المرثية التهكمية على سقوط العدو) وبحث بعد ذلك قصائد الزواج في العهد القديم .وفي كتابه عن تاريخ الأدب حاول الاستمرار في تلخيص كل هذه الأبحاث .كما أن جونكل نفسه بحث في أسلوب الأساطير في سفر التكوين .ووجد جيرسمان .في نشره الأساطير عن موسى ونهاية الأيام وتعبيراته الكاملة ،اتجاهاً أدبياً جمالياً عبر عنه في إصداره الجديد لأجزاء الكتابات المقدسة" :مختارات وترجمات لمثقفي العصر، وصدر ذلك بواسطة جيرسمان وأصحابه.

٨ - أدب شعب فلسطين في العصر الحاضر

وهكذا استحدث لنقد العهد القديم أساليب بحث جديدة لم تكن معروفة عند السابقين، وهذه الطرق الجديدة سوياً مع البحث عن المصادر المتعددة أتاح منابع جديدة منها منبع المؤلفات الشعبية في العصور القديمة جداً، والتي لم تتوقف عن دفع مجالات البحث إلى التقدم والازدهار حتى الآن.

وفي الأونة الأخيرة كشف هذا الاتجاه للنقد الأدبي مجالاً جديداً ، وهو أن فهم العهد القديم وإدراكه إنما يتم من خلال حياة أرض فلسطين وسلوك سكانها في هذا العصر.

فرغم آلاف السنين التي تفصل بين عصر العهد القديم وعصرنا، ورغم التغييرات العديدة والاضطرابات لم يحدث تغيير شديد بين زعماء سكان فلسطين، حتى تجمدت واستقرت بعض مظاهر الحياة، ومظاهر الابتكار .وثبت نتاج العصر النموذجي في بعض الطبقات في مظاهر عديدة .فبحث هذه الحياة وبخاصة بحث الأدب صار وثيقة جديدة لكل من أراد الوقوف على كشف السر النهائي لشكل مؤلفات العهد القديم.

٩ - دالمان وليتمان وكنعان

قام جوستاف دالمان ،أحد أفضل باحثي فلسطين في عصرنا، بجمع القصائد

التي يرددها البدو الرحل عبر النهر وبين الفلاحين سكان الريف في فلسطين :قصائد دنيوية مثل : (القصائد التي تنشد في الحقل، وفي البيت، وفي الصحراء، وبالقرب من المرعى، وعلى البئر ، وعلى النار المحترقة، وفي المقهى، وأغاني الميلاد، وأغاني الزواج، وقصائد الرقص، وقصائد النهب ... الخ) ، والقصائد الدينية مثل (الحج ، ومراثي الموتى، ومزامير التضرع ...الخ) . وبعده أصدر ليتمان مجموع الأساطير المتداولة وسط بدو فلسطين والأغاني المنتشرة بين الفلاحين، وجمع د. كنعان الأقوال المأثورة وسخريات عرب الريف قبل أن تختفي منها علامات الأسلوب القديم .ونشرت مادة وفيرة استخدمها أولاً وقبل أي شئ باحثو الأشكال الأدبية في العهد القديم. واستخدموا على وجه الخصوص أغاني الزواج للمادة الموازية في نشيد الأناشيد واضطروا إلى عقد مقارنات أسلوبية ليس فقط على مستوى المضمون بل أيضاً على مستوى الشكل واللغة .

وهكذا استمر المجال واسعا أمام علم العهد القديم ليستمد هذا المنبع الجديد مادة لفهم أساليب الحياة، والحياة الاجتماعية لبني إسرائيل في عصر العهد القديم. وعلى الرغم من قدم هذا العلم فإنه كان لا يزال في مهده .وطوال العصور التي كان فيها بحث العهد القديم إرث كهنة الدين وباحثيه فحسب، لم يتم الانتباه مطلقًا للبحث الاجتماعي ، ولكن عندما فتحت كنوز شعوب الشرق اتسعت آفاق البحث، وألقي الضوء أيضًا على حياة الأحداث الاقتصادية والاجتماعية .

١٠- بوهل

وبالفعل لقد تمت بعض الخطوات في هذا الاتجاه ، غير أنها بقيت متناثرة وقليلة .وعلى عتبة هذا القرن الجديد كان فرانتز بوهل يحاول كشف صورة الحياة الاجتماعية لإسرائيل في عصر العهد القديم، كما أن مؤلفي الآثار القديمة المرتبطة بالعهد القديم رفعوا هذا الموضوع إلى مستوى فرع علمي قائم بذاته.

١١- ماير

ومنذ أن أسقط الحاجز بين بحث العهد القديم وبحث الشرق أعطيت الإمكانيات لدعم الباحثين في تفسير الأحداث .وبما أن المجالات قد اقتربت، بدأ الباحثون أيضًا يتبادلون مهامهم، ويكملون كل واحد منهم الآخر .وبقدر ما اكتشف باحثو العهد القديم اقترابهم من نقد الكتابات المسمارية واتضاح رؤيتهم لعالم البابليين، وطرق تطور

الدين في الشرق القديم بقدر ما اقترب مؤرخو الشرق القديم وباحثو النظم الاجتماعية القديمة من مجال حياة بني إسرائيل-متزودين بوسائلهم البحثية وخبراتهم، ومتجهين إلى التفاصيل الخاصة بتفسير حياة المنطقة ، وتركيب الطبقات الاجتماعية داخل جماعة بني إسرائيل ، وعلاقات الطبقات ببعضها في الداخل وكذلك علاقاتها الخارجية. فكل من ادوارد ماير المؤرخ العالمي صاحب المنهج الشمولي في دراسة الشعوب القديمة في كتابه "بنو إسرائيل وأسباط جيرانهم" وبعده ليمان - هويت أخرجا تاريخ بني إسرائيل القديم كلية من زاويته المنعزلة، وأدخلاه داخل القوى العديدة في الشرق القديم .فلم يكتفيا هم ومجموعة من الباحثين الذين انضموا إليهما - ببحث المقابلات الدينية والأدبية بين نتاج إسرائيل والثقافة الدينية لبقية شعوب الشرق فحسب، إنما تأملوا جماعة بني إسرائيل بوصفها جزءا جوهريا من جماعة شعوب الشرق ، حيث تربطهم خيوط اقتصادية وسياسية كثيرة ، وأثرت عناصر مشتركة في تطورهم منذ بداية تكوينهم.

١٢- كلاينرت وفيبر

فحص باول كلاينرت باهتمام المنبع الاجتماعي، ومصدر الأهداف الاجتماعية لأنبياء إسرائيل .أما ماكس فيبر فقد أفرد كتاباً خاصاً لليهودية القديمة ، وذلك ضمن مجموع أبحاثه عن الاجتماع الديني، حيث نظر إليها من خلال وجهة نظر التركيب الاقتصادي والاجتماعي لطائفة الفلاحين العبريين في العصور القديمة، ومن خلال الكتابات الفريدة المتناثرة في ثنايا روايات الأحداث في العهد القديم عن الجنود ورؤساء الجنود والمدن وأبطالها والشيوخ ورؤساء بيت الآباء، الرؤساء وبسطاء الناس، المعدمين والمتعجرفين، الفقراء والمبغوضين ،الأجنبي والمقيم، المرافقين والمواطنين، الملك وعبيده ، الزهاد والأنبياء، العهد والقسم، فبرز له في ضوء أبحاثه الاجتماعية داخل كل الطوائف الدينية في التاريخ القديم، صورة شاملة عن الحياة الداخلية وسبل تطورها المثيرة للابتكار العلمي ودفعتها تجاه انتصارات جديدة في بحث تاريخ الثقافة العبرية.

١٣- نقد النقد

لقد غيرت جماعة المؤرخين المتخصصين في التاريخ القديم والباحثين في الحياة الاجتماعية والثقافية بحث العهد القديم مع الأخذ في الاعتبار أن هذه الجماعة

أصبحت خبيرة بما فيه الكفاية فى بحث العهد القديم، وإن لم تمتلك مطلقا أرشيفات ، وقد كشفت عن أهمية فرعهم العلمى والنتائج التى توصل إليها نقد العهد القديم فى تطوره التاريخى، وخرجت مفتقرة لقانون التطور الجوهرى الذى وضعه فلهاوزن بمثابة حجر الأساس لفهم الكتابات المقدسة سوياً مع تقسيم المصادر، وتحديد ترتيبها وروحها، وفقًا لما رسمته هذه المدرسة .

وقد تطورت رؤية مدرسة فلهاوزن عن تأخير زمن بداية حياة بنى إسرائيل بفضل نتائج بحث المصادر مع قواعد البحث التى كانت مأخوذة جميعها من موضوع الأدب المبحوث . وتجددت الرؤية كثيراً مع الوضوح الكبير الذى جاء من خارج نقد العهد القديم والذى أضاء العصور القديمة وأزال الغموض حولها .

وما اعتبر سابقًا مجموعة منفصلة ومنعزلة تطور وتشابك داخل النسيج المتنوع للثقافة العالمية . وما رأوه من قبل فراغًا ، امتلأ ضجة بحياة مجتمع ونتاج جماعة .

القسم الثالث

النقد عند اليهود فى القرن التاسع عشر

الفصل الثانى عشر

علم الدراسات اليهودية فى الغرب

١ - مندلسون ومدرسته

عندما تعمق علماء العالم في بحث أدب العهد القديم، أسسوا مجالات وكشفوا أسرارا .وتقدم الابتكار العلمي من انتصار إلى انتصار، وتحرر النتاج المدهش لبني إسرائيل من "أثقال الموروث "التي تكدست عليه خلال عصور عديدة، وبنفس القوة واصل التقدم في هذا الجانب .

فرأينا في العصر الوسيط أكثر من مرة قوة الاستنباط لدى بني إسرائيل .ولم تتوقف روحهم الثائرة من أن تمهد طرقًا جديدة في فهم العهد القديم .ولأكثر من مرة أثر ذلك أيضًا على بحث العهد القديم في الخارج .ورأينا في عصر سبينوزا ضوءا ينفذ، ويبرز من مخابئ التفاسير عند الإسرائيليين ليضئ طريقًا لباحثي العهد القديم في ذلك العصر . غير أن في عصره كان المنبع غامضًا بالفعل . وطريق النقد، لم يتوقف ليصبح مألوفًا وسط كل أدب الماسورا، وداخل الأدب الجدلي وأدب المواعظ (المدراش) وعلم الباطن (السود) .

كما توقف أيضًا تعليم بحث العهد القديم عن احتلال المكانة الرئيسية في المدارس التعليمية، وأفسح المجال للتلمود ، وسيطر التلمود بالإكراه أيضًا داخل المجالات التي خصصت للعهد القديم .وسار الشعب بصورة عامة وتأمل في عصر العهد القديم من خلال زاوية التلمود والمدراش.

واستمر هذا الوضع إلى أن حدث التغيير الأساسي في الحياة الروحية بين اليهود على عتبة القرن التاسع عشر .فحتى بداية هذه الفترة الجديدة تغيرت القيم أيضًا في مجال العهد القديم .وقد بدأ ذلك في الغرب وبلغة أجنبية .فشق مندلسون لنفسه ولأرائه طريقًا بين اليهود بواسطة ترجمة جديدة للتوراة ، وعلى أساس من تفسيره لها .وكانت بداية عمله وعمل تلاميذه فصل طبقات المدراش والأسطورة وهو عمل تفوق على العمل في أسفار العهد القديم ، وذلك بالعودة إلى ربي شموئيل بن مئير وابن عزرا وربي دافيد قمحي.

وتم التخطيط لعمل ترجمة ألمانية للتلاميذ ومعلميهم تكون حافزا على الارتقاء بالذوق ، وأيضًا لنشر معرفة الألمانية بين اليهود ، حتى لا يضللوا أنفسهم أكثر من ذلك .وقد صدرت فعلاً الترجمة والشرح بعد أن اشتهرت كتب أستروك وأيشهورن.وبعد أن تجمع بالفعل حول أيشهورن جيل من الباحثين ، غير أن هؤلاء أثروا على الترجمة

والشرح تأثيراً ضمنياً .فلم يذكر الربي موشيه مندلسون أستروك مطلقًا ، وذكر بالثناء "مدخل إلى التوراة "لأيشهورن ، وسمح لنفسه أن يقتبس من عنده فقط الأقوال المتصلة بالاختلافات داخل التراجم، وكانت كل مادة البحث عن المصادر المختلفة للتوراة - التي ترسخت في ذلك العصر - لا تزال بعيده عنه .ومن أقوال موشيه مندلسون : "من الآن ليس هناك شك بأن موسى ربينو عليه السلام سمع كل الأقوال بإرادة الله مع كل التقدير للتشكيل والتنغيم المنسوب إليها سواء في قواعدها أو تعبيراتها، والتي لم يختف منها أمر، وهكذا أعلنها ليشوع ويشوع للشيوخ، وهكذا تسلسل هذا التقليد المتوارث جيلاً بعد جيل".

٢ - آباء علم اليهودية

وسار على مناهجه تلميذاه اللذان اشتركا معه في عمل التفسير وهما :الربي شلومو دوفنا (في تفسيره لسفر التكوين) ونفتالي هيرتس فيزل (في تفسيره لسفر اللاويين) .

وإذا تجرأ مندلسون مرة وخرج في ترجمته ضد المفسرين المعترف بهم ، أسرع تلميذاه ، وبقية أعضاء التسير في البحث عن دعم لأقوال الربي في أسفار المفسرين الآخرين ، لتنقيتها بتلك الوسيلة في نظر القراء .وإذا تشجع مرة شلومو دوفنا ويعدج عن المجالات التي حددها الربي واقترب من الأسئلة التي أزعجت الباحثين آنذاك، تغلب على رغبته واكتفى بإعلان ملاحظة أنه لا تزال عنده أقوال (انظر على سبيل المثال تفسيره لسفر التكوين١٢:٦ - فقرة "والكنعاني آنذاك في الأرض "فيقتبس أقوال الرب شلومو يتسحاقي ويضيف "ولا تزال توجد لدى أقوال في هذا، وإذا أطال الله في العمر فسوف أفصل ذلك في موضع آخر) .

وتجنب أقوال مندلسون عن صور الشعر العبري في العهد القديم وأنواع وزنه الثناء لنفسها .فمنذ ذلك الحين ساد في فكر العديد من باحثي العهد القديم اليهود الاعتراف بوجود وزن لقصائد العهد القديم .فقال عزريا من هأدوميم " يقول لي عقلي، إنه يوجد بلا شك قواعد ونظم للأشعار المقدسة التي ذكرناها، غير أنها لا ترتبط بعدد الحركات ، سواء في وحدة كاملة أو غير كاملة، مثل القصائد السائدة حاليًا عندنا ."
وحاول أيضاً تحديد أشكال القصيدة في العهد القديم مثل "مقال ذو نمطين "يمينك

يهوه – معتزة بالقوة – يمينك يهوه – تحطم العدو" (الخروج ١٥:٦) أو ذو ثلاثة أنماط (انصتي أيتها السموات فأتكلم – ولتسمع الأرض أقوال فمي" (التثنية ٣٢:١)، وقرر : "يجب علينا أن نثق في أن كل القصائد الموجودة في العهد القديم مثل أنشودة البحر، والبئر ، وانصتوا ، وقصيدة دبورا ومزامير داود وأسفار أيوب والأمثال والمزامير، تحتوى جميعها على وزن ونظام .

ويدعم مندلسون هذه الملاحظات للرب عزريا ويضيف عليها أيضًا بركة يعقوب وموسى وأمثال بلعام ونشيد الأناشيد والمراثي. وإصحاحات مختلفة في أسفار الأنبياء، ويقسم أجزاء القصيدة على أساس أدوات القصيدة التي كانت منتهجة في عصر العهد القديم والتي غُنيت على أساسها، وينصت بتذوق هام للوزن الواقع فيها.

وكان مندلسون أول من كشف وحدد وزن المرثية، المسلم به حاليًا في علم العهد القديم ("صياغة منظمة" للسطر ذي الثلاثة أنماط وللسطر ذي النمطين مثل : "فسقطت عذراء إسرائيل ولا تعود تقوم" (عاموس ٥:٢) ، أو حسب تعبيره "تحدث بإسهاب ونبب باقتضاب")وكذلك وزن أغاني الحب وقصائد المزامير ، وربما كان من ثمار تأثيره أن تلميذه الوفي شلومو دوفنا طبع آنذاك كتابه عن العزف (أسلوب الإنشاد) في أسفار أيوب والأمثال والمزامير باسم صاحب مؤلف النظرية .

وأصبح العصر عصر هيردر ، غير أن جوهر القضايا مرتبط بتاريخ تشكل أدب العهد القديم نفسه ولم يتشجع بعد أدب الهسكالا في ذلك العصر للاقتراب منها .وكان مندلسون يعرف بلا شك أن "المترجمين النصارى بما أنه ليس لديهم قبول لحكمائنا طيب ثراهم ...فهم يتعاملون مع أقوال التوراة مثل التعامل مع سور محطم .. يضيفون ويحذفون ويغيرون في توراة يهوه وليس فقط في التشكيل والنبر بل أحيانًا في الحروف والاختصارات . وعلاوة على ذلك فإنه لم يشجب كلية هؤلاء العلماء ".لأنه طبقًا لمنهجهم التوراة ليست سوى مصدر "لمعرفة الأحداث في العصور القديمة مثل سفر أخبار الأيام ، غير أنه إذا قبل ذلك علماء الشعوب وتلاميذهم، فإنه ليس مقبولا لدى اليهود ."وهكذا تم تقرير مصير بحث العهد القديم في مدرسة مندلسون.

٣ – الإصلاح والعهد القديم

كانت العناية بالتفسير الحرفي (البشاط) والارتقاء بالتذوق (النبر) تمثل الخطوات الأولى لحركة الهسكالا في مجال العهد القديم وعلى مجد شيوخ هذه

المدرسة نشأ جيل من الباحثين دعموا قوتهم بتأويل فروع العلم وطرق البحث المتبعة في عصرهم لتدل على قدم إسرائيل واضطراب ماضيها والآراء العبرية التي تحررت، صارعت من أجل أحقية نشأتها وسيادتها التاريخية لتطبع أثرها أيضاً على القيم المسلم بها والمقدسة وكان من الضرورى لعلم اليهودية أن يوضح أنه قد شهد حدوث تغيير داخلي في اليهودية أكثر من مرة، حتى بعد أن أقرت بمصادرها المعترف بها، دون تجميد لروحها، أو لروح إسرائيل في السبي.

وباسم هذه الفكرة حملت أفكار حركة الإصلاح في الغرب، والتي كانت آنذاك مصدر علم اليهودية بتوجهه تجاه عصور ما بعد العهد القديم وقد كانت بداية مهمة علم اليهودية في ألمانيا تشويه حياة أجيال السبي، التي تبدو متجمدة وثابتة.

٤ - يوم طوف ليفمان تسونس

وفي عام (١٨١٨) نشر يوم طوف ليفمان تسونس، زعيم هذه الحركة العلمية ورائدها مؤلفه الأول الذي وجه فيه انتباه الباحثين اليهود وغيرهم إلى هذه الشعبة البحثية حتى قبل أن يعرف اسمها، وقد وضع في مؤلفه قواعد هذا العلم كما وضع الأساس لتصنيف عصور ما بعد العهد القديم وأطلق على مؤلفه اسم "قضية الأدب الرباني" وذلك بالتركيز على الربانين وليس على اليهود جميعا وفي أحد مقالاته الأولى فسر موضوع: "أدب العهد القديم" بأنه صيغ على أساس من الثقافة النصرانية، ولذلك كثر الباحثون فيه، أما الأدب المتأخر فهو إرث اليهود وحدهم وفي عصره نسي ذلك في بني إسرائيل ومَنْ مِنْ جيل ذلك الماضي ملزم بالاهتمام بهذا الإرث وبحثه.

وفي نفس الوقت جاهد تسونس في سبيل وضع نهاية لفكر دي - فته ووهب تسونس نفسه لهذه المهمة مدينا بالفضل لوجود متقنين للعهد القديم وبناءً على هذا اعتبر تسونس السماح ببحث العهد القديم بداية علم اليهودية وتمسك تلاميذه بهذا الأمر فنجد ليونارد جناس رائد الجمعية الأولى لعلم اليهودية التي تأسست (١٨٢١)، في خطاباته عن مهمة هذا العلم لا يدخل نقد العهد القديم في الحسبان. وكرس تسونس مؤلفاته لبحث أدب العصر الوسيط، وعندما توجه يوست لكتابة تاريخ اليهود في كل العصور لم يكتشف شيئًا جديدًا مطلقاً في عصر العهد القديم وصدرت

فى السنوات (٣٧- ١٨٣٨) ترجمة ألمانية كاملة للأربعة وعشرين سفرا المقدسة تحت إشراف تسونس نفسه، وبصورة عامة اعتمدت هذه الترجمة على إرث مندلسون كما كانت مقيدة بالماسورا.

وقبل عام من إصدار الترجمة ،أصدر هـ .إرنهيم تفسيراً باللغة الألمانية لسفر أيوب ،ولم يسمح لنفسه بالابتعاد عن نص الماسورا .وقد كان إرنهيم أحد مساعدى تسونس الأساسيين فى ترجمته .وقد كان م.زخس مساعد تسونس الثانى وفيًا للماسورا، فأصدر ترجمة وتفسيراً لسفر المزامير قبل عام من إصدار ترجمة تسونس، وعرف تسونس بعد ذلك أنه لا يمكن اتباع كل نسخ الماسورا، ومع ذلك فقد اعتمد عليها وكذلك فعل مساعداه الأساسيان فى الترجمة، وقد أثنى عليه أباء العلوم اليهودية فى ذلك الجيل.

لقد امتدح معظم مؤسسى البحث التاريخى بين اليهود البحث فى العصور المتأخرة، وأما عصور العهد القديم فكان الاقتراب منها غير مرغوب فيه .ومع ذلك فقد امتدح بصورة غير مباشرة . باستثناء بعض موضوعات البحث وبخاصة قصة الخلق فى العهد القديم . وأيضاً حياة الشعب وروحه فى عصر العهد القديم، وأما الموضوعات التى انتشرت بشكل واسع فهى تاريخ العهد القديم منذ تثبيته ، ومضمون هذا الأدب المقدس ومستقبله . والنسخ والتراجم وتفسيرها .وتم الاهتمام بالأسفار المتأخرة ذاتها مثل أسفار الكتابات وأخبار الأيام .واستهل تسونس بحث هذه الأسفار فى تأليفه الكبير : "تاريخ المواعظ (الدارشانوت) "، وبعامة نشأتها وقوة نتائجها .وحلل تحت مجهر النقد سفر المزامير، ووجد فيه العديد من المزامير التى وضعت زمن السبى البابلى ، وبعضها وضع بعد العودة بوقت طويل .وبعد توضيح مفصل وضع قاعدة وهى :أن الترتيب الأخير لسفر المزامير بدأ فى عصر واحد مع تأليف سفرى أخبار الأيام .وحلل بوضوح رائع مضمون سفرى أخبار الأيام ويحدد ملامحه التى اعترف بمعظمها كقانون من قبل كل باحثى ذلك العصر .

وقد كان رأى تسونس أن هناك هدفًا دينيًا محدداً للمؤلف الذى يرجع عصره إلى زمن الهيكل الثانى، ولهذا الهدف أخضع المادة التاريخية المتوافرة أمامه .وقد فحص - المؤلف - الماضى القديم من وجهة نظر عصره ودائرته دائرة الكهنة، ونسب للشخصيات النموذجية المعترف بها عند الشعب القيم والأفكار التى قدست فى عصره.

وفى البداية لم تكن أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا سوى سفر واحد ، وكان غرضه أن يحكى للجيل كل تاريخ مملكة يهوذا، وذلك فيما يتعلق بشأن الهيكل على رابيته، وكرسي داود في موضعه ، وذلك من وجهة النظر المعاصرة لحكومة الكهنة زمن الهيكل الثاني ثم اكتشف أن هذا السفر وهو أول أسفار الدراش قد ألف في عام ٢٦٠ق.م، وعلى أساس من هذه الحقيقة أدخل السفر فيما بعد داخل الكتابات المقدسة .وعلى أساس من وجهات نظر أخرى قرر تسونس :أن العهد القديم قد تم قبل زمن دمار الهيكل الثاني بفترة قصيرة، وبعد أن ترجم سفر ابن سيرا لليونانية .وقد تم الاعتراف برأى تسونس عن سفرى أخبار الأيام بكل ما فيه من تجديد وقد أقر به الربى نحمان كروكمل ، واتخذ كبناء أساسى لكل أسفار الكتابات من قبل أبراهام جايجر.

٥ - أبراهام جايجر

بدأ جايجر - بكتابه "النسخة الأصلية "والذى يمثل أساس كل مؤلفاته - يبحث زمن الهيكل الثاني منذ العودة من بابل وحتى عصر الحشمونيين .كما يربط التأثير الحاسم في أدب ذلك العصر بأبناء صادوق عشيرة الكهنة .فقد خرج من بينهم مؤلفو سفرى أخبار الأيام الذين رأوا أنه من الضرورى أن يؤلفوا لمعاصريهم من جديد كل ما حفظ في الأدب التاريخي السابق عليهم، لكن بصياغتهم، أى صياغة الكهنة ، الذين يرون في الهيكل وعمل الكهنة مركز حياة جماعة بنى إسرائيل .وكان قلقهم الأساسى يكمن آنذاك في محاربة النساء الأجنبيات اللاتى استوطنّ وسط الجماعة وأثّرن على روحها ، وقد وجد جايجر صدى لهذا الصراع في العديد من التغيرات التى بدلها مؤلفو سفرى أخبار الأيام عن روايات الأنبياء الأوائل .فها هو ذا يرد في سفر الملوك الثاني (١٢:٢٢) لأن يوزاكار بن شمعة ويهوذا زاباد بن شومير عبدى الملك يوآش فتنا فتنة عليه، وضرباه فمات .لكن نهض أصحاب أخبار الأيام وأضافوا : "وهذان هما الفاتنان عليه زاباد بن شمعة العمونية ويهوذا بادا بن شمريت المؤابية" (أخبار الأيام الثاني ٢٤:٢٦) فأرادوا التحذير من أن الشر داخل فلسطين مصدره من يتخذ زوجة من بنات الأمم الأجنبية .ويسرد صاحب سفرى الملوك ببساطة " :وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ، مؤابيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ... " (الملوك الأولى ١١:١) .أما في سفرى أخبار الأيام فقد

نهضوا وحذفوا كل هذه الأخبار من رواياتهم عن حياة سليمان، حتى لا يسخر أبناء من هذه الذرية الكبيرة ، وكانت ابنة فرعون فقط هي التي كانت الأخبار بشأنها منتشرة بين الجماعة ولا يمكن سكوت البحث عنها ، لذلك ذكروها بأسلوب عابر واستخدموها لهدف في تأليفهم : "وأما بنت فرعون فأصعدها سليمان من مدينة داود " (أخبار الأيام الثاني ١١:٨) ، وكما يبدو حتى لا تدنس المدينة المقدسة ببقائها فيها. وطبقاً لرأيه وتحت تأثير هذا الصراع كتبت أيضاً مجلة روث التي تناقش التمييز بين الأجنبية والأجنبية – بين روث وعرفة .

وتظهر علامات تأثير أبناء هذا العصر في بقية أسفار الكتابات وأيضًا في إصحاحات نبوءة إشعيا الثاني وزكريا الثاني (من الإصحاح ١٢ وما بعده)، ووضع جايجر بأقوال واضحة وجريئة قاعدة : "كل عصر، وكل حركة روحية ، وكل شخصية ، أقحمت داخل العهد القديم بواسطتهم ، ومعبرة عن وجهة نظرهم .ومن هنا حدثت الإضافات والشروح وكشف المعنى بأسلوب الدراش والرمز ...أما الوعي القومي والديني لكل عصر فقد اقترن كلية بهذه الثروة المقدسة، وعلى هذا الأساس أصبحت ملائمة له، فأبرزته داخلها وأنتجته بصورتها وعلى شكلها ." فكتاب جايجر بالكامل ليس سوى تفسير لهذا المضمون الكبير .

وقد تعقب جايجر الاختلافات بين الهالاخوت القديمة والهالاخوت المتأخرة، ووجدها قبل أي شئ داخل التراجم اليونانية والأرامية حتى أن عزريا من هآدوميم خصص في كتابه قسماً خاصاً للترجمة السبعينية، وحاول على أساسها وصف الطابع الروحاني لليهودية في الأسكندرية .واهتم قبله تسونس بتاريخ الترجمات في كتابه " تاريخ المواعظ "(الدارشانوت) . كما اهتم شموئيل دافيد لوتساتو في مؤلفه ("حب الغريب")الذي ألف بالعبرية بصورة علمية بترجمة أونقلوس .وكانت الترجمة السبعينية موضوع بحث زكريا فراينكل .واعتمد جايجر على هذه المقالات العلمية عندما بدأ عمله الكبير لتأسيس تاريخ الترجمات .وعمل أكثر من ذلك .فقد أدرك أن في هذه الترجمات تظهر سمات العصر والتي بسببها كتبت كل ترجمة من الترجمات .والتي حاولت أن تترك طبيعتها وطبيعة أسلوبها على أقوال التوراة .وتقف في بؤرة الحياة الدينية للأجيال المتأخرة – زمن الهيكل الثاني – حرب الفريسيين ضد الصدوقيين، وحاملي ماسورا الكهنة وحراس النسخ.

وبعد ثورة بركوخبا أهمل سبب النزاع واعترف برؤى الفريسيين كقاعدة دون معارضة لها، وبدأ الفريسيون تفسير (براش) التوراة طبقًا لروحهم وحسب تقاليدهم (هالاخوت) . وعرف جايجر صدى هذه الثورة من خلال أقوال الترجمات ،وبغير عقيلاس اليونانى كلية طبقًا للتقاليد (للهالاخوت) الجديدة الجوهر القديم للترجمة السبعينية، وفى نفس الوقت كان تئودتيون وفيًا للترجمة السبعينية ومنفذا لأقوالها.

وقد سادت نفس اختلافات وجهات النظر بين التراجم الآرامية الموازية لها، أى بين أونقلوس ويوناثان ،وبين الترجوم الأورشليمى الذى ينسب ليوناثان وهو ليس له، والذى يشمل طبقًا لرأى جايجر إشارات عديدة للتقاليد (للهالاخوت) الأولية .ويحلل جايجر من خلال وجهة النظر هذه أسفار الحشمونيين ،فيظهر الاتجاه "الصدوقى" فى السفر الأول و"الفريسى" فى السفر الثانى.

غير أنه خصص معظم سفره للتغييرات التى طرأت داخل مادة العهد القديم، بقصد أو بدون قصد ،وكرر كل ما قيل قبله بشأن المقروء والمكتوب، مقرا سوفريم وزخرفة الكتبة ، وما شابه ذلك ، تلك التى ذكرت فى التلمود أو التى لم تذكر، وأضاف أبحاثًا من عنده عن تغييرات الحرف وتغييرات التشكيل، وكشف أمامنا أسلوبًا كاملاً للتأثير المستمر والقائم بين وجهة نظر الجيل وبين تغييرات النص ،فأحصى عدد كل التغيرات التى حدثت فى العهد القديم لحفظ نقاء فكرة الألوهية، وتلك التى حدثت من أجل حفظ مجد بنى إسرائيل، وتلك التى حدثت من أجل الرغبة والتمتع بالانغماس فى الملذات ،وباختصار ،فإن كل جيل من الأجيال فى بنى إسرائيل قد نظر فى كتاباته المقدسة من وجهة نظره هو ،ونقص علامات القراءة سويا مع فقدان التشكيل سمحت بمساحة واسعة لكل جيل أن يظهر شروحا للتوراة تتفق وروحه .وعندما تكون هناك ضرورة خاصة لأمر ما فقد سمحوا لأنفسهم أن يضيفوا ويحذفوا ويوضحوا ويفصلوا ، ويعدلوا ويغيروا، لأن كتاب الكتب مفعم بالحياة ، ويرتبط بروح كل جيل ،وفقط عندما زادت التعديلات والتحريفات ،وبالغ المصححون فى عدم جمعها، قام أصحاب الماسورا واصطلحوا على المضمون الوحيد والمميز وحددوا علامات (رموزًا) وأغلقوا الباب فى وجه التحريفات.

ومع أن كتاب جايجر لم يقترب من تاريخ تكوين العهد القديم، فإنه فى أبحاثه عن تثبيت النصوص وعن أطوار الكتاب بعد التثبيت أفسح طريقًا للنقد العلمى ،ومن

الأفضل إضافة أن كتابه لم يلق قبولاً حسنًا في بيئته وفي الدوائر القريبة منه، حتى أن المجلة الفصلية "كتاب شهري لتاريخ اليهودية وعلمها "التي تصدر في مدينة جايجر تجاهلت الكتاب .وكان ليوبولد ليف مناضل الإصلاح في المجر الوحيد الذي ذكر الكتاب بالثناء من بين اليهود .

٦ - ى . بريستد . و ى . ش .بلوخ

ومن أجل هذه المشكلة الخاصة ببحث قضية القانونية وجمع كل المادة التي تبرهن على قانونية العهد القديم وتفاصيله، تفرغ لحلها في فترة واحدة اثنان من الباحثين اليهود الألمان هما نيوليوس بريستد و ى.ش .بلوخ .فالأول صاحب "تاريخ أدب العهد القديم والأدب الهلينستي"نشر في مجلة " الشرق" (أورينت) سلسلة مقالات جمعت بعد ذلك في مجموعة واحدة بعد عشرين سنة من صدورها لأول مرة .وتضمنت ثروة عظيمة عن معرفة أسماء أسفار الكتابات المقدسة ومعرفة مؤلفيها وتقسيمها وترتيبها من خلال أدب التلمود والمدراشيم . وبحث الثاني هذه القضايا في فصلية "رمر "في سلسلة مقالات، جمعت بعد ذلك أيضاً في مختارات أدبية .وبحث على وجه الخصوص في الأسباب التي أدت إلى الاعتراف بالقانونية ، ونقد أقوال البرايتا المعروفة في (بابا باترا ١٤ ص٢) عن ترتيب الأسفار وكتابها، ونفى عنها القيمة التاريخية، ووضح خاصة مهمة رجال الكنيسة الكبرى في تاريخ تثبيت العهد القديم.

وبلا شك فقد أثارت هذه الآراء في حينها غضبًا كبيراً . وقد أصبحت هذه الآراء في نقد العهد القديم منبعًا متدفقًا للصراع الذي دار حول حركة الإصلاح الدينية . وبالتأكيد ، وقد اتحد هذا الفريق ضد أبحاث ونظريات علماء العهد القديم غير اليهود . غير أنه في الوقت الذي استسلم فيه الإصلاحيون ، حرصوا على نقد العهد القديم ، واتبعوا مناهج هذا العلم وقد لاحظ معارضوهم هذا فاتهموهم بأنهم بمثابة وسطاء للخطيئة وحاربوهم في سخط شديد .

غير أنه بسبب هذا الأسلوب التقليدي للبحث العبري في مجال النقد العلمي للعهد القديم ، لم يكتف مرة ثانية بمسألة البحث في إقرار العهد القديم فحسب أو في مسيرته منذ عصر الإقرار، فقد انكشف عنه الستار وتجاوز قصة الخلق ، وعلى أية حال فقد نضجت العلوم اليهودية وبدأت تتحرر تدريجياً لتصبح أدوات خادمة للحركات الاجتماعية والدينية المختلفة.

ومع ذلك اختفى علم العهد القديم الشامل وخرج على أساليب تعدد الأجزاء والتكملات.تلك الأساليب الغريبة جداً للباحث العبرى الذى يعيش على المصدر العبرى للعهد القديم .وظهر على المسرح جراف رويس ، وكذلك كيوجن .واستمرت الآراء فى الظهور والتبلور فى أسلوب شامل مؤسس على قواعد التطور المتدرج .وآنذاك اتسعت حدود نقد العهد القديم أيضاً وسط دوائر اليهود ، وشقت الآراء الخارجية طريقاً لها، وبدأ الباحثون اليهود الخروج من انغلاقهم مزودين بأدوات بحث جديدة، وفحصوا قضايا مؤلفات العهد القديم فى ضوء الحرية الداخلية والموازنات العلمية.

٧- ح .شتينتيل

وكان حاييم (هرمان) شتينتيل أحد المؤثرين الأوائل فى هذا الاتجاه .فهذا الباحث اللغوى الحسن الروح والرقيق الإحساس .تتبع جذور لغة البشر وسر تطورها، ونشر فى عام (١٨٦٧) فى مجلته الشهرية "علم نفس الشعوب وبحث اللغة "بحثه عن أسطورة شمشون .وكان لا يزال مبتدئاً فى مجال نقد العهد القديم، قبل أن يتشجع ليحسم بعض القضايا المبهمة " .ولم ينشغل بقضية قيمة أسفار العهد القديم كمصادر تاريخية، أو زمن تأليف الأسفار المختلفة أو علاقة هذا بذاك .حيث كان لا يزال النقاش فى هذه الموضوعات مستمرا ومتواصلا، وفى محاضرته عن تطور أسطورة شمشون ، عالج المادة الميثولوجية المدمجة داخل أسفار الأنبياء والمزامير، واستخرج من داخل النصوص .ونظم ـ قبل جونكل ثلاثين سنة ـ كل ما يوجد داخلها عن رهب، والحوت ، والتنين والحية القديمة، وقارن الخرافة العبرية الموجودة فى العهد القديم مع تلك الموجودة عند شعوب الشرق .وميز بينها ووصف مضمون كل منها وصفًا دقيقًا ، وألقى الضوء على الأصول اليونانية لأساطير العهد القديم.

وصارت هذه الأحوال شائعة .والزمن أصبح زمن بزوغ شمس إرنست رينان ـ هذا المؤرخ الفرنسى الذى كان يبدو وكأنه محايد ـ ولم ينسبوا اسمه سرا لمؤسسى علم العهد القديم المسلم به .فقد قام فى كتابه "تاريخ شعب إسرائيل "بتحديد روح بنى إسرائيل وتحديد الملامح المميزة للشخصية القومية لجنس بنى إسرائيل ، تلك الجماعة الشرقية ، وبناءً على ذلك تغلغل فى عمق التوحيد عندهم .وقد وضع قاعدة وهى :أنه لا توجد أساطير فى بنى إسرائيل .فحياة أبناء سام ذات الطبيعة الصحراوية المهجورة والمنفية مفتقرة للتنوع ، وعديمة الخيال ، لم تنجح فى إنتاج أساطير قوية

ومتنوعة مثل بيئة الروح الهندية الجرمانية متعددة الآلهة .وبناءً على هذا فإن عقيدة بنى إسرائيل بوحدانية الألوهية هى من نتاج صفاء الصحراء ورتابتها .

وتظهر أقوال شتينتيل بشأن أسطورة شمشون وكأنها تحتوى على افتراض رينان، الذى اعتبر بمثابة إهانة (ازدراء) لبنى إسرائيل ، ولأجل ذلك تم تداول أقواله فى بعض دوائر يهودية لا تعير اهتماماً لمثل أقوال النقد هذه.

٨ - إ .جولدتسيهر

وبعد مرور حوالى عشر سنوات استجاب لرؤية شتينتيل مساعد يضاهيه، هو أجنتس جولدتسيهر.وإذا كان الأول باحثًا نفسيًا شاملاً ومسيطرًا على كنوز لغة وأدب الرومان واليونان، فإن الثانى كان وفيًا للشرق ومسيطرًا على كنوز لغة وبيانة العرب وشعوب الشرق . وفى ضوء معارفه تلك ، فسر المادة الميثولوجية العبرية التى دمجت داخل قسم الآباء وروايات القضاة فى تصويراتها التاريخية لعظماء جماعة بنى إسرائيل وأيضا داخل ثنايا اللغة العبرية نفسها . وقد أسس كل تجديداته واكتشافاته على أسس نقد العهد القديم المنتهجة فى عصره .وأعلن جولدتسيهر فى بداية كتابه" : وكأساس لأبحاثى ، استخدمت الأسس التى حددها جراف وأيدها كوينن ، وحاليًا يدين لهما كايزر وبوهم ."وقد صدر الكتاب فى وقت واحد مع كتاب فلهاوزن.

غير أنه قد مرت عشر سنوات بين مقال شتينتيل الأول الذى منه بدأ النضال ضد رينان .وبين ظهور كتاب جولدتسيهر الذى حدد فيه أسس الميثولوجيا فى العهد القديم .وكانت هذه السنوات العشر سنوات انتصار لنقد العهد القديم داخل مجالات العلوم اليهودية فى الغرب .

٩ - ك.كوهلر

وفى عام (١٨٦٧) نشر لكوهلر مؤلفًا عن بركة يعقوب حاول فيه أن يمرر تحت مجهر النقد الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين، ويحدد على أساسه زمنه .ولأجل هذا راجع بإمعان تاريخ كل سبط من أسباط إسرائيل ، وقابل وضعه فى عصور مختلفة بالسمات الشخصية التاريخية المجموعة فى مواد هذه الأنشودة ، وحدد على أساس هذا النقد زمن تأليف أنشودة هذه البركة .وأرجعها إلى بداية عصر القضاة فى فلسطين.

١٠- أ .بيرنشتاين

ومرت أربع سنوات وظهر باحث يهودى أخر صاحب تصور شجاع ! فمهد سبلاً جديدة لتفسير قصص الأساطير الخاصة بالآباء .وهذا الباحث هو أهرون بيرنشتاين - من تلاميذ تسونس - الذى كتب وهو فى الثلاثين ترجمته وتفسيره لسفر نشيد الأناشيد .وضم إليه تسونس مقدمته المشهورة المتضمنة فى وسطها باختصار شديد استعراضا شاملا لكل تاريخ تفاسير هذه المجلة ، وكان قد نشر أنذاك كتابه "مصدر الأساطير عن إبراهيم وإسحاق ويعقوب ."والتزم الباحث بنتائج النقد بشأن تقسيم المصادر ، فكان لا يبحث سوى المادة الأسطورية القديمة التى كانت أمام أصحاب المجموعات التاريخية، أى الألوهيمى واليهوى .وما حكم هذه المادة القديمة، ومن أى المصادر أتت ، ومن أى الأجزاء وهل هو نفسه مركب ؟ وما هى علاقة هذه الأجزاء بتلك ؟ .وتحرر من كل رأى سابق مأثوراً كان أو علمياً، وغاص فى مخابئ العهد القديم ليكشف مصدره وقصة تطور تلك الأساطير القديمة التى ضمت فيما بعد الأسطورة عن عشيرة الآباء، كما هى أمامنا فى المصدرين اليهوى والألوهيمى .وظهر له من أبحاثه، أنه فى البداية لم يكن هؤلاء الأبطال الثلاثة - إبراهيم وإسحاق ويعقوب - ثلاث جماعات فى سلسلة واحدة كما هى أمامنا .ولم تكن أيضا ثلاث صيغ لمادة روائية واحدة كما اعتقد أخرون بل إنها ثلاث مجموعات أسطورية مميزة .وكل واحدة منها مرتبطة بمركز دينى وتاريخى أخر ، وأن كل واحد من هؤلاء الأبطال الثلاثة يستخدم كأب لنفس المركز.وقد لاحظ أن الأساطير عن إسحاق - وهى طبقًا لرأيه الأكثر قدما - كانت منتشرة فى بئر سبع، والأساطير عن إبراهيم كانت جذورها فى حبرون ، والأساطير عن يعقوب أساسها فى بيت إيل .وهؤلاء الثلاثة هم ثلاثة آباء لثلاثة أماكن مقدسة فى مناطق مختلفة فى فلسطين، والذين لم يتصل أحدهما بالأخر مطلقًا.

وبعد ذلك، عندما اقتربت الأسباط من بعضها وتنافست ضد بعضها البعض ، بدأت الأساطير تنتشر بينها ويقتبس كل سبط من الأخر ، وفقط بعد مرور مئات السنين تكون شعب كامل على تلال الأطلال الثقافية للسبط والمكان المقدس .واستمرت هذه الأساطير المقدسة واكتملت فيما بينها ، وتكيفت الواحدة مع الأخرى حتى صارت الثلاثة رواية واحدة ، وحتى صار أبطالها الرئيسيون حقيقيين داخل إطار واحد :الأب والابن والحفيد .وحتى عصر يربعام - عندما كانت الحرب منتشرة بين يهوذا وإسرائيل

ـ أدخلوا الآباء فى الحرب، فمن خلال الأساطير عن إبراهيم الأب ليهوذا (حبرون) وعن يعقوب الأب لإسرائيل (بيت إيل) أدرك بيرنشتاين صدى متزايدا من هذه الفترة عن الانفصال والكراهية .ومع سقوط إفرايم أخذت العلاقات بين يهوذا وإسرائيل تتقارب ، ومع هذا تتحد وتكتمل الأساطير عن آبائهم .وبعد سبى السامرة وخراب بيت إيل، سبيت إسرائيل من أرضها، ونسيت كراهية الأسباط من القلب .وضم أنبياء يهوذا فى وسطهم موروثات مؤلفات كل أسباط إسرائيل، وصار إبراهيم وإسحاق ويعقوب آباء الجماعة بكاملها.

فأدب شعوب الشرق وأساطير بابل وأشور لم تكن قد عولجت قبل عصر بيرنشتاين ولم توجد أمامه مادة للمقارنة .وما قد فهمه لم يفهمه إلا من خلال النصوص المقدسة ذاتها ومن خلال أسفار الأنبياء الأوائل التى استخدمها كوسيط تاريخى لشرح المؤلفات الأسطورية فى سفر التكوين .ومن أجل تدعيم وجهة نظره بكل تفاصيلها ، وتوضيح كل دقائق الأساطير كان يبتعد أحياناً عن السير وراء خياله ، غير أن جوهر كلامه فتح فصلاً جديداً فى نقد العهد القديم فى علم اليهودية .

١١- دافيد كاسل

وفى نفس الفترة بذلت المحاولة الأولى للتغلغل داخل تاريخ أدب العهد القديم رغبة فى تفسير عظمته .ولكن ليس على أساس عصوره، بل على أساس الأنواع الأدبية .فقد ظهر دافيد كاسل ليكمل فى كتابه عن تاريخ الأدب العبرى التأمل فى أسفار العهد القديم من خلال وجهة نظر جمالية .وذلك بعد ظهور هيردر .فقسم كاسل أدب العهد القديم إلى أجناس شعرية ونبوية وقانونية وروائية .وميز فى الأدب الشعرى بين القصائد الدنيوية والأشعار الدينية، وبين أشعار الطبيعة والقصائد القومية .وشيئًا فشيئًا نشر من داخل العهد القديم أشعار الربيع وأشعار الحقل، وقصائد البحر وأشعار الغضب، وتتبع أنماط وصف العهد القديم لعالم الحيوانات والنباتات .وبفحص الأشعار القومية عالج من خلال العهد القديم أجزاء شعرية مرتبطة بحدث تاريخى (صفات كنعان، حدث بلعام، بركة كل من إسحاق ويعقوب وموسى، أنشودة البحر وأنشودة البئر، وأنشودة دبورا ورثاء داود)وجمع قطعة مع أخرى مثل منسق اللؤلؤ وكشف لنا عن تاريخ شعرى كامل لحياة بنى إسرائيل .وبهذا الحماس ألقى الضوء على أسرار النبوة، وتعمق فى الصورة الروحانية ، وطرق سمات كل نبى من الأنبياء.

ومما لا شك فيه أنه لم يقبل دائماً أسس نتائج العلم في ذلك العصر بشأن تحديد زمن الأسفار .

وهكذا فإنه ينسب على سبيل المثال الإصحاحات الأخيرة من سفر المزامير لزمن العودة من بابل، ويرى أن بعضها ثمار تأليف داود وسليمان ،وأن يوئيل سابق على عاموس .غير أن أسلوب فحصه وحيوية نقده تركا أثرا جيداً، وجذبا الانتباه إليه بين دوائر الباحثين اليهود في الغرب .

١٢- تسونس في نهاية حياته

غير أن تسونس نفسه قد تعمق في بحثه ،وكان مدهشًا في نتائجه أكثر من الآخرين .ففي نهاية حياته توجه مرة ثانية لأدب العهد القديم، وتشجع هذه المرة في التوجه لحقيقة النقد العلمي لأسفار التوراة الخمسة ،وقبل أن يرى الجماعة اليهودية ناضجة بما فيه الكفاية لتقبل بجدية ملائمة مثل هذه الأبحاث، وجد من الواجب عليه أن ينشر أبحاثه عن "نقد العهد القديم "في المجلات الخارجية ، فنشرها في فصلية "الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية ".أما أبحاثه المتأخرة عن سفري التكوين والخروج فلم ينشرا مطلقًا ، وعُرفا للجمهور من خلال مجموعة مقالاته التي نشرت بمناسبة الاحتفال ببلوغه الثمانين ،ويظهر أمامنا تسونس في ثنايا رؤوس الأقلام هذه محنكا ،وها هو ذا قد تعمق ونشط في بحث العهد القديم ،وهو كتلميذ وفي لـدى – فته بدأ أبحاثه بتحليل نقدي لسفر التثنية .فقسم السفر إلى ثلاث وحدات (١-١١؛ ١٢-٢٦؛ ٢٩-٣٤)حيث تميز بينهم أحداث متفرقة ومتأخرة ،ومختلطة في ثناياها. وألفت الوحدتان الأولى والثانية - طبقاً لرأيه - قبل تمليك يهوياقيم ، وهما سويا مع التوبيخ في الإصحاح (٢٨) يمثلان مضمون سفر العهد الذي وجد عام (٦٢٢ق.م)كما هو مكتوب في سفر الملوك الثاني (٢٣:٢) . ويرؤى جديدة - لم تكن متوافرة لـدى – فته - مؤسسة خصوصًا على بحث اللغة العبرية فحص التعابير والألفاظ، معززا ذلك بسلطة معلمه ، فدعم من جديد الرأي الذي عرف في عصر دي - فته كقاعدة، وهو أن سفر التثنية أقدم أسفار التوراة.

وقد أحصى ستين تعبيراً في بقية أسفار التوراة غريبة عن البيئة الدينية لسفر التثنية، وحدد أنها عرفت سويا مع هذا في سفر التثنية قبل أن يعرف في إسرائيل:

قدس الأقداس والكاهن الأكبر وعيد الكبوريم وعيد الاجتماع، ولا يوجد نفخ في البوق ولا اليوبيل، ولم يقطع ولم يخصص أسلوب القرابين كما هو موجود في الإصحاحات الأخيرة من التوراة .وأقدم قسم في سفر التثنية هو "بركة موسى"، "وكما يبدو فإنه سابق لإشعيا، وتنسب لأقسام الشعر والأدب القديم الذى أدمج فى التوراة "وأما المتأخرة في الأقسام فهي أنشودة "انصتوا "التي مصدرها زمن سبي بابل.

وفي كتابه "تاريخ المواعظ (الدارشانوت) لاحظ تسونس الزمن المتأخر لسفر حزقيال ، غير أنه حلل أسلوب النبي ولغة واستنتج من خلال رؤاه وتعبيراته صورة شاملة عن حياة الطقوس ونظم الهيكل في عصره، وحدد على أساس ذلك أن مؤلف السفر عاش في الأعوام (٤٤٠-٤٠٠ق.م)، وأن الأعمال التي يرويها حدثت قبل ذلك بزمن طويل، ولذلك فليس لأقواله أية قيمة كوثائق تاريخية .

لقد ساعدت النتائج المتزايدة والأساسية على فهم عالم العهد القديم وفيما يتعلق بنظريته عن توراة الكهنة فقد حدد - مثل كيوينن الذي كتب قبله بسنوات قليلة ومثل فلهاوزن الذي ظهر بعده بسنوات قليلة - القرابة الدينية بين سفر اللاويين وسفر حزقيال حيث إنهما انعكاس بيئة واحدة سائدة فيهما، هي وجهة نظر الكهانة المتأخرة. وما هي القاعدة التي حددها " :سفر اللاويين أحدث من سفر التثنية، وأكثر حداثة من سفر حزقيال، وكتب زمن الهيكل الثاني عندما كان موقف الكهنة قويًا ، وأسلوب القرابين محدداً ومفصلاً يعني حوالي ألف سنة بعد موت موسى ."

وعلاوة على ذلك فقد دعم رأيه على أساس من رؤى جديدة لم تكن مستمدة فقط من تاريخ الطقوس، بل أيضًا من خلال الآراء التاريخية في السفر ("لأن جميع هذه الرجاسات قد عملها أهل الأرض الذين قبلكم فتنجست الأرض فلا تقذفكم الأرض بتنجيسكم إياها كما قذفت الشعوب قبلكم"(اللاويين ١٨:٢٧) يعني أن هذه الأقوال قيلت بعد زمن طويل من ترك سكان الأرض القدماء، وعقاب الرجم بسبب خطيئة لعن الرب (١٦:٢٤) متأخر، وقضية التيس لعزازيل (١٦:١٠) - يشهد فعلاً على تأثير الديانة الفارسية وغير ذلك.

وخصص فصلا واحدا في ملاحظاته لمجلة أستير ، نفى فيه عن هذه الرواية أي أساس تاريخي ويرهن أن عيد البوريم ليس سوى بقايا عيد سابق للاستيطان عند يهود فارس ، وأن اليهودية القديمة لم تعرف هذا العيد مطلقًا.

وفى كتـاب الاحـتـفـال بيوبيله أضـاف بعض رؤوس الأقـلام عن تركيب سـفـر التكوين، وسـفـرى الخروج والعدد .فقسم سفـر التكوين لمصـدرين أحدهمـا يستخدم الاسم يهوه والآخر يستخدم الاسم ألوهيم،ويشير بوضوح شديد إلى خاصية ومضمون كل واحد منهمـا و مضمونه ويوافق أقوال بيرنشتاين فيما يتعلق بالتناقضات بين يهوذا وإسرائيل التى يسمع صداها من خـلال الأسـاطيـر عن الآباء .وبعد أن يوضح المادة التاريخية التى جمعت داخل السفر يحدد قاعدة :أن سفر التكوين قد ألف بعد مئات السنين من اسـتـيطان اليـهـود فى فلسطين، وبعـد أن تحـصـن الأسـبـاط فى إرث استيطانهم بزمن طويل، وأن مؤلف السـفر لم يكن مـوجودا على كل حـال قبل عصر إشعيا .أما بالنسبة لسفرى الخروج والعدد فيرى أنهمـا "معالجة لأساطير وأشعار قديمة"، ويصدر الحكم التـالى : "إن الإصـحـاحـات الثمـانيـة والثمـانين الموجـودة فى التوراة بين أنشودة موسى الموجودة فى سفر الخروج وحتى الإصحاح الأخير من سفر العدد، هى فى مجموعها كتـاب أحكام مـركب من أجزاء شـعرية وتاريخيـة، وأحكام وقواعد الكهنة .وطبيـعة الأحداث فيهـا تستلزم أن تتزايد التغييـرات، والازدواجيات والتعديلات، حيث إن العلاقة بين الأحداث ضعيفة ، ومن الصعب علينا فهمها .وفى كل السفر كانت أقوال موسى قليلة إلى حد ما .كما أن أقوال داود قليلة فى سـفر آخر (منسوب إليه)".

١٣- المحافظون والمصلحون :هوفمان وميبوم

ولم يتوجه شـخص مـا من بين اليـهـود فى عصـره لبـحث العـهـد القـديم بروح متحررة وإيمان بنتائج بحثه مثله، وقد كان الذين عبروا ودعموا نتائجهم بوضوح أقلية فى عصره .ومنذ ذلك الحين حققت حدة تنكر العلماء اليهود فى الغرب لأعمال النقد المتبعة فى الخـارج ونتائجه .و لم تقبل كل أقوال تسونس كقاعدة ، كمـا لم يتقبلها بمودة كل العلمـاء اليهود حتى هؤلاء الذين قدروا تسـونس وأحبوه لم يقبلوها بمودة ، كما كان هناك أيضًا أولئك الذين رفضوا معتذرين اجتمـا ع اليوبيل الثمـانين لأنه لم يناقش أقوال الجنيزا. واعتبارً من اليوم التالى بعد الاحتفال بيوبيل تسونس فى كل جمعيات العلمـاء اليهود .وبعد الانتهاء من مدح الربى رأى دافيد هوفمان من الواجب عليه أن يدافع عن اللجنة التى أقامت الحدث، وأن يدافع عن طبع رؤوس هذه الأقلام، غير أنه لم يتمسك بواجب الالتزام باحترام الرب وبالسلوك الجيد أمام حرية الابتكار.

و بما أن الأقوال قد صدرت – وصدرت هذه المرة من السيد – لم يكن ممكنا منع تسرب هذه الأقوال بعمق داخل صفوف العلماء اليهود .واحتل بحث العهد القديم الحر منذ ذلك الحين حق المواطنة داخل علم اليهودية في الغرب على الرغم من كل رافضيه.

١٤- جريتس بوصفه وسيطا

نهض المؤرخ هـ .جريتس كوسيط بين المعسكرين ، معسكر الذين التزموا بالنقد العلمي ، ومعسكر الرافضين له .فنشر في فصليته أبحاثه عن أسفار الجامعة وأستير، ويونيل ونشيد الأناشيد ، وحزقيال وعزرا ، والمزامير وإرميا والأمثال على التوالى . وجمع فى أبحاثه المفصلة كل آراء الباحثين العلميين السابقين عليه، ووضحها مع إصدار أحكام عليها، وبمساعدة حسه التاريخي وخبرته الكبيرة في نقد المصادر ، مهد لنفسه طرقاً للتأليف عن أسفار الأنبياء والكتابات .فيبدأ مقدمته لسفر المزامير بقوله " لم أكتب أبحاثى رغبة فى تغيير ذرة داخل النص المعترف به ."وقسم سفر إشعيا ستة أسفار ، كتبت فى أزمنة مختلفة (عاش إشعيا الأول في عصر يوثام وأحاز وبحزقيا، وكتبت الإصحاحات (٢٤-٢٧) في عصر يوشياهو، وكُتب الإصحاحان (٣٤-٣٥) مباشرة بعد الخراب وكُتب الإصحاحان (١٣-١٤)بعد حزقيال بثلاثين سنة .وبعد ذلك تأتي إصحاحات أنشودة إشعيا الثانى (٤٠-٦٦)، وبعد ذلك كتبت فقط العبارات ١-١٠ من الإصحاح الحادي والعشرين) . وقسم سفر إرميا إلى أجزاء مختلفة . ويجد فى سفر زكريا أقوال ثلاثة أنبياء .أقوال النبى الأول تشمل الإصحاحات (١-٦)وعاش في عصر هوشع، وتشمل أقوال الثانى الإصحاحات (٧ – ١٢)وكان فى عصر يهوياقيم وصدقياهو،وتشمل الإصحاحات (١٢ – ١٤) أقوال النبى الثالث باستثناء (١٣:٧-١٩) الذى تنبأ بعد العودة من بابل .ويحصى فى سفر هوشع نبيين ، تمثل(الإصحاحات ١-٣) أقوال الأول .وتنبأ في عصر يربعام الثانى، وأقوال الثانى متضمنة فى (الإصحاحات ٤-١٤) وكان فى عصر تجلات فلاسر وشلمناصر،وكان آخر الأنبياء فى مملكة إفرايم وكان معاصراً لإشعيا .ويحدد زمن النبى عوبديا بعد الخراب في زمن واحد مع مؤلف الإصحاحين (٣٤-٣٥) من سفر إشعيا.

وينسب أسفار الكتابات إلى زمن الهيكل الثانى .وطبقًا لرأيه فإن غالبية المزامير قيلت بعد العودة من بابل ، وبعضها فى عصر الحشمونيين .وألف سفر دانيال زمن

سلطان المقدونيين - سوياً مع أسفار أخبار الأيام وعزرا ونحميا ، والتي كانت طبقًا لرأيه في البداية سفراً واحداً .وينسب الإصحاحات الأولى والأخيرة من سفر الأمثال إلى ما بعد العودة ، وينسب لنفس الفترة المقدمة والخاتمة في سفر أيوب .وينسب سفر الجامعة إلى عصر هيرودوس.وروث إلى عصر الغزو اليوناني، ونشيد الأناشيد إلى عصر المقدونيين.أي خمسين سنة قبل حرب الحشمونيين.

غير أنه عندما توجه إلى تاريخ أسفار التوراة الخمسة، تجرد على الفور من حرية النقد، ولم يعر انتباهاً لإدراك أي تغيير أو أي غموض .وقد كان مجبراً على لاعتراف بأن سفر التثنية وجد في عصر يوشيا، غير أنه لم يؤلف في ذلك العصر بل نُشر فيه ، و كان فعلاً في النصوص القديمة، ولم يكن سفر التثنية أول أسفار التوراة بل الأخير .أما بقية أسفار التوراة بما في ذلك سفر اللاويين ، فينظر إليها من وجهة نظر"لمؤلف متجانس ، حيث توحد كل أجزائها علاقة فنية ومنطقية ."وبما أن هوشع وميخا وإشعيا كانوا عارفين بوجود توراة موسى، فيفهم من ذلك، أن التوراة ألفت أو نشرت على لسانه قبلهم، وهذا يعني في عصر أحاز .وقد كانت التوراة كلها فعلا في عصر حزقياهو مصاغة لمصدر حياة الملكة .ويغضب شديد دافع عن الماسورا بشأن وحدة التوراة ضد سلطان نقاد العهد القديم وواضعي المصادر بداية من ابن عزرا ونهاية بـ ندي - فته، وانضم إلى المدافعين من بين الباحثين الكاثوليك ،غير أنه تجاهل استفساراتهم عن تناقضها والاختلافات حولها.

١٥- مساعدو جريتس

وبهذه الروح سار عمل النقد في الفصلية العلمية التي كانت تصدر بتحرير جريتس (في مقالات : يستروف، وبينر، وهوفمن وتريتل، وبرند ورمر) وسادت المدرسة الدينية للربانين في برسلاو .والتي كان يديرها جريتس ، وكان يعلم فيها روزين العهد القديم .وتلك الحرب التي حاربها جريتس ضد نقاد التوراة دعمته ودعمت كتابه الضخم الذي لقي قبولاً أيضًا بين طائفة عريضة وجعلته كتابًا جماهيريًا بين اليهود ، ومع ذلك لم يعرقل تطور نقد العهد القديم بينهم .وكتب تونس رؤوس أقلامه المذكورة آنفًا في نفس السنة التي نشر فيها جريتس الجزء الثاني من كتابه التاريخي، كما أن أعمال جايجر وتلاميذه لم تفشل فشلاً ذريعًا، وعندما نشرت كتب فلهاوزن ومدرسته ، وجدت آذناً صاغية في معسكر الباحثين اليهود .

ومن "مدرسة الربانيين" التي أسسها هيلدزهيم في برلين رفع أ.برلينر رئيس المدرسة راية الحرب ضد نقد العهد القديم ، ولتحقيق هذا الهدف الجرئ بدأ "معجم علم اليهودية "، ونشر فيه دافيد هوفمان أبحاثًا ظهرت بعد سنوات عديدة عندما أعاد صياغتها وجمعها سوياً، وهاجم في هذه المقالات بشدة متزايدة انتصارات النقد ،ووجه سهامه أساساً ضد الرأى الذى أسسه فلهاوزن بأن سفر حزقيال سابق لسفر اللاويين، وقد حاول سوياً مع المحافظين في الكنائس والمعتدلين من الباحثين - دالمان وبردنكمف وغيرهما - تقويض أسس النظرية التي تؤخر توراة الكهنة إلى عصر العودة من بابل ، وتحرف ترتيب الأسفار داخل التوراة ،ولم يكتف هوفمان بالتناقضات فحسب، بل توجه لينشر تفسيرا جديداً للتوراة ليثبت الطرق الملتوية، ويعيد مجد الماسورا لوضعها السابق.

ومن ناحية ثانية تم الاعتراف بأقوال تسونس كقاعدة لها في "المدرسة الدينية لعلم اليهودية "التي أسسها جايجر في بولين، ويظهر س .مايبويم رئيس المدرسة بمثابة تلميذ مخلص لفلهاوزن في كتبه عن النبوة، وتطور الكهانة في إسرائيل .فاقتفى أثر فلهاوزن في ترتيب تاريخ العبادة عند بنى إسرائيل، ويرى نقطة الثورة في تركيز العبادة في عصر يوشياهو، وسلطان الكهنة بعد عصر عزرا ،وهو مثل فلهاوزن يرى أن سفر التثنية ثمار الثورة الأولى ، وأن توراة الكهنة نتاج الثانية ،وبصفته تلميذا في مدرسة فلهاوزن وقف إلى جانبه ضد ناقديه ،ثم يوضح للنقاد اليهود ، فيربط أقواله بجايجر وتسونس وحربه ضد جريتس ،الذى يرى في نقد التوراة مصدر ازدراء لها، وتقليلا لاحترامها ،وهو يعرف فطنة القارئ العبرى المهتم باحترام التوراة، فيوضح برجاحة عقل حسن لسامعي درسه أنه لا يمكن رؤية المحررين والمعدين المتأخرين برؤية المزيفين عن عمد، بل إن هذا قانون الروح الدينية لتوصيل قيم الماضى الإعجازى ، ومثالياته لجيلها وذاتها من خلال فهم كامل ومتجانس معا .

١٦- م .لتسروس

وضع م .لتسروس مقالته عن إرميا على أساس أقوال م .مايبويم ،وعلى أساس مدرسة فلهاوزن التي حددت تطور بنى إسرائيل ، وعلى أساس من الأبحاث العديدة والعميقة لـ : ح شتتنيل التي نشرها في فصليته "سيكلوجيا الشعوب وبحث اللغة "، وكذلك محاضراته أمام سامعيه لمدة ثلاثين سنة ، ويوضح لنا برؤية حذرة وكلام لطيف

خصائص الرواية فى العهد القديم مثل :سحر الحزين فى مجلة المراثى ، التسامى فى روايات الخلق، الرمزية فى صور الطبيعة فى سفر المزامير ، الشفقة المتزايدة فى أقوال الأنبياء القدماء ، المرارة والسخط فى أقوال التوبيخ، الإيمان المتسامى فى أدب التثنية. وفى سياق المحاضرة يحلل أقسام سفر التثنية، ويحدد تركيب سفر دانيال، ويصف روح كل واحد من أشعار المراثى الخمسة، ويكشف عمق علاقة الأنبياء بالطبيعة والشكر .ولم يكن مؤسساً متميزاً لبحث العهد القديم فقط ، بل أيضاً مدافعا مخلصا عنه وحاملا لرايته .وبصفته خبيرا ماهرا فقد كان عارفا بنفس القارئ والسامع اليهودى الذى يؤمن العهد القديم ويثق فيه ، لذلك كان يكشف فى لغة صريحة عن حبه المتدفق للعهد القديم ، ويبالغ فى الإطراء والمديح عن البركة المتزايدة الكامنة فى روح بنى إسرائيل فى البحث العلمى فى مؤلفاته النموذجية.

وهكذا تقدم نقد العهد القديم وساد الاستنباط العلمى فى الدراسات اليهودية فى الغرب .وتلك الثروة الروحية التى تجمعت باللغة الألمانية ، تقدمت وصارت إرثاً للعلوم اليهودية فى بلاد ولغات أخرى .وقد أقيمت فى بعض المدارس الدينية اليهودية كراسى أستاذية مخصصة للبحث النقدى للعهد القديم .ومع تزايد مراكز التوراة فى أمريكا بدأ نقد العهد القديم يحتل أيضًا مكانًا فى الأدب اليهودى الذى يظهر هناك. وبدأت الدوريات باللغات الفرنسية والروسية والإنجليزية المخصصة لعلم الدراسات اليهودية تفتح أبوابها أمام أبحاث نقد العهد القديم.

ولم تتوقف العلاقة القديمة بين علم النحو ونقد العهد القديم ، والتى رأينا ملامحها فى العصر الوسيط .وبنفس القدر الذى تطورت به الفيلولوجيا السامية ، وتشعبت مجالاتها وتعمقت مصادر بحثها، تقدم وتزايد أيضًا التأثير المتبادل بينها وبين نقد العهد القديم بين اليهود .ومن أوائل المتحدثين عن بحث اللغات السامية وقواعدها فى نهاية القرن التاسع عشر كل من :دافيد هينريك ميللر فى فيينا، ودانئيل حفولسون فى بطرسبرج،ويعقوب بارت فى برلين ، وقبلهم يوسف هليفى فى باريس .فقد حاولوا أن يدخلوا أسفار العهد القديم داخل دائرة أبحاثهم ، ويلقوا الضوء على أسرار النصوص المقدسة .وبدأ أيضًا ن.هـ.تورتشينر فى بحث أصل اللغات السامية ، وواصل بعد ذلك أبحاثه فى علم العهد القديم.

١٧- تعديل النص

تم الاعتراف عند اليهود بفرع واحد في نقد العهد القديم أكثر من بقية الفروع وذلك الفرع هو نقد النص، وللمرة الثانية تم تحديد رؤية جديدة للتخلص من المعسكر العلمي وكان نص الماسورا معترفًا به بقوة عند العلماء اليهود منذ العصر الأندلسي وما بعده، وخصوصاً مع معرفة اللغة العبرية ومع التخصص في علم دراسة النصوص القديمة أصر بعض العلماء اليهود على تعزيز هذا الفرع وتوسيع افاقه ومثل هذه الملاحظات والتعديلات تملأ كل الفصليات والمختارات لعلم اليهودية باللغات المختلفة وقد أكثر جريتس من تعديل النص، وتغيير حروف واختصارات، وأنصاف عبارات أثناء تفسيراته لأسفار مختلفة من أسفار العهد القديم . وبحث الترجمات التى اجتهد فيها مؤلفو علم اليهودية في النصف الأول من هذا القرن وأضاءت الطريق لغيرهم وقرر جريتس في نهاية حياته أنه من الأفضل "جمع هذه التعديلات معا"، وأن تصدر تصوراته تلك إلى حيز التنفيذ في حياته، وواصل بعده ز. باكر إصدار كتاب التعديلات الذي يتضمن في داخله ألفاظا لأسفار التوراة الخمسة والأنبياء الأوائل وإشعيا وإرميا وحزقيال والاثنا عشر والمزامير والأمثال .

وبعد أن انتشر بين العلماء اليهود معرفة اللغات السامية والكتابات المسمارية وأخرجت المخطوطات القديمة للعهد القديم من مخابئها، تزايدت الوسائل المساعدة لتحديد التعديلات وحاول ف بيرليس أن يرفع التعديلات إلى نظرية وتحريرها بقدر كاف من سخرية ناقديها وتشجع في تحديد الأسباب التى أدت إلى التحريفات (اختصار كلمات ، دمج كلمات، استبدال حروف بما يشبهها في الكتابة العبرية القديمة، استبدال حروف بأخرى تشبهها على أساس الصوت ، أخطاء في التشكيل، استعمال ألفاظ مهجورة في النحو وغير ذلك)، وعلى أساسها قرر تحديد القواعد العامة للتعديلات.

وكان هذا الفرع من النقد مفعماً بالحياة ومثمراً في التأثير المتبادل بين العلوم اليهودية في الغرب وبين نقد العهد القديم في الأدبيات العبرية الحديثة أكثر من بقية فروع نقد العهد القديم، فكانت تعديلات ش.هـ .لوتساتو، وي .هـ .شور، وكروكمل وريفمان واضحة للعيان أمام علماء العهد القديم في الغرب .

القسم الثالث

النقد عند اليهود فى القرن التاسع عشر

الفصل الثالث عشر

نقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية الحديثة

١ - أدب الهسكالا والعهد القديم

بعد أن حدث التغيير الأساسي في الحياة الروحية لليهود في نهاية القرن التاسع عشر، وكذلك في الأدب العبري الذي انبثق من دوائر العصر الوسيط ، لم يحدث استعجال لتطوير تصورات مضادة لمواجهة نقد العهد القديم على أساس من الأبحاث والنتائج التي تم التوصل إليها.

ولم تأت الحقيقة العلمية الهامة من خارج حدود اليهود بل أيضاً من الاتجاهات التي سادت وسط العلماء اليهود في الغرب ولذلك لم يستمر التنكر لمجالات البحث المكتوبة باللغة العبرية وتزايد في أدب تلك الفترة الإحساس بالتجاهل والتنكر للنقد العلمي لعلماء الأمم الأجنبية التي عاش بينها العلماء اليهود في الغرب، وتزايد ذلك سبعة أضعاف : فقد زاد الصراع ضد هذا الولع بنقد العهد القديم لدى مصلحي الديانة من بين علماء اليهود في الغرب وقد تجرأ بعض الكتاب من النخبة الخاصة، ونجحوا في أن يحددوا لأنفسهم أسلوباً خاصا .

٢ - بن زئيف

وأول من جاء لتأسيس نقد العهد القديم داخل الأدبيات العبرية الحديثة كان هذه المرة أيضا من علماء النحو، ومن الباحثين في علم اللغة، كما كان الوضع في العصر الوسيط ففي عام (١٨١٠) نشر يهودا ليف بن زئيف كتابه "مقدمة في التوراة المقدسة"، وكان الكتاب معداً على أساس خطط "المداخل "الألمانية التي كتبت في عصره وقبله، وهي المقدمة الأولى ، وكانت حتى فترة متأخرة الفريدة أيضاً في نوعها في الأدب العبري.

وكان بن زئيف تلميذاً وفياً لموشيه مندلسون وقد تركت مؤلفات أيشهورن تأثيرات عديدة عليه ومن المعروف أنه أدرك حجم المسافة بين الأدب العبري وبين نقد العهد القديم في أوروبا، وعلى هذا الأساس بدأ عمله بحذر شديد فبدأ بالتخلص من "فكرة ما تجلبه ضرورة البحث في هذا الموضوع من رأي يناقض رأي التلمود في أقوال الأجادا "، ويأتي بـ : "براهين قوية من كل عظماء الجاؤونيم، لأن الميل لأقوال الهالاخا كان ممنوعا وكانت السلطة مخولة لأقوال الأجادا لمعالجة أي رأي يعارض أقوالهم" . وأما فيما يتعلق بالكتابات المقدسة ذاتها فيوضح قائلاً : ها هوذا أمامك

الأربعة وعشرون سفراً المقدسة، وهى من طبقات مختلفة ، وعصور متباينة ،ومؤلفين مختلفين حيث تستوعب أسفار التوراة الخمسة ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة من الزمن. وأيضاً تاريخ بنى إسرائيل منذ الهبوط إلى مصر حتى بداية الهيكل الثانى الذى تصل إليه أسفار الكتابات المقدسة واستمر أيضا ألف سنة ...ألم يكن من المناسب إذن تمييز كل سفر من الأسفار وإذا قرأت فإنك تميز " .

ويقول عن أسلوبه في النقد : "بحثت أولاً فى حقائب معلمينا حكماء التلمود لأرى ما إذا كانت أقوالهم قد قصدت المفهوم الحرفى للنصوص (البشاط) وبدون تناقضات مع الحقيقة الواضحة، عندئذ تمسكت بأقوالهم ولم أنحرف عنها ،وحقاً إن لم أستطع أن أطابق أقوالهم ...بسبب الغرائب العديدة ..عندئذ أتوجه إلى علماء الأجيال من عارفى الأزمنة المشهورة فى العلم بشواهدهم الحقيقية العديدة" . ثم يواصل ويعترف بما يتعلق بكل سفر من الأسفار "العصر الذى تنسب إليه موضوعات السفر ،الذى عاش فيه النبى أو غيره، مما يحتويه مضمون السفر "، "وما موقف جماعة بنى إسرائيل" "وإلى أى جنس من الأجناس الأدبية تنتسب موضوعات السفر"؟ "ومن كاتب السفر ؟" وما شابه ذلك.

ويعرف الهالاخا قائلا : لقد تحرر علماء الجاؤونيم فى فهم "أقوال الأجادا برأى يخالف التلمود، غير أنهم لم يتشجعوا فى الواقع ليفعلوا ذلك .وعلى سبيل المثال فإنه يحصى فى سفر صموئيل تناقضات عديدة فى الروايات عن جليات وداود، وفى موضوع تمليك داود، وعلاقات داود ويوناثان ،التى لا يستطع أن يشرحها، وينهى مقاله بقوله : "ورأيت لأحد العلماء من علماء النصارى المتعمقين فى البحث ..يعلن اعتراضه بقوله : إن هذه الصعوبات والأمور الغريبة تعود إلى أن الموضوع من الفقرة الخامسة من الإصحاح (١٨) لسفر صموئيل الأول ليست نقلاً عن السفر، ومع هذا لم يتجاهل ترتيب الرواية ويواصل الموضوع .ألم تكن هذه أقوال عالم ليس من بنى إسرائيل ولم تحفظه القابالا ..غير أنه ليس مسموحا لنا" .

ويقول على نحو مماثل عن إشعيا : "إن كان سفرا واحداً طبقًا لاسمه، فإنه طبقًا لموضوعه ينقسم انقساماً ضرورياً إلى قسمين ..مختلفين فى الزمن والموضوع والأسلوب اختلافًا كبيراً، والجزء الأول من الإصحاح الأول حتى الإصحاح الأربعين، والقسم الثانى من الإصحاح الأربعين حتى نهاية السفر" . غير أنه لم يتشجع ليضع

قاعدة . وينهى كلامه بقوله "تأتى العديد من العلماء بالتصور أن تلك النبوءات (من الإصحاح ٤٠ وما بعده)ليست لإشعيا النبى، بل من نبى آخر متأخر عنه بزمن كبير ... والأمر متروك لفطنة الإنسان فيعتقد به الإنسان كما يتصور عقله : ألم تكن هذه أيضاً أقوال الربى موشيه مندلسون فى التفسير وما للتلميذ أن يخرج عن مجالاته؟.

ولم يخرج من مدرسة مندلسون مؤسسون للعلم فى بنى إسرائيل باللغة العبرية، كما لم يخرج منها مؤسسون باللغة الألمانية .فتلاميذ مندلسون أحدثوا تطورات ووجهوا الأنظار فحسب .أما بالنسبة لتأسيس العلم فقد تزعمه أبناء الجيل الثانى .وما كان لتسونس وبعد ذلك لجايجر فى العلوم اليهودية باللغة الألمانية، كان لمعاصريهما شلومو يهودا رفوفورت و ى .ش .رجاو وبعدهما شموئيل دافيد لوتساتو فى العلوم اليهودية باللغة العبرية.

٣ - ش . ى . رفوفورت

خصص شلومو يهودا رفوفورت - مثل زملائه من مؤسسى العلوم اليهودية باللغة الألمانية - نظريته للأدب المتأخر . فالتاريخ الذى كتبه هو تأريخ لشخصيات العصر الوسيط، وتدور أبحاثه حول " المصطلح اللفظى" وحول قيم التلمود والمدراشيم، غير أنه اقترب إلى حد ما بأبحاثه من أقوال التوراة المكتوبة، وكشف عن رأيه : "على أسس النقد والبحث الجيد بربط الفقرات ، وتتابع الإصحاحات يمكن تعديل العديد من أقوال العهد القديم الموجودة أمامنا" . وعندما وصل إلى قضية تحليل المزمور (١١١) فيؤخر زمنه حتى "مرسوم أنطيوخوس" ، "فى الفترة التى بدأ ينتشر فيها روح حكمة ومظاهرها اليونان فى آسيا الغربية" ، لأنه مرت "منذ زمن منح التوراة حتى عصر (مؤلف هذا المزمور) .. تقريباً ١١٠٠ سنة وأكثر" .

وسمح لنفسه فى بعض الأحيان أن يعدل فقرة أو يغير حروفا (على سبيل المثال: لأنى بعد أحمده لأجل خلاص وجهه . يا إلهى نفس منحنية فىّ (المزامير ٤٢:٦ب - ب-٧أ) فيعدل : "يا إلهى نفس منحنية فىّ" إلى "يا إلهى نفسى منحنية فىّ" . غير أنه كان متحفظا فى بحثه ويقدم عليه فى رهبة .وحدد لنفسه من البداية قانوناً سمح لنفسه فيه بـ "البحث فى كتب الديانة، لكن بصورة لا تتخلى عن المسلم به والمنتشر فى الأمة" . وعلاوة على ذلك فإنه فى نهاية حياته يبدو وكأنه قد ندم على ضآلة تلك الحرية التى سمح بها لبحثه فى شبابه.

٤ – ي . ش . رجلو

وكان ي.ش .رجلو معاصرا لـ :رفوفورت وقريبًا منه في عالم العهد القديم وبحثه ولم يقصد في الواقع من ترجمته التوراة إلى الإيطالية سوى أن يسير في إثر مندلسون وأن يقدم ليهود إيطاليا ما قصد الربي موشيه مندلسون تقديمه ليهود ألمانيا من تفسيره وترجمته للتوراة .غير أنه بنفس القدر الذي عالج فيه قضايا العهد القديم، تطور وزاد اتجاهه النقدي وتركت أبحاث البروفيسور هيتسيج الناقد الألماني للعهد القديم تأثيرا كبيرًا عليه . وإن اعترف في الواقع بلن بعض أقواله "تذهب أبعد من الحد المحدد لنا". لكنه يشكر لأنه يعلن عن صحة الناقد وأن "تفيد منشوراته بين إخواننا ". ويسير هو نفسه في إثره . ويعلن أقوال معلمه بشأن المزامير بتعديلاته وإضافاته أمام قراء "بستان السحر". وحاول أيضًا الإشارة إلى تحديد زمن تأليف سفر أيوب، ومرره سويًا مع هذا السفر تحت صولجان النقد.

وكان ي.ش .رجلو أول من أدرك في النقد الأدبي باللغة العبرية من خلال أقوال النصوص المقدسة ، أنه باستثناء الأشعار المتضمنة في الأسفار المقدسة لا تزال بعض القصائد الدنيوية موجودة في جماعتنا في زمن الهيكل الأول والهيكل الثاني ....والتي ذكر العديد منها في أسفار الأنبياء مثل أنشودة الزانية (إشعيا ٢٣:١٥) ، أنشودة الخمر (٩:٢٤) ، وأنشودة الغزل (حزقيال٣٣:٣٢) وغير ذلك؛ ولم يتردد في إدخال تعديلات عديدة في نسخ النصوص المقدسة (حتى يوم سبي الأرض =حتى يوم سبي التابوت ، القضاة١٨:٣٠) ،لا تخبروا في جت لا تبكوا بكاءً =لا تخبروا في جت لا تبكوا في عكاء (ميخا ١ :١٠) وهدير قبائل تهدر كهدير مياه غزيرة =قبائل تهدر كهدير مياه كثيرة (إشعيا ١٧: ١٢-١٣) هنا ازدواج والأول يزيد وما شابه ذلك) .

٥ – دافيد شموئيل لوتساتو

أما شموئيل دافيد لوتساتو فكان أول من ركز في بحثه على العهد القديم وفروع البحث المتشعبة عنه ، ورغم أنه كان مُعارضا لنقد العهد القديم الأدبي في عصره معارضة مطلقة ، فتوجد عنده أقوال وتعبيرات نقدية ومع كل هذا ، فقد كان أحد المؤسسين الأساسيين والأوفياء في الأدب اليهودي .وكان شموئيل دافيد لوتساتو يؤمن إيمانًا تامًا بتمام التوراة وقداستها المطلقة، وكانت نفسه الكامنة عقائديًا تبتهج لسماعها ، مهما قسموا التوراة لأقسام ومصادر .أو أخروا العصور أو غيروا الترتيب.

ومع ذلك فقد كان واحداً من القلائل الذين تغلغلوا داخل أغوار اللغة العبرية وكشف أسرارها ، وقد شعر من خلال فحص مميز بوجود خلل في النص وبعض التحريفات التي تسللت للنصوص المقدسة .كما كان له أيضاً ميزة خاصة هي أنه كان يتنبه من خلال جوانب النص المحرف إلى صورته الأولى ويقف عليها .ولأنه سمح بتعديل النصوص المقدسة فقد حورب بقوة، وقد حمت عقيدته العميقة في قداسة النص من هذه الحرب .وقد أسس شموئيل دافيد لوتساتو تعديلاته بدون خوف من أحد ، وبدون أن يهتم بتأييدها، وقد تعمق في أسباب التحريفات،و هكذا شكل مصدرا لنظرية النقد النصي على أساس من منهجه .هذه الازدواجية بين قوة العقيدة وقوة النقد التي ازدوجت داخل نفس شموئيل دافيد لوتساتو في تناغم واحد ، هي التي قللت من قيمته في تطور العلم نفسه .غير أنه وسع أيضاً مجالات تأثيره في عصره، وهيأ لانتصار الأدب العبري أمام النقد.

وبدأ شموئيل دافيد لوتساتو تفسيره لأسفار التوراة مزودا بكل أبعاد البحث في عصره ومتضلعاً بكل بواطن أدب النقد .حتى أنه سمح لنفسه في الفقرة الأولى من تفسيره أن يوضح لقارئيه أن قصة الخلق لا تفهم كحقيقة علمية، وعلاوة على ذلك فإن التوراة لا تمثل كتاباً تعليمياً في تطور الطبيعة .ويقول "يفهم المثقفون أن القصد في التوراة ليس نشر العلوم الطبيعية، فالتوراة لم تعط إلا لتقويم البشر بأسلوب العدل والقانون، وتؤسس في قلوبهم عقيدة التوحيد والعناية الإلهية ...وموضوع الخلق لم يسرد كلية، ولم يكن متوقعاً أن يسرد في التوراة بأسلوب فلسفي " (التكوين١:١) .

ويوضح شموئيل دافيد لوتساتو بحذر شديد المادة التاريخية والأثرية المدمجة في أسفار التوراة ويطابقها بأقوال المصادر الأخرى الموازية لها، ويستخدم أقوال المؤرخين القدماء الآخرين (يوسف فليفيوس وهسيودوس (التكوين ٥:٥)هيرودوت (التكوين ١٨:٣٨)، وغيرها كشواهد لذلك.

وفي أحيان كثيرة جداً كان يسير في إثر المحافظين من بين نقاد العهد القديم مثل ميخائليس وهيردر، جرتسيوس وكلريكوس (انظر :التكوين٢:٤،٨:٢٣، ٣٦:٣١، ٣٦:٤٠، ٢٤:٣٨ وغير ذلك كثير(، ويقتبس تفسيراتهم باسمهم .ويذكر باسم إلجن أن في أقوال الرواية عن "أبناء الله "و"قائمة الأجيال "حفظت بقايا ميثولوجيا قديمة، وفي تفسيره للتكوين (٥) يقول "يرى أن يوبال هو Apollo وتوبال قاين يبدو أنه Vsumochu ونعمى ربما هي Vsume واسمها يدل عليها."

وعلى الرغم من أنه كان يعارض كلية نظريات أستروك وإلجن وأيشهورن فقد كان واثقًا أن كل أبحاثهم "ذهبت أدراج الرياح"، ومع كل هذا يرى أن من الواجب أن يخبر القارئ العبرى بهم وعن نتائجهم ، وأن يأتى أيضًا بآراء معارضيهم (انظر التكوين ٩:٢)، وفى هذا لم يسبقه أحد من بين اليهود .

و فى رأيه أن معرفة تقسيم المصادر ، وحتى تقسيم المصادر فى الأنبياء، أو تأخير مزامير فى سفر المزامير قد سُمعت أيضا بين اليهود وسببت ضغينة ، وحريًا ، ولكن لم تضلل الشخص . "وأين الوقاحة أعظم من ذلك القول بأن أحدًا من الغشاشين الموجودين فى سبى بابل كذب من قلبه نبوءة إشعيا عن قورش وقال "من أعلم بهذه منذ القديم ؟ (إشعيا ٤٥:٢١) . فتبدو تلك النبوءات وكأنها قيلت عدة أجيال قبل ذلك ... لكن السخرية أنه ليس أفضل منها سوى سخرية سبينوزا، الذى يجعل من نفسه عبدًا للرب وممجله وحبيبه وقصد كلامه ليس سوى القول بأنه لا يوجد إله فى العالم ... وماذا يقال عن سخرية صاحب "الكرم "الذى ينسب لفارس التراتيل الدينية الربى شلومو جبيرول الذى تشبه أفكاره أفكار سبينوزا وتلاميذه ؟ ...وكيف أسكت وأكبت نفسى برؤيتى الثغرة مستمرة ومتسعة ...وحاليًا قام شخص من بنى إسرائيل لينشر أقوال سبينوزا وسط اليهود بلغة القابالا ..." ، وكذلك لم يوقر أيضا شرح ابن عزرا ، وكذلك شروح النقاد العبريين فى عصره.

وبنفس الأسلوب الذى حارب فيه بجرأة ضد منكرى صحة التوراة ،عارض أيضًا المقدسين للماسورا والموالين للحروف .فقد حفظ عن الربى إلياهو لويتا بأن أشكال القراءة متأخرة، ووضعها أصحاب الماسورا، ولذلك أدرك أنه يجب رؤية النصوص المقدسة كما لو أن ليس بها أدلة القراءة مطلقًا وأنه من سلطة الباحث ، أن يضع أشكال قراءة أخرى مكان تلك التى انتهجت بواسطة أصحاب الماسورا.

وتعمق شموئيل دافيد لوتساتو فى عمل أصحاب التشكيل ، ووجد أن أسلوبًا محددًا كان لدى أصحاب التشكيل عند وضعهم التشكيل، ولم ينبع هذا الأسلوب من علم اللغة وأقوال الماسورا المسلم بها لدى الشعب فحسب، بل أيضًا من الآراء الدينية والفلسفية لأصحاب التشكيل .وبعد أن وضع لنفسه هذا الاتجاه النفسى ليزيل الشكوك الدينية، على الصور المادية وما شابه ذلك ،فقد وجد مرة ثانية وسائل دعم وفيرة للنقد ووسائل جديدة لتعديل النص .

وكما حدث مع ابن جناح الذى لم يترك مجالا فى قواعده الواردة فى مقدمته لتعديل النصوص والقواعد، فقد حدث ذلك أيضًا لشموئيل دافيد لوتساتو ومرة ثانية عندما بدأ يفسر أى نص من النصوص المقدسة لم يكن حريصا على التعليمات التى قصدها أصحاب التشكيل، وأصحاب الماسورا، بل أدخل تعديلات فى النصوص من خلال حس نقدى ورؤية تأملية . وقد حازت تلك التعديلات على الرضى (وغضبى فى إبادتهم = وغضبى فى انحراف يتيم" (إشعيا ١٠:٢٥) بقوة ريحه = بعظم ريحه (١١:١٥) ، ووجهًا من جهة الشمال = ووجهًا من داخل الشمال (إرميا ١:١٣) ، مبارك مجد يهوه = بعظمة مجد يهوه (حزقيال ٣:١٢) ، لأجل ندى صباك = لأجل ندى صبيانك (٢٣:٢١) ، أعدل من سياج الشوك = أعدلهم من سياج الشوك (ميخا ٧:٤) ، وقضاؤك نور خرج =وقضاء كنور خرج (٦:٥) ، وفى الجامعة ٣:٢١، الصعود بدلاً من "هل تصعد" ، "وتنزل بدلاً من هل تنزل" ، حيث وضع هاء الاستفهام بدلاً من هاء التعريف، وما يشبه ذلك) .

وعندما توجه إليه الربى شلومو يهودا رفوفورت شيخ العلوم اليهودية باللغة العبرية، وفتح أمامه صدره بسؤاله :أعطيت لهم (علماء شعوب العالم) الحرية للدراسة والبحث طبقًا لآرائهم ، غير أننا بنى إسرائيل، ماذا نفعل بمثل هذه التفاسير أمام الأجنبى ؟ أرشدنى إن استطعت ، والماسورا منتصبة كسور حديدى ضدنا . "فنهض شموئيل دافيد لوتساتو بعظمة مكانته وأعلن بلغة واضحة وسليمة "فأجيب (وإليهم أساعد) وأقول :إننا بنو إسرائيل إله الحقيقة إلهنا، الذى لم يأت أمامه كافر، وهو الذى يفحص القلوب والدمار، ولذلك فإن العمل غير الطاهر يمحوه من على لوح قلوبنا، وإن كان طاهرا، فننتبع عدلاً فى جمهور كبير ...وبعد أن اتضح عندنا بمعجزات ليس لها حائل .لأن التشكيل والنبر لم تكن ولم تخلق حتى بعد إقرار التلمود ...فلماذا التراجع إلى الخلف برؤيتنا لمقرا ميهم ؟ ...والماسورا تلك التى قلت إن وجودها كسور حديدى أمامنا فما هى ؟ ومن داخل من خرجت ؟ ومتى كتبت ؟ ألم يكن معلومًا بلا شك أن أصحاب الماسورا قد قاموا بعد سنوات عديدة من أصحاب التشكيل " ... وماذا نفعل بإعلان تفاسير مثل تلك أمام الأجنبى ؟ " من المعروف لبنى الاستقامة أن أسفار آبائنا حفظت خلال أجيال عديدة حفظاً مدهشًا قدر الإمكان ...لا شئ ... والبعد المطلق عن كل تشويه وخلل بسيط بقوة الأجيال التى تبدلت على أسفارنا كانت مستحيلة" . تلك الأقوال العلنية والشجاعة الخارجة من قلب خائف على قداسة التوراة،

وكاتب الأقوال من زعماء أوائل المتحدثين في هذا الجيل - وكم كانت الدهشة التي سلمت بهذه الأقوال كترخيص علني للنقد وأقحمت عقول العديد من مثقفي العصر.

٦ - معدلو النص

ومنذ ذلك الحين صارت الأرض مهيأة بين اليهود لأجل تعديل النص .فقد اعتنى بها علماء العصر الوسيط ورسخها لويتا ، وناضل من أجلها عزريا من هانوميم، وقد تغلغلت صلة البحث للحرف في التوراة إلى داخل أدب الربانيين حتى أننا نقرأ في أسئلة وأجوبة الربي يتسحاقي بن شيشيت عن الأسئلة التي طرحت عليه "عن تلك التي قالها الربي يشمعيل للرابي عقيبا هاأنت تقرأ ، فكيف يمكن لعالم كبير مثل الرابي عقيبا أن يحرف في قراءة فقرة مع أن صبيان مدرسة معلمنا يعرفوه ، إن لم يقل : إن كتبهم لم تكن محركة". فبطل الربي يتسحاق بن شيشيت "لأن تلك الكلمة كانت منقسمة في كتبهم "وهذا يعني أن نسخة الأسفار مختلفة (أسئلة وأجوبة الربي يتسحاق بن شيشيت، كتاب مختصر الأقوال) .

ويقرر الربي شلومو بن أبيرت بإسهاب "التغييرات التي نجدها في النصوص المقدسة في الموضوعات التي لا تختلف فيها المعاني لا تمثل قضية، لأن النصوص لا تحفظ الكلمات الصحيحة فحسب، وهذا حدث في مادة التوراة، حدث في الوصايا العشر ، والتوراة لم تحرص على حفظ المعنى فقط " (الإشارة ١٢) .

وطالما أن شموئيل دافيد لوتساتو لم يستخدم من نقد العهد القديم سوى هذا الأسلوب لتعديل النص، والذي سلكه بحذر شديد، من خلال حس لغوي جيد ودقيق، لذلك أقرت أقواله وحاول العديد السير في إثره من الربانيين والورعين مثل :الربي م. دوشك (وشعبك كمن يخاصم كاهنا =وشعب كمن يخاصم كاهنًا، هوشع ٤:٤)،الربي م .شتين (هو شرك للإنسان أن يلغو قائلاً مقدس ، وبعد النذر أن يسأل =هو شرك للإنسان أن ينام قائلاً مقدس، وبعد النذر في الصباح (الأمثال ٢٠:٢٥) أموالاً وجثثا = أموالاً و ملابس (أخبار الأيام الثاني ٢٠:٢٥)ويا جهال تعلموا فهما = ويا جهال أعدوا فهمًا (الأمثال ٨:٥ وغير ذلك) ، دافيد حاييم إشكنازي (ويحسب الفضة = ويصهر الفضة، الملوك الثاني ٢٤:٤) ومواضع عديدة مثلها.

٧ - الربي نحمان كروكمل ونظريته في العهد القديم

أما الربي نحمان كروكمل ، دليل حائري عصره ، فهو واحد من ذلك العصر الذى لم يكتف في أبحاثه بألفاظ النصوص المقدسة وتعديل الحروف، بل توغل داخل أعماق مؤلف العهد القديم ، وتشجع ليكشف جوهر تلك الثقافة الرائعة، والوقوف على شمولية "الخاصية الروحانية "في الأمة وهو كتلميذ لهيجل وكان مؤمنًا ومرتبطا بصورة أساسية بتطور كل موجود روحاني، وعارفا بفرع من فروع بحث العهد القديم كما عرفها علماء شعوب العالم وعلماء اليهود في عصره فتوجه في ضوء ذلك لكشف مراحل تطور الثقافة العبرية القديمة كما عبر عنها في أدب العهد القديم.

ومع كل معلوماته العميقة في البحث الأجنبي ، فلم يتوقف أمامها ولم يرغب في أن يجد لها صدى في اللغة العبرية، إذ كان واحدًا من القليلين الذين عرفوا كيف يسيطروا عليها، ويختاروا منها ما يتفق مع الأسلوب الذى حدده في تاريخ تطور اليهودية، وبسط رؤيته داخل غيوم الماضي وبدأ مخططه من بداية تكون بني إسرائيل.

وهو يسلم ببديهية شهادات روايات التوراة، ويفحصها وفق قدرته في ضوء المعرفة ببقية الشعوب السامية، وذلك على أساس المنطق العقلي ووجهة نظره الفلسفية الأوربية ويزيل بجرأة مشكلة الطبقات المضافة على أقوال النصوص في عصر الأجادا والدراش ويصل من داخلها إلى المضمون القديم فيرى أن الجماعة التي جاءت إلى كنعان كانت تعبد في الأماكن المرتفعة باسم يهوه، ولم يتصور أحد أن هذا إثم حتى إن يربعام بن ناباط في إقامته العجول لم يقصد سوى اسم يهوه إله إسرائيل ، وكان الأجانب الذين ليسوا من أبناء الكهنة يقربون القرابين بإذن وعندما تزايد الطموح في عصر الملوك لتنظيم سياسي وحشد الأمة ، حدثت لأول مرة الحرب ضد الأماكن المرتفعة ، والعبادة خارج مركز أورشليم وبسمع الجماعة في عصر القضاة تغني أغاني عديدة ومتنوعة ثم جمعت سويًا في مجموعة " أول مجموعة من الأسفار المقدسة" وعرفت باسم " سفر المستقيم" .

وكتب الأنبياء الذين قاموا في عصر الملوك - هم أو تلاميذهم - نبوءاتهم في أسفار ، وألفوا أسفار أخبار الأيام للملوك مختلفين، أو اختصروها من أسفار سابقة أكثر إسهابًا ، وتلك الاختصارات وصلت إلى يد الشعب ونسخت وانتشرت وكانت عصور يهوشافاط وحزقيا ويوشياهو عصور معرفة "للتوراة ومعرفة ونسخ الأسفار" .

وحرقت العديد من الأسفار المقدسة التى كانت موجودة فى الهيكل زمن الخراب، والتى بقيت وحفظت في السبي صارت تابعة للترجوم والتفسير .وجمع العائدون من السبى ما بقى فى أيديهم من بقايا "الأسفار القديمة ونسخوها وصححوها ووضحوها بإسهاب وقيموها بحكمة" . وظهر فى ذلك العصر أواخر الأنبياء مثل إشعيا الثاني ويوئيل (الذى على أية حال لم يتنبأ قبل عصر عزرا) وحجى وزكريا الأول وزكريا الثانى (الذى عاش بعد موت الإسكندر المقدونى) ، وقد زاد الكتبة آنذاك من ترجمة التوراة وتفسيرها ، وتعليم الجماعة وسردوا أمامها تاريخها .وحتى تم جمع كل أقوال هذه المؤلفات المقدسة فى هذه الفترة العظيمة والغنية ورتبوها سوياً مع كل ما سبقها، وطابقوا هذه بتلك وعدلوها حتى تثبيت العهد القديم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً (فى عصر حننيا ابن جرون ، معاصر هليل) .

وعلى هذا المنوال بحث فى تطور أسفار العهد القديم، وشكل بعد ذلك تاريخ كل سفر، وكان الربى نحمان كروكمل حذراً لئلا يمس الماسورا، حتى إنه لم يستطع الاعتماد فى أقواله على أى برايتا أو قول مأثور لأصحاب التلمود .فلم يناقش مطلقاً تاريخ أسفار التوراة الخمسة، وتجاهل كل القضايا المرتبطة بها، وكان يضطره الحديث إلى أن يوضح علاقته بها.

ولم تحفظ فى مقالاته الروائية أقوال مفصلة عن أسفار الأنبياء الكبار السابقين على السبى .غير أنه شرح أدب العائدين من السبى وعصر الهيكل الثانى بإسهاب. وهو مثل سبينوزا فى عصره، يقتبس أيضاً الرموز الغامضة لابن عزرا واحداً واحداً، ولكن هذه المرة ليدعم رأيه بوجود شخصيتين باسم إشعيا .ومن خلال العصور المذكورة فى التلمود يعالج كل وحده هناك بشأن تاريخ الأسفار وترتيبها .وعندما بدأ نقد كل سفر على حدة فإنه تمسك بأساليب "أصحاب نظرية التجزئة "المتشددين. فوجد فى سفر عزرا خمس قوائم مختلفة تتفصل بينهم مئة وعشرون سنة (من السنة الأولى لقورش .وحتى السنة الثالثة والعشرين لأرتحشستا .أما سفرا أخبار الأيام الذى كان مؤلفه الأول عزرا، وأضافوا عليه بعد ذلك من قوائم نحميا ، ومن لفائف النسب ، وقوائم الكهنة، سار مؤلفه واستمر ثلاثة أجيال بعد نحميا ، أى حتى انتهاء مملكة فارس، ووجد الربى نحمان كروكمل من وجهة نظر التطور البطئ هذه تأليف بقية أسفار تلك الفترة وتركيبها .فسفر دانيال "مؤلف من بعض اللفائف (تسع أو عشر)

لفيفة لفيفة على حدة، ولا ترتبط الواحدة بالأخرى السابقة عليها أو المتأخرة عنها سواء في أسلوب اللغة أو في طريقة التأليف" . وأمثال سليمان - هي "أساطير عامة لمجموعات أمثال "كانت سائدة لدى الجمهور ومثقفي الجماعة ، وكانت منظمة في لفائف مختلفة.

ومن وجهة النظر هذه يعالج الجامعة ونشيد الأناشيد ، ويحلل سفر المزامير في دقة أكثر .فوجد فيه مصدر تسبيح بابلي، يعني مزامير قيلت بواسطة العائدين من بابل، في "تنهدات ممزوجة بالأمل "و "المثقف يعرفها " ، ووجد فيها أيضاً تسابيح أشورية ويونانية غناها الأتقياء الغيورون عند خروجهم للحرب في عصر الحشمونيين (مثل ٥٩، ٦٩، ٧٤، ٧٩، ٨٣، ٨٥، ١٣٢، ١٤٤) ومن خلال المزمور (٦٠) يفهم أنشودة يهودا المكابي في عبر الأردن عند خروجه لإنقاذ بيت صور المحاصر بواسطة اليونان ، "الله قد تكلم بقدسه ، ابتهج، أقسم شكيم وأنيس وادي سكوت .لي جلعاد ولي منسى ... من يقودني إلى المدينة المحصنة ؟ من يهديني إلى أدوم؟" (٩:٦٠) ، وغني نفس هذا المزمور مرة ثانية عندما انتهى الحصار على يد الحشمونيين في عصر شمعون المكابي (المزامير ١٠٨) .

ويرى سفر الجامعة بمثابة السفر الأخير في أسفار الكتابات ، والفقرات الأخيرة فيه (كلام الحكماء كالمناسيس وكأوتاد منغرزة ... ١٢: ١١-١٤) هي عبارات الإتمام ، ليس فقط لسفر الجامعة فحسب بل أيضاً "لأساطير أسفار الكتابات في مجموعها" ففي بداية قدوم اليونان أنهى رجال الكنيسة الكبرى "وختموا بتلك الفقرات مجموع القسم الثالث من الأسفار المقدسة" غير أن "الإقرار النهائي والمطلق" لأسفار العهد القديم حدث في عصر محكمة الحشمونيين في عصر شمعون، ويوحنان الكاهن الكبير، نتاي الأربلي، ويهوشع بن فرحيا وبقية حكماء عصرهم، تلاميذ مغني الكنيسة الكبرى"، وكما يقال، فقد ختم قبل الخراب بمائة وثمانين عاماً.

وبلا شك كان الربي نحمان كروكمل فريداً في عصره، والأول في الأدب العبري الذي حاول أن يسلك طرقاً جديدة في تاريخ تكوين العهد القديم، وذلك من "سفر المستقيم "الذي كان في عصر القضاة وحتى تثبيت العهد القديم في الفترة الأخيرة للهيكل الثاني، وأن يقرر تلك النظرية للجمهور ، وذلك بحذر شديد وإشارات مبعثرة. وقد كان يعرف ما يسيئه .فكتب ذات مرة "قلبي يرتعد في وسطي لأعلن مثل تلك

الفرضيات الجديدة، التي هي عكس المنشور حاليًا عند العامة والخاصة ،ومنذ ذلك تضاءل الورع الحقيقي وتزايد الغيوريون المتربصون على رأس الطريق ، حتى خرج قول من فيه دارس ،عكس المألوف عندهم ،أو الذي يعظ في جلسته في كنز علمهم التافه فيقيموا عليه حربًا غير أن الربي نحمان كروكمل كان واثقاً أنه لا يمكن أن تختفي تلك الآراء . فيقول : "من يعرف الله ويعرف إسرائيل" يدرك أنه ليس هناك خوف خطير أن تتوقف العقيدة ، بأبحاث حقيقية وبقلب طاهر كهذا ويشبهه الاف ، وعلاوة على ذلك، شكرًا وأفضلية لإسرائيل ، وعظمة لتوراة آبائهم، وعار للجاهلين عن قصد في عصرنا هذا .

وعلاوة على ذلك فقد كان ملتزمًا بإظهار آرائه تلك للأجانب، لكي ينقذ مجد التوراة ؛ لأنه إذا تنبهنا أيضًا حالياً لنقرر بأن في المزمور "على أنهار بابل" توقع داود بالروح أورشليم أحداث سبي بابل وحزن عليها ، فإن هذا لم يؤثر في قلوب القراء والسامعين العارفين ـ الشبان ـ طبقًا لوضع العلم في هذا العصر ... بل أيضًا تشمئز أنفسهم من تفسيراتنا ومواعظنا له ...ولأننا ، معلمون ووعاظ نستوعب القصد المراد في البقية عندما نوضح لهم المزمور ....أنه أنشد في بابل بواسطة أحد اللاويين في السبي . ولذلك يرى في نقده الحر أنه يوجد ازدراء في جانب أكثر من جانب آخر باسم عصر العمل ليهوه وقد كان واثقًا في إخلاصه أن علماءنا الأكثر قدمًا عرفوا هذا الأمر وتجاهلوه وبصلاحية أكثر يقتحم المخابئ ليكشف عن الذي تجاهله القدماء .من هنا كان فحصه للبرايتا في (باباترا ١٤) ، ومن هنا كان حبه الشديد لأبراهام بن عزرا العالم الفقير ، الذي سلك مثل اللؤلؤ عبر رموزه وتفسيراته المتعمقة.

وحقًا ، لم يخف سائل خوف الربي نحمان كروكمل ،ولم يكن الأدب العبري مؤهلاً بعد للاعتراف بالآراء المضادة للآراء التقليدية المشهورة . "ولم يثر ضد الربي نحمان كروكمل لإزعاجه فقط "الغيوريون المختبئون على رأس الطريق "، بل أيضًا زعيم النقاد في ذلك العصر ،وعندما كرر شموئيل دافيد لوتساتو نظرية إلياهو لويتا وقرر بأن أحكام القراءة متأخرة، نال جزاءه من رجاو نفسه، وكذلك عندما اتجه بعد ذلك الربي نحمان كروكمل "وأبعد من إشعيا الـ (٢٧) إصحاحًا الأخيرة فيه، وأخر أيضا زمن كتابة بعض إصحاحات سفر المزامير لم يرغب أن يعتذر له شموئيل دافيد لوتساتو .

٨ - تلاميذ الربى نحملن كروكمل

غير أن الصراع ضد هذه الآراء قد تسبب في طرح أسئلة مرتبطة بالبحث العلمي للعهد القديم ذاعت بين المثقفين وقد انتشر بين اليهود تلاميذ الربى نحمان كروكمل، وكذلك المعجبون بأقواله وأبحاثه، فكتابه الذي صدر بعد موته لقى أهمية كبيرة، كما نجحت مقدمة تسونس في استقطاب القلوب البعيدة ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت جماعة كاملة من الباحثين الشبان تقدر النقد، وتحجب أراء المحافظين، وتواصل العمل النقدى الذى حاربت لقيامه.

ووجدت الآراء النقدية التي قبلت في الخارج طرقًا لها في مدرسة الربى نحمان كروكمل، ولدى دوائر جماعة النقد التي جاءت بعده، وبخاصة في الأدب اليهودى باللغة الألمانية ،حيث وجدت أبحاث جايجر عندهم آذانًا صاغية ، كما أن كتابه "النسخة الأصلية "قوبل بفرحة وهو الذى دعم سلطانهم، ووجه من جديد أدب النقد باللغة العبرية إلى أسلوب النقد النصى، وتعديل النصوص المقدسة وذلك بعد أن وضع جايجر أسسها.

٩ - أبراهام كروكمل

وينتسب إلى هذه الجماعة الباحث الشاب أبراهام كروكمل، ابن الربى نحمان كروكمل، وقد أثار كتابه في صورته المتغيرة وتعديلاته المتشددة عاصفة في الأدب العبرى أنذاك واستخدم بمثابة صورة أدبية لكتابه هذا الأسطورة التي كانت سائدة بين الإسرائيليين بأن العلم الباطنى الذى تعلمه بعل شيم طوف من فيه شخص ، وجده مختفيا في صخرة ، وبعد أن أعلنه لبعل شيم طوف ، أخفاه مرة ثانية في الحجر الذى في "مزيورا" . وباستثناء هذا الشخص فقط لم يره أحد آخر في بنى إسرائيل بعد ، ولم يظهره للعديد، لأن الجيل لم يكن مؤهلاً بعد ونظرية علم الباطن هذه هي النسخة الصحيحة للكتابات المقدسة .

وكان باروخ سبينوزا ـ معلم بعل شيم طوف ـ هو نفسه الرجل الذى عرف علم الباطن ، ولم يظهره للعامة بل أعلنه لشخص وقد كان هذا الشخص هو أفراهام بن نحمان كراكمال حفيد بعل شيم طوف في "مزيرا" واستخرج هذه النسخة القديمة "خطاب الرب "، من داخل الصخرة ونشرها على الملأ فقد جمع في كتابه هذا

التعديلات التى نشرت بالعبرية والألمانية واحداً بعد الآخر ، وأضاف عليها من عنده تعديلات عديدة ،وطبعها طبقاً لترتيب العهد القديم ،المكتوب فى ناحية ،والمقروء فى ناحية، وعددها بالآلاف، هذا بالإضافة إلى ترجمة ألمانية وشرح عبرى للتعديلات .ولم يستخدم تراجم كما ينبغى ولم يعرف أيضا الكتابة العبرية القديمة ،ودعم تعديلاته باستدلالات منطقية فقط، ولذلك فقد كانت البديهيات فى تعديلاته عديدة ،وغير ناجحة دائمًا . وتوصل فى مقدمته إلى العلاقة بين النقاد الجدد وسبينوزا، والعلاقة بين سبينوزا وابن عزرا وبقية الباحثين العبريين فى إسبانيا ـ بعد أن نبه إلى ذلك بإسهاب كبير قبله الدكتور يوئيل ـ وفى هذا أول إشارة بالعبرية لنقد العهد القديم عند اليهود .

١٠- يعقوب ريفمان

لقد تفوق يعقوب ريفمان على معاصره الكبير كروكمل .وقد عاش ريفمان فى مدينة زاموشتس مركز الهسكالا فى بولندا، ، ونشر نظرية "على مسامع الشباب "، وخصص فى تحليلاته مكانًا لنقد بحث الأدب العبرى ، ونقد العهد القديم ،وبصفته لغويًا فقد تعمق خصوصًا فى الترجمة السريانية ، وقارنها بمادة العهد القديم العبرية، وقرر على أساسها منهجا فى تفسير النصوص .ولم يكن نقد العهد القديم من وجهة نظره وليد الخارج، بل يرى أن جذوره عميقة فى تاريخ الإبداع العبرى وقد حاول تدعيم هذا الرأى.

وطبقًا لوجهة نظره فإن الرابى اليعازر بر يوسى الجليلى صاحب برايتا الاثنين وثلاثين قاعدة التى تبحث على أساسها التوراة ، هو "الأول الذى وهب قلبه لدراسة وبحث أسس توضيح الأسفار المقدسة" ، وكل هذه القواعد" خصصت لتوضيح العهد القديم وتفسيره ويمنهج التفسير (البشاط) الواضح ،الذى توصل إليه علم اللغة."والثانى عنده هو يونا بن جناح الذى نمى وأضاف تلك الحبة الصغيرة (قاعدة) "أسلوب الاختصار: "للربى إليعازر بر يوسى الجليلى ، ونماها يونا حتى أصبحت حزمة عظيمة من القواعد متعددة الأنواع ...وها هو ذا يغرسها فى كتابه "التراكيب" ، ذلك الكتاب المعجز الذى تحدق فيه العين ...وتندهش منبهرة فتعرف وتفهم لماذا كانت عظمة نقد العهد القديم فى أسبانيا حتى المائة التاسعة من الألف الخامسة وقد توفر سفر كامل عن تاريخ نقد العهد القديم فى بنى إسرائيل ولكن بسبب فقره لم ينشر إلا كتابا صغيرا فقط ، يشمل ثلاثة فصول : أباء النقد فى جماعتنا ، ومؤسسات النقد

يعنى أساليب النقد وخطط الناقد، ودليل منهج نقد الأسفار ، وذلك من وجهة نظر مشابهة للنقد الذى وضعه لسفر صموئيل.

وقد سار فى تعديلاته العديدة وراء منهج الجليلى ، ومناهج الربى يونا بن جناح، وكان أول من كشف عن تحريفات فى العهد القديم نجمت عن الإيجاز، واستخدام الاختصارات (مثل " أيا كان منكم على الفتى أبشالوم بدلاً من ، أيا كان منكم مد يده على الفتى أبشالوم " (صموئيل الثانى ، ١٢:١٨) ، أو "أذكر يا رب عار عبيدك ، الذى احتمله فى حضنى من كثرة الأمم" (المزامير ٥١:٨٩)، قليل من شطر كلمة إهانة ، المرادفة لكلمة عار - إجابة على القضية ص ٥٥ ، وما يشبه ذلك، وقد اعترف بفضله كل من فرلس ودليتسش) . وبتعديلاته الحادة والواضحة تفوق بكثير على دافيد شموئيل لوتساتو ، وقد اعترف بهذه التعديلات كل الباحثين من بعده .وقد كان ريفمان أحد القليلين الذين وقفوا على الوزن فى شعر العهد القديم، كما تمكن من التمييز بين الأقوال الشعرية والأقوال النثرية فى العهد القديم، واستخرج من سفر الأمثال تسعة وعشرين إصحاحًا شعريًا .

وقد كان حذرًا جدًا فى أقواله ، ومعتدلاً فى بحثه، كما كان حافظًا للوصايا فى حياته وتتلمذ على مناهج علماء التوراة والقانون ، وفزع لأقوال العلماء فى عصرنا، وأيضًا لأقوال العلماء الكبار فى العصور القديمة ، ومع كل هذا بدت أقواله الموزونة والمعتدلة مثل ثغرة فى جدار ، فاضطُهد وعذب وتصدق أقوال شهادته تعرض لى المحافظون مرة أو مرتين واتهمونى بالكذب ، وجرحونى وحطوا من قدرى واعتبرونى مدعيا ومشاكسا ومتمردا .

١١- ش.ل.هيرش

ولنفس الجماعة ينتمى أيضا الناقد العبرى الأصل ش .ل.هيرش من نفس مدينة الربى نحمان كروكمل ، والذى واصل أسلوبه إلى درجة كبيرة . وقد رأى هيرش أن مهمة النقد لا تكمن فى تعديلات النصوص المقدسة فقط، بل تصور مثل معلمه الأكبر وجود منهج فى تاريخ بناء أسفار العهد القديم .ولكنه كان حذرا جدا أكثر من جميع الباحثين المعاصرين له .

وعلاوة على أبحاثه باللغة الألمانية، فقد ألف عن نقد العهد القديم باللغة العبرية كتابه "تاريخ بنى إسرائيل وعقيدتهم . ولكى يزيل سخط حُراس السور قدم مقدمة لكتابه حذر فيها القارئين ألا يعطوا أهمية فى فكرهم لأقوال الهرطقة المشروحة والكامنة هنا فى الكتاب ، وأن الأقوال التى تأتى فى الكتاب ليست كلها من عنده ، بل إن بعضها أقوال من تفسيرات المهرطقين ، ولم يأت بها إلا من أجل معرفة كيف نرد على الهراطقة ونبرهن للمبتدعين أن عملهم لا أساس له؟ ومن أجل ذلك فقط ينكر باسم الهراطقة أقوالا من هرطقتهم التى ليس لها أهمية .

واستمر بهذا الأسلوب يوضح بجلاء وبراهين عديدة مأخوذة من داخل التاريخ و تاريخ الثقافة ومن أقوال المصادر ذاتها بأن "القسم الأكبر من توراتنا لم يكتب فى الصحراء" وأن " موسى لم يكتب التوراة كلها ، وأن أقوال التوراة ليست سوى" لفائف من أماكن وعصور مختلفة لرجال وحكام عشائر وأسباط مختلفة وتحدثت عن الآباء والأجداد أو كتبت هذا بعد ذلك . "ويكشف فى محاضرة له بأن" أقوالا عديدة من تفسيرات الهراطقة والمبتدعين لم يقدرها الجميع ،لأن لها إشارات فى الأساطير القديمة وأن العديد منها مشار إليه أو مرموز له فى أقوال حكمائنا طيب ثراهم ... لأن قدماءنا كانوا مفعمين بالرغبة فى معرفة نشأة أسفار العهد القديم فى عصرهم" . ويحاول "باسم الناقد" أن يقدم أسلوبا عن تأليف العهد القديم ، ويحصى فيه ثماني مجموعات تعود إلى عصور مختلفة ، وهى :

أ ـ لفائف قديمة تعود إلى عصر الصحراء تم تحريرها من قبل أحد أبناء أفرايم .

ب ـ لفائف من تعاليم الكهنة ، تمت الإضافة إليها حتى عصر يهوشع بن صادوق.

جـ ـ لفائف أعداد الأسباط .

د ـ لفائف باعترافات الأنبياء .

هـ ـ مجموعات من روايات بيت داود .

و ـ أقوال الأنبياء ومجموعاتهم فى بابل .

ز ـ أقوال الكهنة والأنبياء العائدين من السبى .

ح ـ تكملات مختارة من عصر الحشمونيين .

وعن توراة الكهنة وسفر العدد ـ يقول باسم المهرطق كما هو مفهوم ـ "كما هما لدينا حاليا فإنها متأخران جدا ، ولايمكن تقديم زمنهما عن بداية الهيكل الثانى" .

ومع هذا ، فإنه يضيف فى نهاية كتابه وفى شكل إجابة ما يلى : "ضد الهرطقة يسكر فمى منبع الوشاية" ثم يؤكد كلامه باعترافه :أن كل أبحاثه لا تمس الوصايا العملية لأنه ليس لنا قيمة أمام هذه الشريعة .

ومن خلال هذه المقدمة والخاتمة أصبح بحث هيرش الذى قدمه باسم المهرطق الأول فى اللغة العبرية الذى يتناول ليس فقط بناء أسفار العهد القديم المتأخرة ، بل أيضا مادة مصادر أسفار التوراة الخمسة ، التى لم يقترب منها الربى نحمان كروكمل نفسه .

١٢- الطليعة ومحررها ى . ش . شور

غير أن الاحتياطات العديدة التى نهجها هيرش كان قد انتهى عصرها بالفعل فى زمنه .فزملاؤه ومعاصروه لم يكونوا بحاجة لقناع ،أما فيما يتعلق بالمضمون فقد كانوا أكثر حرصا منه .

وقد أعرب أولئك الذين التفوا حول "الطليعة "عن رأيهم بكبرياء ،وفتحوا بابا لمعرفة النقد المدون باللغة الألمانية لجمهور القارئين باللغة العبرية .وباستثناء كروكمل الابن ، فقد اشترك أحيانا فى "الطليعة "أ .جايجر نفسه ،وكان زعيم المتحدثين فيها رئيس التحرير ى.هـشور حسيد "اليهود الغربيين "فى عصره ،كما كان لديه نزعة استقلامة كمصلحى الدين فى ألمانيا ،الذى وجد نقد العهد القديم له وطنا فى وسطهم .

كما أن الشاعر ميخا يوسف ليفنزون الذى أقام فترة ما فى برلين أفاد من علماء العصر ـ سينثور زكش و ى.ل.تســونس ـ وتأثر بالبحث الحر ، وفى ملاحظاته الشعرية عن "سليمان والجامعة "أوضح أن "من له عينان يرى أن هذا السفر يعود لأبناء العصور المتأخرة، سواء فى لغته أو فى موضوعه ،وربما ألف فى عصر الحشمونيين ."

١٣- خلافات المحافظين حول الأدب

ويدأ شور فصله بدراسة لتبرئة كبار الباحثين - شموئيل دافيد لوتساتو والربى نحمان كروكمل ويوسف شلومو روفيه - الذين خرجوا على الطريق التقليدى ، وبدأوا فحص العهد القديم بأسلوب النقد وتعديل الأخطاء التى ظهرت فيه . وفى رؤيته أن هذا "لم يسقط حاشا لله سور العقيدة "،"كما لم يسقط بسبب تعديلات الكتبة وتغييرات الشيوخ ومن الاختلافات التى بين الوصايا الأولى والأخيرة وغيرها "،لأن "الروح ، روح الله السائدة فى الكتابات المقدسة هى غذاء الجماعة وهى القائمة معجزة للشعوب "وليس الحروف والكلمات والدليل على ذلك الاختلافات العديدة بين أسلوب الماسورا وأسلوب النصوص الواردة فى التلمود والمدراشيم وتتبع ى.هـ.شور تغييرات الصيغ وأحصى ثلاثين موضعا فى التوراة بعد أن قام شموئيل دافيد لوتساتو وكذلك ريفمان بتعديل أسفار الأنبياء والمكتوبات فقط ولم يقتربا من التوراة . وقرر شموئيل دافيد لوتساتو بأنه لم تطرأ أخطاء فى الأسفار الخمسة وأنها حفظت كلية حفظا تاما منذ عصر كتابتها حتى عصر طباعتها .ويفهم من ذلك أن أدلة هـ.شور لا تزال تزيد نار الانقسام ولكى يبرهن ى.هـ.شور على صدقه اضطر إلى أن يتعمق أكثر فى أدب النقد ويلتمس مساعدة علماء الأمم .فترك تفسير بوهلن لسفر التكوين عليه أثرا كبيرا ، وكذلك اختلافات الصيغ عند كينكوت وكتب روهده وفاتكه . ولكونه رجل حرب جسور ، رفع إشارة الحرب للدفاع عن أفضلية نظرية المصادر ،أو - كما دعا بلغته - من أجل "الصيغ المختلفة التى كانت أمام محرر أسفار التوراة . " وبضجة كبرى ، وصيحة حرب باغت القارئ العبرى بتوضيح الغموض والازدواج فى أحداث الخلق والطوفان ، والروايات عن لوط، والازدواج حول شراء المغارة ودفن إبراهيم وقدوم رفقة ولقاء إسحاق وبركته وتأكيد الاسم يوسف وتغيير الاسم يعقوب إلى إسرائيل وبيع يوسف والخروج من مصر وأكل المن ، وأظهر بوضوح أنها لا تكون مصدرا واحدا لأقوال التوراة بل "كانت صيغا مختلفة أمام محرر التوراة التى أدخلها سويا فى جمعه ."

وأضاف فى كل مقال جديد له عن نقد العهد القديم سخطا شديدا ، غير أنه هو نفسه لم يقدم أى منهج عن تاريخ بناء أسفار العهد القديم ، بل طرح داخل العالم العبرى الصعوبات الكثيرة والغموض المفاجئ ، وبعض التعديلات والتجديدات . كما استوعبها من الخارج ، منها ما هو مناسب جدا وذو قيمة . وعلى الرغم من ذلك كانت

متفرقة ومهلهلة وغير مرتبطة برؤية واحدة، وتسبب هذا أكثر فيما يتعلق بصور تفنيد العقيدة . وفي نفس الوقت توجه معاصريه تجاه ناحية أخرى ، أما الدائرة التي تركزت فترة حول راية "الطليعة" ، راية الإصلاحيين والحرب ضد القديم، زالت وتضاءلت وتوقف تأثيرها .

١٤- رد فعل الحركة القومية

وتبدلت في عصر شور نزعة المحافظة على القديم في الأدب العبري الحديث. فبظهور الحركة القومية التي انتقل إليها السلطان الروحي في السبعينيات ،انتقلت البؤرة الأساسية للحرب ضد الجبهات الداخلية تجاه المجددين في الخارج .فالعلماء اليهود في الغرب الذين حملوا مشعل النور في نظر المثقفين الأوائل صاروا من الرافضين للاتجاه القومي ومحتقرين في نظر المثقفين الجدد .فالمكانة التي أعطيت للاندماج في الغرب والذي ساد في دوائر "بستان الجمال" و" الطليعة" ، فُهم في دوائر "الفجر" على أنه عار ،وهذه الكراهية المفتعلة كانت موجهة في المقام الأول ضد نقد العهد القديم ، والذي كان في الغرب يمثل إرث المجددين في الدين ، الكارهين لأبناء جيل "الفجر"

وقبل أن تسود الرومانتيكية القومية لنفس الجيل توجهت إلى إحياء البحث في الأدب الرمزي للجماعة وفتح مجالات جديدة لفهمه، غير أن محفل الحب والإعجاب أشاد بها وتأخر عنها .وقد قام علماء العصر بمهمة كبيرة بغيرتهم على العهد القديم لئلا يؤثر على الأدبيات العبرية أي انتصار للعمل العلمي المتزايد ، ولكي لا يتأثر بالنتائج التي حدثت في الخارج حتى لا يسقط مجد سفر الأسفار،كنز أدب الجماعة . ففي الخمسينيات واجهت الأدبيات العبرية كتاب "النص الأصلي "لأبراهام جايجر بأمل حذر وصيحة احترام ، وفي السبعينيات صدرت كل كتابات تسونس بمناسبة الاحتفال بيوبيله وفيها أيضا أبحاثه النقدية ، ولم يجدا آذانا صاغية داخل الأدبيات العبرية في ذلك العصر .وبلا شك لم يسمع آنذاك شخص بالعبرية عن ظهور فلهاوزن وانتصارات مدرسته .فقد اعتبروا مفسدين لبستان اليهودية ، ومن من بين اليهود يستمع لهم ؟

١٥- بيرتس سمولنسكين

وعندما وُضع تفسير جريتس لنشيد الأناشيد أمام بيرتس سمولينسكين ، ففى ملاحظاته على الكتاب النقدى لجريتس عن المزامير عبر باشمنزاز عن هذا الاتجاه لفكرة نقد العهد القديم بقوله "لم أشمئز فقط من قراءة هذا الكتاب بل أيضا من الكتابة عنه والتعبير الأكثر صدقا عن مثل هذه الكتب هو تجاهلها ." وعلل أقواله المعبرة عن علاقة الموالين لراية نقد العهد القديم بقوله : بعد أن يُداس مجد إسرائيل بأقدام الشريرين من كل اتجاه وأيضا بعد انتقادات عصرنا وكل إرثنا تمتد يد الشر لالتقاط رماد مجدهم وفى هذا الوقت ..أيضا يظهر رجل من اليهود ..لم يجد قولا حسنا ليشفى نفسه به .إلا الوقوف مثل حطاب يحمل فأسا لإسقاط فرع تلو الآخر ، وغصن تلو غصن فى حديقة اليهود وتعريضها للسخرية والازدراء ..ليسلب منا أيضا نفائسنا القديمة وفى الوقت الذى نشرب فيه كأس المحرمات ، تصبح تذكريات العصور القديمة بمثابة شراب أو دواء للعديد من البائسين ." وأعرب تيار جماهيرى كامل بمثل هذه الكلمات عن علاقته بنقد العهد القديم .

١٦- دافيد كهانا

وبالفعل بدأت فى الأدبيات العبرية أنذاك فترة الندم على أخطاء شباب سنوات النقد . و" فى عصر رابى شلومو لوريا والوفورت ومؤيديه دعا بيرتس سمولنسكين إلى حرمة الأخذ بمنهج تأخر معظم الكتابات المقدسة ، ومن بعده وحتى الآن تشجع العديد للعمل مثله " ... ، لأجل القضاء على هذا "المرض "حيث برز من " الفجر" زئيف يعقوب عمدين بن تسيفى ، ودافيد كهانا وغيرهما لإعادة التاج إلى مكانه القدى وكتب دافيد كهانا كتبا كثيرة ليبرهن أن الملك سليمان هو الذى كتب نشيد الأناشيد والجامعة والأمثال وتشجع ليبرهن فى "ماسورة قيد التوراة "أن نص الماسورا الذى أمامنا لا يوجد به أى خطأ ولايزال يعارض فى العديد من المقالات المجموعة والفصليات أى تعديل النصوص المقدسة وفى تفسير الألفاظ ولم ينزلق بعد أى شخص إلى النقد العلمى الخاص بتكون أدب العهد القديم وامتنعت الأدبيات العبرية عن الاستجابة لعلم العهد القديم

١٧- ش.ف.رفينوفيتس

وعندما أقدم ش.ف.رفينوفيتس على ترجمة كتاب جريتس "تاريخ إسرائيل" إلى اللغة العبرية لم يجرأ على إدخال أقوال جريتس عن تاريخ العهد القديم فى الأدبيات العبرية بسبب خوفه من النقد ، فحذف كلية الفصول الخاصة بتاريخ العهد القديم مع كل الملاحظات والإشارات المنتمية إلى ذلك وعلل ذلك بقوله:إن أقوال المؤلف بشأن "نشأة الكتابات المقدسة وتأليفها ... وأساسها فى نقد العهد القديم " ، وأسلوبها بعيد عن فكر المترجم وأنه لا يرى" فى تلك الدروس أى فائدة للغالبية العظمى من القارئين باللغة العبرية .

١٨- البراعم الجديدة

ولم تتغير العلاقة حتى قبل أن تتعمق الحركة القومية بين اليهود وتنتهى حرب الدفاع التى نشبت عشرات السنين فى الداخل والخارج ويتم الانتقال إلى العصر الإيجابى ، عصر الاستنارة فى الإبداع . حيث احتل " البعث" مكان " الفجر" وكان الدليل القائد لهذه المهمة الجديدة فى الأدب العبرى والبرهان الأول الذى اخترق الجدار وشجب التجاهل الذى أبداه الكتاب اليهود تجاه علم العهد القديم .فقد أشار أحاد هعام بمرارة إلى حقيقة أن "تفسير مندلسون وتلاميذه لا يزال عندنا حتى الآن، بمثابة "الكلمة الأخيرة "فى معرفة العهد القديم "، فى الوقت الذى لا يتوقف "الأوربيون " فيه عن بحث وتفسير كتبنا المقدسة ، وأشار فى الواقع إلى تفسير نوفك ودعا الكتاب اليهود أن يعملوا بالعبرية ما يشبهه ، وعندما بدأ بعد ذلك أفراهام كهانا فى إصدار العهد القديم مع تفسير علمى مؤسس على أساس من بحث العهد القديم فى عصره ، وعلى أساس نظرية تقسيم المصادر ، احتشد حول عمله جماعة من المفسرين الماهرين ففسر أبراهام كهانا نفسه أسفار التكوين والخروج والعدد ويونا : ش.كرويس سفر إشعيا وتسفى جريتس حيوت ، سفرى :المزامير وعاموس ، وموشيه تسفى سيجل سفر صموئيل ، ومئير لامبرت سفر دانيال ، وى.ى بن تسيون فينكاف أسفار :هوشع ويوئيل وعوبديا .وكان أحاد هعام واحدا من القلائل الذين باركوا هذا العمل .أما ميخا يوسف بريتسفسكى الذى دمر الشك وطرح التساؤل "لمن أنا أشقى "فقد رأى فى كل هذا العمل-"تأسيس نقد الكتابات المقدسة بالعبرية "- جرأة متزايدة .

ومع ذلك فإن أحاد هعام نفسه لم يشتغل بنقد العهد القديم ، وفي مقال وحيد له كتبه عن موضوع متعلق بالعهد القديم - موسى - تحرر فيه كلية ووضع وثيقة للفحص العلمي للواقع الفعلي لعصر العهد القديم وفي رأيه أن أقوال العهد القديم ليست سوى "صورة خيالية ، ابتدعتها الجماعة طبقا لحاجتها وميلها الروحي "، والأكيد أن "هذه الصورة الخيالية "موسى النموذجي "هو الذى أثر على الجماعة آلاف السنين ، وهو البطل الحقيقي الذى يجب بحثه ومعرفته ، لكي نقف على أساسه على جوهر الجماعة وحقا حافظ على احترام روايات العهد القديم ، ولكنه أفرغها من مضمونها الواقعي لتظهر الحقيقة التاريخية - أو حسب تعبير أحاد هعام الحقيقة "المادية"- للبحث في إصلاحها بقوة .

ومن فوق المنابر الأدبية لأحاد هعام بدأ يتردد أيضا صدى أدب النقد الخارجي، وكتبت أيضا بعض الأبحاث المرتبطة بالمصادر وظهرت في "البعث "مقالات الدكتور شمعون برينفلد الأولى عن أسفار العهد القديم ، وتواصلت هذه المقالات وانتشرت ثم جمعت سويا في مدخل شامل ونشر أيضا منير إيش شالوم أبحاثه في "البعث . " وفي كتيب أولي لـ " كنز اليهودية "التي أسسها أحاد هعام قدم دافيد نيمرك خلاصة بحثه عن "الأصول "وقد تطور بحثه بعد ذلك إلى كتاب قائم بذاته على أسس النقد التاريخي وجاء فيه لأول مرة باللغة العبرية قسم مفصل عن التوراة وعلى أساس من المصادر ونهض بعدهما آخرون لتأسيس أصول النقد في فروع مختلفة لنقد العهد القديم باللغة العبرية .

وبعد انتقال تحرير "البعث" إلى يوسف كلوزنر ،الذى اهتم أيضا بنقد العهد القديم وتاريخ بني إسرائيل في عصر العهد القديم ، استمرت في الظهور الأبحاث عن تاريخ أدب العهد القديم ونشأت منابر جديدة لبحث اليهودية باللغة العبرية مثل "الشرق" التي كان أحد محرريها أفراهام زرزوفسكي ، مما يظهر عمق البحث في لغة العهد القديم ومن هذه المنابر "المستقبل" ، و"البدر"و"العصر"و"المقدس" وغيرها ، وهكذا احتل البحث العلمي في فروع مختلفة لعلم العهد القديم مكانا ثابتا .

واجتاز المحراث ، وحرث الحقل المهجور وظهرت الإبداعات الجديدة لبداية هذا القرن أبناء الشيخوخة لنقد العهد القديم من الإسرائيليين الذين عصرهم مثل عصر العهد القديم نفسه ومن خلال التردد الشديد وبخطى دقيقة وبتأخر الزمن استمرت العقيدة العبرية العلمية وهبطت إلى إرثها القديم . ومن يعرف؟ ربما صفحات من كتاب، بقيت مجهولة حتى الآن ، وتكشف مستقبلا ويأتي زمن ويقرع صاحب القلعة نفسه .

الفهرس

المشروع القومي للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عتمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت: يمنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلي الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارندر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوي	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الحلوجي / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بلبع
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ماجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١ - مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ . م بينيالييستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التدعيمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل دمرداش
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسي سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهورن	ت : علي يوسف علي
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فيديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فيديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ - مسرحيتان	فيديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبري محمد عبد الغني
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولي وهويدا محمد فهمي
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود

العنوان	المؤلف	المترجم
٧٢ - السياسي العجوز	ت. س. إليوت	ت : فؤاد مجلي
٧٣ - نقد استجابة القارئ	جين. ب. تومبكنز	ت : حسن ناظم وعلي حاكم
٧٤ - صلاح الدين والمماليك في مصر	ل. ا. سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
٧٦ - جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٣	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨ - العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
٧٩ - شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	ت : سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠ - بوشكين عند نافورة الدموع	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمري
٨١ - الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوي
٨٢ - مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	ت : محمود السيد علي
٨٣ - مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالي
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	ت : عبد الرازق بركات
٨٦ - طول الليل	جمال مير صادقي	ت : أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧ - نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العناني
٨٨ - الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩ - الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠ - وسم السيف (قصص)	نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية	ت : محمد إبراهيم مبروك
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
٩٣ - محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب علوب
٩٤ - الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوي
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	ت : سري محمد محمد عبد اللطيف
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	ت : إدوار الخراط
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
٩٩ - تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	ت : إبراهيم قنديل
١٠٠ - مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	ت : إبراهيم فتحي
١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
١٠٢ - السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبي	ت : عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
١٠٤ - أوبرا ماهوجني	برتولت بريشت	ت : عبد الغفار مكاوي
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	ت : عبد العزيز شبيل
١٠٦ - الأدب الأندلسي	د. ماريا خيسوس روبييرا متى	ت : أشرف علي دعدور
١٠٧ - صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعيدي

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	ساري بلانت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	ت : نسيم مجلي
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهري سنبل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل الكسندر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورب ديفي	ت : سمحه الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب علوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق علي	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد ت. س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سحر توفيق
١٣٧ - مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيفلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - پارسيفال	ريشارد فاجنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : عدلي السمري
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دي ليبس	ت : علي عبد الرؤوف البمبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوي
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : علي إبراهيم علي منوفي
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابي
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فانويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسي
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مي التلمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامي الكنجوي	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحي
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومي
١٦١ - من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوي	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصادفة
١٦٦ - العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليفمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكري محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكري محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكري محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	إليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنري ترويا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبد الأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوءة	و . ب . ييتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحي العشري
١٨٤ - القاهرة .. حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	ت : دسوقي سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بزرج علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	ألفين كرنان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دي مان	ت : سعيد الغانمي
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل المنجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنجلو - أمريكي	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيري	إدوين إمرى وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	ت : جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصاري
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبي الحديث جـ٤	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	ت : أحمد محمود هويدى

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٤٥٤٨ / ٢٠٠٠





מפרד"ס התנ"ך

מחקרים במקרא

ובתולדות ביקורת המקרא

זלמן שזר

يقدم هذا الكتاب عرضا موجزا لتاريخ نقد العهد القديم ؛ حيث يبدأ بوصف عملية تثبيت نص التوراة ، وهى عملية نقدية قام بها (عزرا الكاتب) فى القرن الخامس قبل الميلاد ؛ حيث تم تدوين التوراة من خلال عملية تحرير للروايات الشفوية . ويشير الكتاب إلى النسخ التوراتية المختلفة وموقف الفرق اليهودية من العهد القديم ، وعملية البحث عن مؤلفى العهد القديم ، وموقف علماء التلمود من العهد القديم .

وقد أشار المؤلف إلى ازدهار النقد فى الأندلس بعد ظهور علوم اللغة والنحو بتأثير من علوم اللغة العربية . وتناول تطور التفاسير المسيحية للعهد القديم ، وبخاصة عند مارتن لوثر وتلاميذه . كما اهتم بتوضيح دور الفيلسوف اليهودى سبينوزا فى تطوير نقد العهد القديم وإثارته للعديد من المشاكل النقدية .

وتعرض المؤلف لنظرية المصادر فى النقد الغربى للعهد القديم بداية من أستروك وتحديد المصدرين اليهوى والألوهيمى ، وإضافات أيشهورن ، وملاحظات هيردر ، وتشعبات إلجن المصدرية ، وآراء جديس وفيتر ودى- فته ، وتحديد المصادر الأربعة للتوراة . وقد ناقش آراء مدرسة يوليوس فلهاوزن فى تطوير علم نقد العهد القديم ، كما تعرض للآراء الحديثة بعد مدرسة فلهاوزن .

وقد اهتم الكتاب بإعطاء ردود الفعل اليهودية تجاه النقد العلمى للعهد القديم وتصور نقد يهودى حديث بداية من نشأة مدرسة علم اليهودية ، ونقد العهد القديم فى الأدبيات العبرية وأهميته أيضا فى نشأة نقد العهد القديم فى العصر الحديث .

غلاف : يسر الجلاس